خطبة النبي صلى الله عليه وآله
في شهر رمضان المبارك

ذكر الشيخ الصدوق بسنده عَن عَلي بنِ الحَسنِ بنِ عَلي بن فضّال، عَن أبيهِ، عَن أبي الحَسَن عَلي بن مُوسى الرضا، عَن أَبيهِ مُوسى بنِ جَعفَر، عَن أبيهِ الصّادق جَعفر بنِ مُحمّد، عَن أَبيهِ الباقِر مُحمّد بنِ عَلي، عَن أَبيهِ زَينِ العابِدينَ عَلي بنِ الحُسَين، عَن أَبيهِ سَيِّد الشهَداء الحُسَين بنِ عَلي، عَن أَبيهِ سَيِّد الوَصيينَ أَميرِ المُؤمِنينَ عَلي بنِ أَبي طالِب عليه السلام، قال:

«إنَّ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله خَطَبنا ذاتَ يَومٍ، فَقال: أَيّها الناس، إنّه قَد أقبلَ إليكُم شَهرُ الله بالبَركةِ وَالرحمَةِ وَالمَغفِرةِ، شَهرٌ هوَ عِندَ الله أَفضَلُ الشُهور، وَأيّامُه أَفضَلُ الأيّام، وَلياليهِ أَفضَلُ الليالي، وَساعاتُه أفضَلُ الساعات.

هُوَ شَهرٌ دُعيتُم فِيهِ إلى ضِيافةِ الله، وَجُعلتُم فِيهِ منْ أَهلِ كَرامَة الله، أَنفاسُكم فيهِ تَسبيح، وَنومُكم فيهِ عِبادة، وَعَملُكم فيهِ مَقبول، وَدُعاؤُكم فيهِ مُستَجاب، فَاْسأَلوا اللهَ رَبّكم بِنيّاتٍ صادِقة، وَقُلوبٍ طاهِرَة، أَنْ يُوفقكُم لِصيامِهِ، وَتلاوَةِ كِتابِهِ، فَإِنَّ الشَّقِي مَنْ حُرِمَ غُفرانَ الله فِي هذا الشهرِ العَظيم، وَاذكرُوا بِجوعِكُم وَعَطشِكُم فيهِ جُوعَ يَومِ القِيامَةِ وَعَطشِهِ، وَتَصدّقُوا عَلى فُقرائِكُم وَمَساكينِكُم، وَوَقّرُوا كِبارَكُم، وَارْحَموا صِغارَكم، وَصِلُوا أَرْحامَكُم، وَاْحفَظُوا أَلْسِنتكُم، وَغضّوا عمّا لا يَحلُّ النَظر إِليهِ أَبصارَكُم، وَعمّا لا يَحلُّ الاستِماعُ إِليهِ أَسماعَكُم، وَتَحَننوا عَلى أَيتامِ الناسِ يُتَحنَّن عَلى أَيتامِكُم، وَتُوبُوا إِلى الله مِنْ ذُنوبِكُم، وَارْفَعوا إِليهِ أَيديكُم بِالدعاءِ في

أَوقاتِ صَلَواتِكُم، فَإِنّها أَفضَلُ الساعاتِ، يَنظرُ الله عَـزّ وَجلّ فِيها بِالرَحْمَةِ إِلى عِبادِهِ، يُجيبُهُم إِذا ناجوه، وَيُلبيهِم إِذا نادوه، وَيُعطِيهِم إذا سَألوه، وَيَستَجيبُ لَهُم إِذا دَعوه.

أَيّها الناس، إِنَّ أَنفُسَكُم مَرهُونَة بأَعمالِكم، فَفكوها باستِغْفارِكُم، وَظُهورُكم ثَقيلَةٌ مِن أَوْزارِكُم، فَخَففوا عَنها بِطولِ سجُودِكُم، وَاْعلَموا أَنَّ الله تَعالى ذِكْرُه أَقسَمَ بِعِزَّتِهِ أَنْ لا يُعذِّبَ المُصَلينَ وَالساجِدينَ، وَأَنْ لا يُروِعَهُم بِالنارِ يَومَ يَقومُ الناسُ لِربِّ العالَمِين.

أَيّها الناس، مَنْ فَطَّرَ مِنكُم صائِماً مُؤمِناً فِي هذا الشَّهْر، كانَ لهُ بِذلكَ عِندَ الله عتقُ نَسَمة وَمَغفِرة لِما مَضى مِن ذُنوبِهِ.

فَقِيل: يا رَسولَ الله، وَلَيسَ كُلُّنا يَقدِرُ عَلى ذلِك. فَقال ﷺ: اتَّقُوا النارَ وَلَو بِشقِّ تَمرَة، اتَّقُوا النارَ وَلَو بِشرَبةٍ مِنْ ماء.

أَيّها الناس، مَنْ حَسن مِنكُم فِي هذا الشهرِ خُلُقَهُ، كانَ لَهُ جَوازٌ عَلى الصراط يَومَ تَزِلُّ فِيهِ الأقدام، وَمَن خَفَّفَ فِي هذا الشهْرِ عمّا مَلَكَتْ يَمينُه خَفَّف اللهُ عَليهِ حِسابَهُ، وَمَن كَفَّ فِيه شَرَّهُ كَفَّ اللهُ عَنهُ غَضَبهُ يَومَ يَلقاه، وَمَن أَكرَمَ فِيهِ يَتيماً أكرَمَهُ اللهُ يومَ يَلقاه، وَمَن وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَله اللهُ بِرَحمَتِه يَومَ يَلقاه، وَمَن قَطَع فِيهِ رَحِمَهُ قَطَع اللهُ عَنه رَحْمَتهُ يَومَ يَلقاه، وَمَن تَطَوّع فيهِ بِصَلاةٍ كَتَبَ اللهُ لهُ بَراءَةً مِنَ النارِ، وَمَن أَدّى فِيهِ فَرْضاً كانَ لَهُ ثَوابُ مَنْ أَدّى سَبْعينَ فَريضَةً فِيما سِواه مِنَ الشُّهورِ، وَمَن أَكثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلاةِ عَليَّ ثَقَّلَ اللهُ مِيزانَهُ يَومَ تَخِفُّ المَوازِين، وَمَن تَلا فيهِ آيةً مِنَ القُرآنِ كانَ لهُ مِثل أَجرِ مَنْ خَتَمَ القُرآن فِي غَيرِهِ مِنَ الشُّهورِ.

أَيُّها الناس، إِنَّ أَبوابَ الجِنانِ فِي هذا الشَّهرِ مُفَتَّحةٌ، فَاسأَلوا رَبَّكُم أَنْ لا يَغلِقَها عَليكُم، وَأَبوابُ النِيرانِ مُغَلَّقةٌ، فَاسأَلوا رَبَّكُم أَن لا يَفْتَحَها عَليكُم، وَالشَّياطِينُ مَغلُولَةٌ فَاسأَلوا رَبَّكُم أَنْ لا يُسَلِطَها عَلَيكُم.

قالَ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام: فَقُمتُ فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، ما أَفضَلُ الأعمالِ فِي هذا الشَّهرِ؟ فَقال: يا أَبا الحَسَن، أَفضَلُ الأعمالِ فِي هذا الشَّهرِ الوَرَعُ عَن مَحارِمِ الله عَزّ وَجلّ، ثُمَّ بَكى، فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، ما يُبكِيكَ؟ فَقال: يا عَلِيّ، أَبكِي لِما يُستَحلُّ مِنكَ فِي هذا الشَّهرِ.. كأَني بِكَ وَأَنتَ تُصَلّي لِرَبِّكَ، وَقَد انْبَعثَ أَشْقى الأوّلينَ وَالآخِرينَ، شَقيقُ عاقِرِ ناقَةِ ثَمُود، فَضَرَبَك ضَربَةً عَلى قَرْنِكَ فَخَضَّبَ مِنها لِحيتَكَ.

قالَ أَميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام: فَقُلتُ: يا رَسُولَ الله، وَذلِكَ فِي سَلامَةٍ مِنْ دِيني؟ فَقال: فِي سَلامةٍ مِنْ دِينِكَ.

ثُمَّ قالَ صلى الله عليه وآله: يا عَلِيّ، مَنْ قَتلَكَ فَقدْ قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغضَكَ فَقدْ أَبغَضَنِي، وَمَنْ سَبَّكَ فَقدْ سَبَّنِي، لأَنَّكَ مِنّي كَنَفسِي، رُوحُكَ مِن رُوحِي، وَطينَتُكَ مِنْ طِينَتِي، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَنِي وَإِيّاكَ، وَاصْطَفانِي وَإِيّاكَ، فَاخْتارَنِي لِلنُّبُوَّةِ، وَاخْتارَكَ لِلإمامَةِ، فَمَنْ أَنكَرَ إِمامَتَكَ فَقدْ أَنكَرَ نُبُوَّتِي.

يا عَلِيّ أَنتَ وَصيّي، وَأَبو وِلْدِي، وَزَوجُ ابْنَتِي، وَخَليفَتِي عَلى أُمَّتي فِي حَياتِي وَبَعدَ مَماتِي، أَمْرُكَ أَمْرِي، وَنَهْيُكَ نَهْيِي، أُقسِمُ بِالذِي بَعَثَنِي بِالنُبوةِ وَجَعلَنِي خَيْرَ البَرِّيةِ، أَنَّكَ لَحُجَّةُ اللهِ عَلى خَلقِهِ، وَأَمينُهُ عَلى سِرِّهِ وَخَلِيفَتُهُ عَلى عِبادِهِ.

أمالي الشيخ الصدوق ص: ١٥٣

ينابيع

مُحتويَاتُ العَدَد

كلمة العدد ٨

ملف العدد

مقتبسات موجزة من مشروع علي(ع) والمزايا الفريدة

د. فاضل منجي شكر ١٠

مزار علي بن أبي طالب في أفغانستان (مزار شريف)

حيدر شاكر ١٨

مشهد مردّ الشمس للإمام علي بن أبي طالب(ع)

خليل إبراهيم المشايخي ٢٦

قصيدة: إليك يشدّ العارفون رحالهم

المهندس عبد الرزاق عبود الأسدي ٣٢

المكتبة الحيدرية تعود من جديد

السيد هاشم الميلاني الحسيني ٣٤

قرآنيات

أساليب التوكيد في النص القرآني

د. زهير غازي زاهد ٣٨

الحال في التعبير القرآني

سيروان عبد الزهرة الجنابي ٤٤

قضايا معاصرة

جدلية الإعلام العربي وواقع المشهد العراقي

أحمد محمد هاشم ٥٢

آمن الرسول

أهل البيت(ع) في الكتاب العزيز الحلقة:٢

السيد عبد الستار الجابري ٥٦

استطلاع المجلة

مرقد الشهيد رُشَيد الهَجري

حيدر الجد ٦٦

طروحات عامّة

مفاهيم متحجّرة

ضياء بهاء محمود ٨٠

نسبة التوراة للنبي موسى(ع)

نصير الكعبي ٨٦

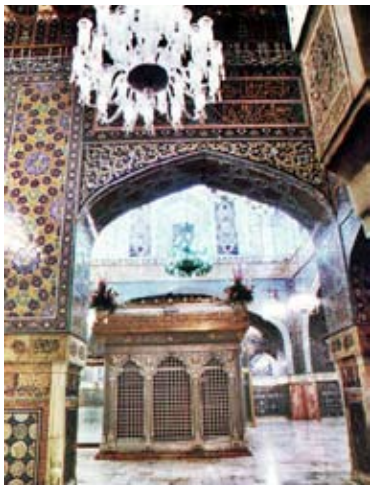

ص١١٢

ص١٨

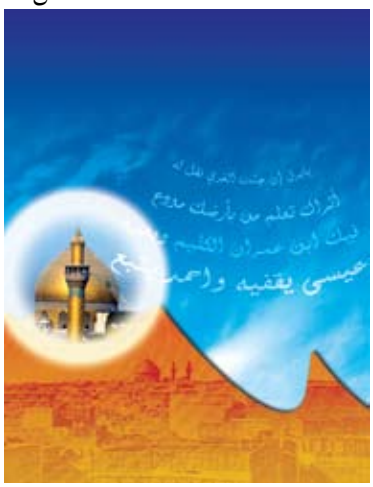

ص٩٦

ص ١٣٠

ص١٠٦

ص٨٦

في رحاب الفقه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى
سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٩٠

واحة الأدب

عينية ابن أبي الحديد المعتزلي
د. حسن الخاقاني ٩٦

إضاءات السيرة

دور وأسلوب الإمام الصادق(ع) في نشر العلوم
سـعد حاتم مرزه ١٠٦

قصيدة: حسن السبط شقّ من إحساني
السيد مرتضى السندي ١١١

وقفة مع تاريخ الإمام علي بن موسى الرضا(ع)
علي سعد النجفي ١١٢

للفضيلة نجومها

الشيخ المظفّر.. وجهوده في تطوير المناهج الحوزوية
حسين جهاد الحساني ١٢٤

السيد جواد شبّر.. من أقطاب المنبر الحسيني
فضيلة الخطيب الشيخ شاكر القرشي ١٣٠

في النفس والمجتمع

الدين وتنظيم الحياة الأسرية الحلقة:٢
هاشم حسـين ناصر المحنك ١٣٦

بحر النجف والآراء الجيولوجية عنه
د. عبد الزهرة العباسي ٦٤

الدعاء في شهر الدعاء الحلقة:١
أ. د. الشيخ صاحب محمدحسين نصّار ١١٨

لقاء مع الرادود الحسيني الملا جليل الكربلائي
أحمـد الكعبي الطويرجـاوي ١٤٠

نتائج مسابقة العدد (٦) ١٤٤
مسـابقة العدد ١٤٥

نظرةٌ موضوعيّة..

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الانحراف التاريخي الذي منيت به الأمة منذ فجرها المنير بدأت الحوادث المختلفة تمر عليها في خلال مسيرتها التاريخية، حتى كادت أن تجتمع المتناقضات، مداً وجزراً، وانفراجاً وضيقاً، وجوراً وانفتاحاً. ولم نجد من خلال التتبع واستقراء الحوادث التاريخية قاسماً مشتركاً بين تلك الفترات الخانقة منها والمنفتحة بشكل يؤمن لنا قاعدة عملية نعرف من خلالها فترات الضغط والانفتاح إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ وإن لم يغيّروا ـ كما هو الواقع العملي ـ تبقى المفارقات وعدم الاستقرار في معظم فتراتها.

لكن.. قد يتخلل تلك فترات هدوء وتغيير في الواقع السياسي العام مما يعطي ضوء انفراج وانفتاح، ولم يقتصر الحال المذكور على أمة من الأمم، وإنما هو طبيعة ترجع إلى تقدير الله تعالى في الكون، الراجع إلى أن السلوك المنحرف يؤدي إلى وضع سلبي ينعكس على الأمة أو على الفرد كلٌ بحسبه.

إن الحوادث التاريخية التي مرّت عبر القرون الماضية وما جرته من المآسي إلى وقتنا الحاضر يعطي مؤشراً واضحاً على عدم إمكان الركون إلى ما تمر به الأمة من فترات الانفتاح والانفراج مادام الخطأ العام في سير الأمة باقياً، بل لابد من الجزم بأن الحالة المذكورة غير باقية ولابد من انتهائها ورجوع الجور والاضطهاد بشكل من الأشكال حيث إن عامل الانحراف في المسيرة واحد في جميع الأدوار، وفي جميع العصور، من دون فرق بين دور وآخر، أو عصر دون عصر، ومع ذلك نرى كثيراً من أبناء العصر يحاول اعتبار الفترة المشار إليها من الفترات المثالية التي لم تمر خلال القرون الماضية، وما هو إلا من سذاجة الفكر، وعدم النظرة الدقيقة للأمور.

ويرجع هذا التصور الساذج إلى ما عليه الإنسان في طبيعة تكوينه من النسيان والغفلة، وعدم مقايسة الأمور بشكل منضبط، ومن التأثر ببهرجة الشعارات الخلابة والنظرة غير الموضوعية إلى الحاضر، مع انسجامه النفسي بما تمليه عليه الظروف الحالية.

لكن لو رجعت قليلاً في تاريخنا المعاصر ـ فضلاً عن التاريخ القديم وما بدأت به الأمة في مسيرتها منذ الفجر الأول، ومنذ أن مسك زمام الأمور من ليس أهلاً لها ـ لوجدنا عين هذه الفترة من دون فرق من حيث المضمون وإن كانت بشعارات مختلفة ومع ذلك انعكس الأمر فيما بعد وعانت الأمة منه الأمرّين، حتى بلغ الحال بهم إلى التمني بزواله والرجوع إلى العهد الماضي.. وهذا راجع في الحقيقة إلى ما ذكرنا من أنه لابد من المقايسة الصحيحة، ومعرفة إيديولوجية البشر، ولا معنى للتفاؤل غير المسؤول وغير المعتمد على أسس منطقية، فيوجب ترجيح الفترة المعنية على غيرها من الفترات، ويعتبرها لا شبيه لها، مع أن النفوس واحدة، والشهوات متحدة، وحب التسلط على الآخرين طبيعة مجبول عليها البشر، وحب الملك والسلطان وحب الجاه المترتب عليهما

آفة من آفات البشر التي امتحن بها.. وهكذا الكثير من الأسباب التي تؤدي إلى قلب الأمور سلباً في الواقع الخارجي مما يؤدي إلى التدهور السلطوي وفرض دكتاتورية جديدة، ولو على أسس مختلفة عن الأسس السابقة وبشكل آخر، فإن اختلاف الألوان لا يؤدي إلى اختلاف الملّون دائماً، كما نرى كثيراً في واقع الأمة بشكلها العام، فإن المتسلطين عليها يتحدون في دكتاتورية واحدة ويختلفون في لونها، فتارة تمنع الفئات القليلة من مزاولة أبسط الحقوق الشرعية الدينية ولو كانت على حساب مبدأ الحريات الدينية التي تقرها أغلب الأنظمة، كما نرى شيعتنا في بعض البلدان العربية، أو غير ذلك ولا مجال للدخول في هذه التفاصيل.

فلابد ـ حينئذٍ ـ من عدم الانجرار في هاوية التفاؤل واعتبار الفترة المشار إليها فترة مثالية وفرصة لا مثيل لها على مر العصور الماضية، بل الأمر على خلاف ذلك تماماً، فالفترة شبيهة بفترات كثيرة مرّت على الأمة، والقوم أبناء القوم.

نعم مع ذلك كله لابد من بيان أمرين نوضح مقصودنا فيهما:

الأول: أنا ذكرنا إمكان حدوث فترات انفتاح وانفراج لدى الأمة نتيجة التجاذبات السياسية والخارجية، وبعض الصراعات الفئوية، وغير ذلك.. فلابد من العمل الجاد خلال الانفتاح، وتأكيد القيم الدينية، واغتنام الفرصة بشكل مثمر وعلى جميع الأصعدة، الدينية منها، والاجتماعية والتربوية، فلا نعني بالمتقدم المذكور أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي ينتظر تغير الأحوال والرجوع إلى الوراء، وإن كانت الأمور بحسب المنظور الطبيعي لابد من رجوعها كذلك، لأن أسس الانحراف لم تتغير بعد.

فلابد حينئذٍ من التركيز على المبادئ العامة كالشعائر الحسينية مثلاً، لما لها من التأثير الإيجابي على النفوس، حيث إن فترة الانفتاح المشار إليها تتحول العشائر الحسينية فيها إلى تظاهرات مليونية، كما لابد من التركيز أيضاً على نشر العلوم الدينية والثقافية بشكل عام في أوساط المجتمعات، وفي مختلف الميادين الاجتماعية وهكذا.. كما لابد من إيجاد أكبر عدد ممكن من المؤسسات والبنى الثقافية الباحثة في مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية لتصبح حالة من الواقع المفروض حتى يصعب جداً تغييرها في المستقبل في ظرف الرجوع إلى الوراء.. وهكذا.

الثاني: أنا لا نعني عدم وجود أفراد نذروا أنفسهم لخدمة المذهب وأبنائه خلال هذه الفترات التي تمر في زمان الانفتاح، بل إن ذلك أمر لابد من الاعتراف به وفي جميع الأدوار، فإن أسس التغيير لابد من أن تعتمد على هذه النفوس، فنجد في خلال ذلك أناس يسهرون الليالي ويتعرضون للمخاطر البدنية وغيرها من أجل سلامة المبادئ، والحصول على أكبر قدر ممكن من الحقوق الضائعة، وفرض الكثير منه من أجل سلامة المستقبل القريب أو البعيد، حسب قدراتهم وطاقاتهم في تحصيل ذلك.

ونسأل الله تعالى لهم التوفيق والتسديد وأن يكلل جهودهم بالنجاح والفلاح، وأن يعوضهم بأفضل العوض عما بذلوه إنه ولي المؤمنين. كما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعين المؤمنين فهو وليهم ومنه نستمد العون والتوفيق ■

المشرف العام

مقتبسات موجزة من مشروع:

علي (ع) والمزايا الفريدة

• د. فاضل منجي شكر

ينابيع كثيرون هم الذين كتبوا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام... والمتأملون في شخصه عليه السلام أكثر. والكل حيرى إذ يُقرون بعجزهم عن إيفاء الرجل حقه بعد إذ انقسم الناس فيه إلى ملل ونحلٍ... لكن خزين معارفهم يدفع بصرٍ شتى من نسيج فكرهم للظهور على سطح الحدث الذي تمتلئ فيه الدنيا في كل زمان ومكان. إنهم بين أمرين، بين طيٍّ أوراقهم والركون إلى زوايا الصمت والانصراف نحو تناول شخوص آخرين هم أقرب إلى قدراتهم منالاً بعد أن يبتعدوا عن شخص الإمام والإمامة والتفاعل مع كنهها وبين إطلاق الصفات لكوامن قدراتهم واسترسال أقلامهم مستميحين الإمام عذراً فيما هم به مقصرون، ولا عجب بعد أن عجز الجميع عن نيل المراد قبلهم. ولعل عذرهم حبهم لذلك الإمام العظيم أو إعجابهم به على أقل تقدير عند بعض الفرق والشخوص حيث الذات المنصفة تجبر صاحبها على الإقرار بالحق في نهاية الطريق... الحقيقة التي فرضت نفسها حتى على ألدّ أعدائه عليه السلام... ذلك عمرو بن العاص وحتى معاوية بن أبي سفيان نفسه برغم

طلاقهم للحق.

وفي زحام ذلك السفر الخالد والملاحم العظيمة التي سطرها أصحاب الفكر والقلم العظام تأتي محاولتنا المتواضعة لتطرق باباً ربما نحن بحاجة إليه وحقيقة لابد من تناولها تختص بإبراز - المزايا الفريدة - التي اختص بها الإمام عليه السلام دون غيره من الناس طبعت

شخصيته المميزة عبر كل تلك القرون. صحيح أن مزاياه عليه السلام مشهورة للجميع لكن فرزها وإبرازها ككل مترابط يرسم صورة شخصية الإمام المتكاملة فيما هو ظاهر منها على الأقل، سوف يعين الأكثرية على الإلمام بالحد الأدنى الواجب استيعابه في هذه الشخصية الفريدة من نوعها بين الجنس البشري.

كان عليه السلام قد اجتمعت فيه المزايا حتى ازدحمت وتكثفت فيه الخواص حتى استحال على الناس إدراك حقيقتها... فتفرقوا فيه ثلاث شيع. منها (الغال) ممن تُلمت عنده بصيرة الإيمان و(القال) الذي أعمته روح الحسد والجهل... وقد هلكا بنص قول النبي صلى الله عليه وآله و(المنصفون) ممن كانوا أمة وسطاً بين الثلاث. أولئك الذي عرفوا طريقهم إلى ربهم فآمنوا بنبيه والإمام. وإن كان سبحانه قد اختار نبيه ودل على نبوته بإعجاز القرآن فقد دلّ على من اختاره إماماً بالنص والحجة والبيان فكان عليٌ من اختير دون سواه من ذرية إبراهيم عليه السلام ممن توفر فيه حصراً شرط العدالة المتكاملة بين خلق الله عزت أسماؤه بموجب عهد إلهي سابق وإنفاذاً لوعده[1] تعالى فكان عليه السلام مصداق الآية الكريمة: (...إني جاعل للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين)[2]. إذ كانت تلك محورية (المزايا الفريدة) التي اختص بها علي عليه السلام دون سواه من السابقين واللاحقين. فحق للناس مثلما حق عليهم أن يأخذوا بتلك المزايا تفكراً وبحثاً وحواراً ولئن لم يبلغ القلم مداه فذاك أمر قد سهله علينا ابن عباس إذ قال: (إن علمي بالنسبة لعلم ابن عمي علي عليه السلام كنسبة قطرة في بحر...) ومن أجل خدمة الحق والحقيقة سنتناول باقتضاب مُجهِد ذلك السفر الخالد الذي تركه لنا عليه السلام فأحارنا به والله المستعان. حيث:

- كانت الولادة في بيت الله العتيق. حدثت مرة واحدة في التاريخ لم تتكرر.

- وكان عليه السلام كذلك الوحيد الذي بدأت حياته وانتهت في بيوت الله بعد أن تلقى ضربة الكفر والغدر وهو يصلي في المحراب على يد ابن ملجم.

- علي عليه السلام كان أول من حمل هذا الاسم وكان النبي صلى الله عليه وآله هو من سماه دون والديه فكان الحمد به صلى الله عليه وآله والعلو به وبعلي عليه السلام. علو على العبودية والجهل والقيم البالية. حمل عليه السلام أسماء كثيرة لكن هذا الاسم هو الذي علا كل الأسماء فوسم به.

- وباستثناء النبوة فقد كان الوحيد عند ولادته وما قبلها من ولد على الفطرة... فكان الذي كرم الله وجهه إذ لم يسجد لصنم قط ولم يشرك بربه أحداً وخلت كل حياته من لحظة شك واحدة. كان اليقين مولوداً مع علي مع ضميره وقلبه وعقله وكل حاسة فيه. لم يكن له قرين بعد النبوة... فكان علّية القوم ابتداءً... إذ كان الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

- وكان أول من صلى خلف النبي وحيداً لم يشاركه بهذا أحد. قبل التبشير.

- وكان أول من رأى النبي صلى الله عليه وآله يتعبد في غار حراء والوحيد الذي سمع مع النبي صلى الله عليه وآله صوت الوحي. وأول من قرأ كتاباً ينزل من السماء.

وحيداً بات في فراش النبي صلى الله عليه وآله والوحيد الذي أدى هذه المسؤولية على مد التاريخ والوحيد الذي ألقى النبي صلى الله عليه وآله عليه رداءه حتى ظنت قريش أنه هو (محمد) ذلك المستلقي. لكن الإمام نجا مع كل ذلك إذ لم تنتبه قريش لقتله لتثكل عدوها (محمداً) ابن عمه أو تشفياً من ذلك الفدائي البطل المتحدي

لجبروتهم.

- وحمل الأمانات في اليوم التالي ليسلمها لأهلها... وليس هناك من ينفي أو يؤدي أو يبلغ عن النبي ﷺ غيره، كما سيأتي بيان ذلك بعد سطور. وهذا أمر يستحق منا وقفة تأمل. فالصادق الأمين لابد أن يأمن على أمانة من ائتمنه... فماذا لو قُتل علي عليه السلام ليلتها؟! هل كان ﷺ واثقاً من نجاة علي عليه السلام؟ أمر لا يُستبعد أن قد بُلِّغ به الرسول ﷺ وعندها ستكون الأمانة مصونة وإيصالها مضمون. هذا أمر لا يحتاج إلى عناء بحث. لكن ما يستوقفنا هو موقف علي عليه السلام نفسه. فالمؤكد أن النبي ﷺ سوف لن يُنبأ علياً بشيء. وسنرى: قال له ﷺ ألا تخشى القتل يا علي... قال عليه السلام: أَوَ تنجو أنت يا رسول الله. قال ﷺ: نعم. قال عليه السلام: إذن فلا أبالي. علي لا يبالي بالموت وهو مستعد له تماماً. لكن من يؤدي الأمانات بعدك يا أمير المؤمنين؟. لابد أن بصيرة الأعيان عنده عليه السلام قد طمأنته بأن الله مُنجيه كي يكمل المهمة. ولكن يحق لنا أن نتساءل عن كنه ذلك القلب الصابر المطمئن في مواجهة سيوف الجبابرة دون وجل أو خوف بل وعن تلك الثقة الغالبة في نفسه وفي قدرته على منازلة أولئك العتاة المتجمعين من كل القبائل.

قلب عامر بالإيمان مطمئن لقضاء الرحمن: وتلك صفة كذلك لم تتوفر لغيره... فهو لم يسأل عن مصيره بل قال عليه السلام: إذن فلا أبالي... ولم يقل أريد ما يطمئن به قلبي. تلك منحة الله لا يحق لأحد مناقشتها... فذلك هو علي وهكذا كان إيمانه.

- وحانت بعد ذاك لحظة الهجرة للحاق بالنبي ﷺ وأصحابه وكان فيها وحيداً أيضاً يقود حرم النبي ﷺ والأصحاب... قطع عباب الصحراء جاهداً حتى أطلّ الحبيب على حبيبه.

- وفي ساعة عقد مؤتم الإنذار (وأنذر عشيرتك الأقربين...) كان قد حطم بصوته ذلك السكون المخيم على جو الحضور حين صمت الجميع عن إجابة نداء النبي ﷺ... قد سبقه صوت نشاز صوت الباطل عدو التوحيد - أبي لهب - فجاء الصوت العاتب على لسان من سيكون وحده (الأخ والوصي والوزير والخليفة) لنبي الرحمة ﷺ... (أنا يا رسول الله أؤوزارك على أمرك... ولا يحزنك عنت القوم. أنا حرب على من حاربك منهم وسلم على من سالمك...) فمرحى لصوت الإيمان المجلجل في يوم الفصل، يوم الإنذار... الفيصل... بين الأيام.

- علي عليه السلام... أخو رسول الله ﷺ فآية أخوة تلك التي أرادها النبي ﷺ... فالجميع أخوة النبي... لا جدال... لكن كينونة أخوة علي للنبي ﷺ تبدو من النوع الخاص. هي أخوة العقيدة والمهمة المصممة أصلا في السماء. وما حصل على الأرض فلم يكن إجراءً تقليدياً بكل المقاييس. النبي ﷺ طلب أخاً دون شرط المعمر من بين شخوص كان بينهم الشيخ والفتى والكهل في مؤتمر (الإنذار) والذي توِّج أخاً للنبي ﷺ كان أصغرهم سناً!! وفي لحظة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار اختار كل صاحبه (أخاً). أما علي الحاضر فلم يطلبه أحد!! ظل وحيداً في حالة تدعو للعجب بعد إذ اكتمل عدد الأنصار بعدد المهاجرين وفَضُل علي عليه السلام كي يدعوه أخوه الرسول ﷺ

ليؤاخيه... إنه سر من أسرار الرسالة وددنا التأمل فيه قليلاً...

- قال سعد بن أبي وقاص في مجلس معاوية: (ثلاث كن لعلي لو حظيت بواحدة لكانت عندي خير الدنيا وما فيها...). قال: ما هي يا سعد؟ قال: (زوج البتول وأبو الحسنين وفارس يوم الأحزاب). لكن الأمر في غاية الوضوح لا يقبل الأمنيات يا سعد!

فزاوج علي من فاطمة كان زواج الكفيء للكفيء... وكأنهما خلقا لبعضهما حصراً. ومنهما ستثمر (الشجرة الطيبة) وستولد (ذرية بعضها من بعض). طاهرة مطهرة من نسل إبراهيم عليه السلام لتتوالى فيما بعد سلسلة الإمامة والعهد... ألم نر جميعاً أن الإمامة لم تعقد في أولاد علي عليه السلام من غير البتول فاطمة عليها السلام.

وأما يوم الخندق فالحق كان في مراد من أراد. لم يرد أي منكم سوى (علي) الذي انفرد للتصدي فاستحق ما قال النبي صلى الله عليه وآله فيه من أقوال وأدعية:

(اللهم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين...). (اللهم قد برز الإيمان كله إلى الشرك كله...). (ضربه علي لعمرو بن ود يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين...).

نالها علي عليه السلام إذن بجدارة واستحقاق وعلى لسان من لا ينطق عن الهوى.

- كان علي عليه السلام من خلف النبي صلى الله عليه وآله على المدينة عند خروج النبي في غزوة تبوك فتلك كانت الغزوة الوحيدة التي غاب عنها الإمام عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله. وعندما استفزه القوم إذ قالوا... ويا عجباً لما قالوا... فكأنهم لم يشهدوا علياً عليه السلام يتقدم الصفوف كل مرة بل وكان المتصدي الوحيد في معظمها... في أحد والخندق وحنين... قالوا: أن النبي صلى الله عليه وآله قد خشي على زوج ابنته إذ تركه على المدينة. سمع علي عليه السلام فشد الرحال تاركاً المدينة حتى لحق بالنبي صلى الله عليه وآله فأخبره بالأمر... قال صلى الله عليه وآله عندها (أما رضيت يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي...) قال عليه السلام: بلى يا رسول الله. فأرجعه من حيث أتى... عاد علي بعد أن أضاف للناس علماً جديداً. فترك النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في المدينة إذن كترك موسى لهارون في قومه... وكذا كانت المنزلة بينهما فيما خلا النبوة. ولعمري كأني بالقوم قد ندموا على ما هزُل من قولهم قبل أن يهتوا بالمزيد من البيان بحق علي عليه السلام. وفي كل مرة يعود علي عليه السلام وحده بالجائزة التي يستحق.

- وعند نزول سورة (براءة) كان النبي صلى الله عليه وآله قد دعا علياً عليه السلام للحاق بأبي بكر، أمير الحج عامها وأمره أن يبلغ الناس بما أنزل عليه صلى الله عليه وآله... لكن الحاسدين كعادتهم لم يتركوا الأمر دون استفهام واعتراض... ولكن لمَ لا يكون أبو بكر هو المبلِّغ يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: (لا يبلغ عني إلا رجل من أهل بيتي...). تلك من أهم المزايا التي تُحفظ لعلي، حرية بالفهم.

- وفي (أحد) ولّى الناس الأدبار إلا علي عليه السلام. وإذ كاد سيف الشرك أن يطيح برقبة النبي صلى الله عليه وآله. غضب صلى الله عليه وآله حيث وجد علياً عليه السلام بمفرده أمامه. قال صلى الله عليه وآله: (ما لك لم تلتحق ببني أبيك؟!) ويبدو واضحاً أن الهزيمة شملت الجميع دون استثناء... أجاب علي عليه السلام بما يشفي الغليل: (أكفر بعد إيمان يا رسول الله؟) إجابة فريدة... لعلي عليه السلام... قال النبي صلى الله عليه وآله إذن فكُفَّ عني هذه العصابة... (لا سيف إلا ذو الفقار... ولا فتى إلا علي). شهادة خصت علياً على لسان النبي صلى الله عليه وآله. وموفق كأنه صنع خصيصاً لعلي عليه السلام.

- وجاء يوم (الخندق) وما أدراك ما يوم

الخندق وما جرى فيه. معركة كانت قريش مزهوة بغار النصر (النسبي) الذي حققته في أحد وكان الزهو مشفوعاً بغطرسة القبائل التي تحالفت مع قريش هذه المرة يقابله شعور المسلمين بالإحباط يزيد من عمق أثره ذلك الحصار الرهيب الذي أحاط بالمدينة. خرق الخندق من أحد أعتى جبابرة قريش إن لم يكن أعتاهم على لسان النبي ﷺ. ويقف عمرو بن ود مرتجزاً بعد أن كرر النداء لمبارزته:

وقفت إذ جبن المشجع
موقف البطل المناجز
إني كذلك... لم أزل
متسرعاً نحو الهزائز
إن السماحة والشجاعة في
الفتى حيز الغرائز

ويتقدم علي عليه السلام بخطى المؤمن الواثق وبكبرياء تُشوش بصر الناظر. ويتحدى البطل الهمام جباراً متغطرساً رهيباً. إنه (عمرو) وعلي عليه السلام يقول وأنا علي بن أبي طالب. كان قلب النبي معلقاً بعلي عليه السلام... وعواه تخشع قلب كل مؤمن (اللهم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين). ذلك كان دعاء أبيه إبراهيم عليه السلام. النبي ﷺ سيبقى فرداً إذن بعد علي عليه السلام دون الآخرين... إذ ليس فيهم كعلي عليه السلام... ثم (وأنت خير الوارثين). أي إرث يا رسول الله؟!! ليس الخوف إذن على حياة علي عليه السلام فـ(إنك ميت وإنهم ميتون)... إنه إعلام للناس: إن علياً عليه السلام هو وارث النبي ﷺ... وهو إرث الرسالة حيث لا مال ولا ضياع... هو استمرار النبوة بصيغة الإمامة... وعلي عليه السلام هو المتوج لها وحامل لواءها منذ يوم (الإنذار) ولذا فقد (برز الأيمان كله إلى الشرك كله) قال النبي ﷺ.

قطع علي عليه السلام على عمرو نشوة غروره إذ أجابه:

لا تعجلن فقد أتاك
مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية... وبصيرة
والصدق مُنجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم
عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى
ذكرها عند الهزائز

قُتل الشرك كله... وانتصر الإيمان كله وحُسم الأمر... والحمد لله على إنجازه وعده.

- وفي (خيبر) حصلت المعجزة التي لم يُطِق استيعابها البعض ممن اهتزت عقيدتهم فأخرجتهم عن جادة الصواب. بدأت عندها ولادة الفريق (الغال) ورحم الله العمري القائل:

يا قالع الباب التي عن هزه
عجزت أكفٌ أربعون وأربع

وتضعفي السماء كرامة جديدة على علي عليه السلام. لتضيف لسفره الخالد كذلك صورة لا تنسى.

وعلني أشارك أولئك الذي فاضت مشاعرهم من أهل الإيمان بحب علي عليه السلام... لا قول بعد أن أرانا عليه السلام في كل منازلة ملحمة جديدة لها مذاق خاص ومتعة فريدة:

في كل نازلة يزف لنا هول الزلازل
فيحار عقل القائلين لأيهم كبرى المنازل
أخوان (إنّ) كأنهن لنفس قائل
والفاعل المقدام من لا تزدريه فعال فاعل

فعقيدة التوحيد غايته ورضا خليل

وبناء حق ضاع يحكم فيه عادل

سلام عليك يا أمير المؤمنين حيث أجدت... وحمداً لك يا رب على ما هديت...

- علي عليه السلام... والحق:

كُثرٌ هم أهل الحق ورجاله... لكن الحق الذي بين يدي علي عليه السلام يبدو من طراز فريد يُعرفنا به رسول الله صلى الله عليه وآله (علي مع الحق... والحق مع علي... لن يفترقا حتى يردا على الحوض). وتبدو العلة هنا. في... لن يفترقا... تلك إيماءة واضحة كي لا نظن أن علياً قد جانب الحق مرة وفي أي أمر. فهل من مزيد نحتاج إليه بعد هذا؟ بلّغ بها النبي صلى الله عليه وآله وأشهد الله على ذلك. علي عليه السلام والحق متلازمان وهما بنص الحديث دائمان حتى يردا الحوض. ورب همسة نحتاجها: (هل سنحتاج إلى الحق أكثر مما نحتاج إليه في حكم الأمة...؟!).

- علي عليه السلام... والقتال:

موضوعة لطالما أثارت فضول المفكرين والباحثين عبر التاريخ. والحق أن تلك علاقة لم نجد لها مثيلاً عند سواه. رواية وردتنا ستفكك اللغز المحير. بعد نزول الآية الكريمة: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين[٣]).

قال علي عليه السلام من بين الحاضرين (والله لن ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ولئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت...). هذا قول يقال عنه الكثير إذ يحمل بين طياته أمراً كثيرة.

القَسَم فيه واضح الدلالة بما يعكس الإصرار والثبات على المنهج والمبدأ.

أما (لن ننقلب...) فربما يكون عليه السلام قد تحدث عن الجماعة التي يعرف ثباتها جيداً فهو لن يكون الوحيد الذي لن ينقلب أو ربما قصد عليه السلام أنه ينبغي الا لا ننقلب إن كنا مهتدين. أما عن القتال فنراه عليه السلام يتحدث عن نفسه فقط (لأقاتلن...) في إشارة ربما توحي لنا بأن قرار القتال ومسؤوليته ستكون مرهونة بالمقاتل وتقع ضمن إرادته إذ لا يمكن في العقيدة الإسلامية الحقة أن تملى عليه دون رضى من نفسه. ولا أميل كثيراً إلى أن المقصود هو قتاله عليه السلام على تأويله كما قاتل النبي صلى الله عليه وآله على تنزيله. والثبات على حمده بمن اختياره، لكنه لن يكون كافياً عند الله من المؤمنين حيث اشترى منهم أنفسهم بالجنة... الجزاء الوافر. الثبات درجة في الإيمان لكن القتال عندما يتعرض الحق لخطر الزوال سيكون أعلى درجاته. وعلى هذا يقول عز وجل: (وسيجزي الله الشاكرين).

وفي معرض هذا الحديث يتحدث خالد محمد خالد فيقول: (وأي كلمة تعبر عن طبيعة المقاتل سوى (سأقاتل!) وهي كلم مشرِّفة في نظر البعض لقائلها باعتبارها جزءً من طبيعة المقاتل في إنسان أي أنها الإصرار على إنفاذ العقيدة وهذا الطبع جزء من ذات البطل).

والحق - كما أرى - إن علياً عليه السلام عندما يتمتع بذاتية البطل العقائدي الثابت بذاته أو كينونته الربانية فيكون الفعل - أي فصل - ليس تشريفاً له إنما هو تعبير عن شرف تلك الذات تظهر للوجود من خلال الحركة (القتال هنا) تماماً كالعطر الأصيل الذي يفوح ليعبر عن شرف تلك الذات الكامنة فيه والظاهرة - بعد إزالة المانع من إظهارها - من أصل طبيعة أو صيرورة العطر. على العكس من تلك الذات المعطَّرة (المشرَّفة بالعطر) حيث العطر ليس جزءاً من كينونتها إنما

أضفت عليه جديداً طارئاً شرفته به. فرائحة العطر بجوهرها إذن هي اثر الذات التي نشأت منها.

ونخلص من هذا إلى القول أن القتال لم يكن غريزة الإمام الموسومة بالهوى... المطالبة بالإشباع - حاشاه عليه السلام - إنما هي أداته العقلية وأسلوبه (اختياره) العقائدي الذي قد يلجأ إليه مضطراً كخيار لابد منه. وهو سر الربط الدقيق بين نوع القتال ونوع التحدي الذي يواجه الإمام ويستدعي منه عليه السلام الوزن بالميزان الحق الذي لا يقبل الخلل عنده مطلقاً فهو الإمام المعهود إليه بـ(العهد) نصاً.

ولعل في هذا إجابة كافية لمن يسأل عن سبب عدم انتصار الإمام في صفين!! حيث لا يمكن للإمام - كما كان لغيره ممكناً - مواجهة الوقائع إلا بما تسمح به مبادئ العدل الذي جُبل عليه عليه السلام... فلا خداع ولا تضليل ولا إكراه على قتال ولا خروج عن رأي الجماعة حتى لو آلت التداعيات التالية إلى حقيقة (الآمر الذي لا يطاع...) بنص قوله عليه السلام.

هذه فعلاً صورة فريدة أخرى عن طبيعة الإمام ومسيرة حياته. وكانت إلى جانب ما يماثلها فيه قد خصّته دون غيره وامتُحن بها دون سواه من الآخرين.

علي عليه السلام... وإدارة الحرب والدولة:

هذا موضوع يتداخل مع ما قبله لكنه جدير بالفرز. فللإمام أسلوبه الخاص كما بينا... وخصوصية رؤى الغمام دائماً تنبع من مبادئه، ومبادؤه تنطلق من فهمه لكُنْه الرسالة المحمدية وثوابت الحق الإلهي المطلوب الذي كثر ما يرى في النتائج بعين لا يراها العامة من القادة مهما بلغت كفاءاتهم.

كانت حوارات الكتب والرسائل تسبق كل فعل عسكري وفكر الحوار ساد في ساحة الواجهة سواء في ميدان المعارك أو ما قبلها وحتى أثناءها وما بعدها دائماً. ذلك لسان الإيمان وهو بالضد من لسان الكفر لسان الغدر والنكاية والانتقام بأي داع كان. لسان لطالما كان خطراً قبل أن يتقلد أصحابه مناصب الحكم فناهيك عندما صاروا هم أولي الأمر لا ينافسهم أحد إلا قتلوه.

وفي أمور الدولة وقواعد الحكم كان عقلاً متميزاً ففي وقت يحفظ فيه ثوابت الإسلام المطلوبة فإنه يوجه ويربي ويبني قواعد متطورة في مسار الدولة المطلوب بناؤها مع الزمن. إن وثيقة الحكم للأشتر كانت إعلاناً ناطقاً عبر كل العصور شهد به السابقون والمعاصرون حتى غدت وثيقة خالدة ينهل منها الفكر الإنساني في كل زمان ومكان. فكر سنحتاجه ونحن نستنبط النموذج الأمثل لبناء دولتنا الحديثة.

- استطراد سريع:

باقتضاب ودون تفصيل نحاول أن نتطرق لمزايا أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تستوعبها كل الصفحات وباسترسال لا تجمعه إلا صيغة عنوان مشروعنا (علي والمزايا الفريدة...):

١- حاجج عليه السلام الزبير فأرضاه وطلحة فأقنعه لولا الغدر بهما وعامل أم المؤمنين بما تقرّ به إلا بعد حين وقد طالها الندم فمنع جيشه من سبي نساء أهل الجمل عندما قال بعد إصرارهم تعال أقترع لكم على عائشة فمن منكم يرغب أن تكون (أمه) حصته حتى بهتوا فولوا الأدبار.

٢- كان عليه السلام سعيداً بإيمانه عالماً

باختياره (داهية) في تقدير عمره الذي امتد عبر القرون.

٣- وكان الوحيد الذي زحزح عن حقه في الخلافة ثم إلزامه بها بعد حين إذ كان وارث علم النبوة والوصي والخليفة بنص.

٤- كانت عنده (ألا تزر وازرة وزر أخرى) ولا مجال لغاية تبرر الوسيلة كما كانت عند سواه.

٥- وكانت حقوق المسلمين وأموالهم مصانة وهو صاحب الشمعة التي اكتوت بها أصابع أخيه (عقيل).

٦- كان يحرم على جيشه شرب ماء قوم لا يبيحونه لهم وإن عطشوا.

٧- العقود والعهود كانت عنده محترمة لم يخرق يوماً ميثاقاً ولم يخن عهداً قطعه.

٨- كان علي هو المبدأ بذاته لم يساوم أو يهاون أحداً دونه مهما كان الثمن المدفوع منه عليه السلام.

٩- سمو وتألق في كل المواقف وكانت شريعة الماء في صفين خير شاهد على ذلك.

١٠- خلق وعفة معدن شجاعته عليه السلام وما ترفعه عن مواجهة أولئك الجبناء الذين أخزوا العرب والتاريخ بفعلهم الدنيء في صفين غير مرة حتى أثارت مشاعر الحارث السهمي إذ قال:

أني كل يوم فارسٌ تندبونه
له عورة وسط العجاجة بادية
يكف له عنه علي سنانه
ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنّع رأ
سه وعورة بسر مثلها حُذْوَ حاثية

١١- ورغم الوعد والعهدً له بالإمامة ورغم علم أصحابه وفهمهم لحقه عليهم لكنه عليه السلام لم يأخذ عهداً من أحد لولده الحسن عليه السلام... ترك الناس يبايعونه بمحض إرادتهم.

١٢- كان أصحاب علي مرآة صاحبهم كما يكون الآخرون عادة ومجرد استعراض بعض أسمائهم سيدلك المشهد على أبطال العقيدة والخلق الرفيع... كان سلمان وأبو ذر والمقداد وحذيفة وخزيمة وعمار ومالك وميثم وسعيد ورُشيد وأبو أيوب وجابر وقيس ومحمد بن أبي بكر وآخرون هم أصحاب إمامنا... فوالله لو كان عليه السلام الأمير وهؤلاء الوزراء لتخيلنا أية مدينة فاضلة سنؤسس!!. ودعني أصفح عن ذكر شخوص المعسكر الآخر كي أحافظ على متعة الجمل والصور.

تلك شذرات يسيرة على طريق الهدى الذي رسمه لنا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الرجل الذي أبت السماء إلا رفعه فوق كل إقرانه لتلحقه بأولئك الذي اختارهم الله واختار لهم المنازل العليا من الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصالحين. وأبت كذلك العقول إلا أن تحجز له مكاناً في وجدان أصحابها من كل الألوان والأديان. فكان بحق خير وصي لخير نبي. وحسبنا أن تكون الوصاية مختومة بعلي عليه السلام بعد إذ ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله نبي الرحمة والهدى.

إننا لندعو... تعالى أن يزيننا بصورة الإيمان الحقة وبعمق البصيرة وجلاء البصر لنبلغ بذلك الصراط. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين ومن والاهم إلى يوم الدين ■

---

(١) يراجع بحثنا الموسوم (الإمامة عهد السماء وإنفاذ وعد) المنشور في جريدة (النجف اليوم) الأسبوعية العدد (٣٦) بتاريخ ١٨/ ٨/ ٢٠٠٥م.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٤.

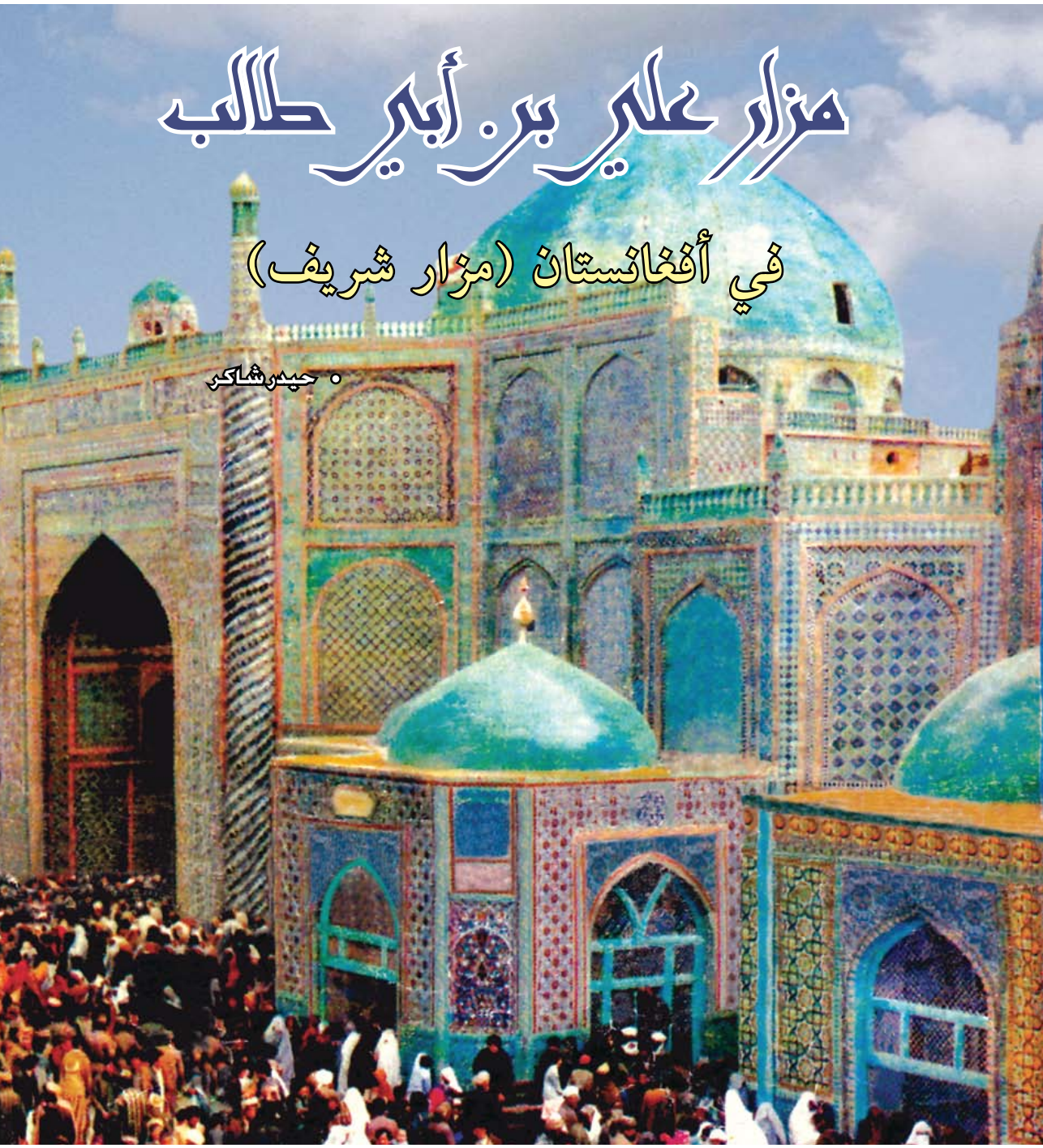

مزار علي بن أبي طالب

في أفغانستان (مزار شريف)

• حيدر شاكر

ينابيع يفتخر الأفغانيون عموماً، الشيعة منهم والسُنّة بوجود جثمان سيد الأوصياء وعلم الأتقياء، مشهور الذكر في الأرض والسماء، علي بن أبي طالب عليه السلام، في أرضهم، تلك الأرض التي شهدت بزوغ نور الإسلام عليها، فكانت إشراقاته تملأ النفوس، وتعاليمه السمحاء تبعث على الحياة الهانئة، فضم الأفغانيون الإسلام بين جوانحهم وقاتلوا دونه وضحوا لأجل بقاءه، فكانوا كما ذكرهم شكيب أرسلان بقوله: (ولعمري لو لم يبق للإسلام في الدنيا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الهملايا وهندوكوش نابضاً وعزمه هناك ناهضاً).

وقد تخرج من مدرسة الإسلام في تلك البقاع شخصيات بارزة، لعبت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي، بل وأبدعت في شتى مجالات المعرفة، فكان لها في أوج المعالي نصيباً، وفي ميدان العلم حظاً.

وكان اهتمام الأفغانيين ولازال ينصب على مزار شريف، مركز مدينة بَلْخ، وعاصمة شمال أفغانستان وبَلْخ من المدن المعروفة جداً ولها تاريخ غني، وقلما نجد مدينة لها ماض حضاري وثقافي مثل مدينة بَلْخ، فقد كانت تسمى في الماضي بأسماء تدل على مكانتها المرموقة بين المدن مثل أم البلاد، وقبة الدنيا وقبة الإسلام فهي حاضرة العلم والعلماء وقد ازدهرت بَلْخ في الماضي البعيد وكانت لفترة طويلة مركزاً للمقاومة والمعارضة ضد الأمويين والعباسيين وأعداء آل البيت عليهم السلام وملجأً آمناً للشيعة والثوار المطاردين من قبل الأمويين والعباسيين.

وكانت بَلْخ عاصمة مملكة (آريانا) القديمة وكانت تحمل اسم (بكتريا)

وتقع على بعد عدة أميال من غرب (مزار شريف)، وقد انتسب إلى مدينة بَلْخ عدد من العلماء أمثال ابن سينا البلخي وجلال الدين الرومي البلخي والرحالة المعروف ناصر خسرو البلخي وغيرهم... وبالرغم من بعد المسافة بين بَلْخ القديمة ومزار شريف، فإن الأخيرة استطاعت أن تعيد إلى بَلْخ مجدها وازدهارها.

لنتعرف على ما يُقال عن هذا المزار؟ وما هو تأريخه؟

وما حقيقة اعتقاد الأفغان في عائدية هذا القبر لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالرغم من إيمان ومعرفة الكثير منهم، بأن علياً عليه السلام مدفون في النجف الأشرف، المتعارف عليه عند عامة الكتاب والباحثين والمؤرخين، يكفي قول ابن أبي الحديد المعتزلي في قصيدته الجزلة المعروفة:

يا برق إن جئت الغري فقل له:
أتراك تعلم من بأرضك مودع

فيما يقال عن هذا المزار:

١- (...أما وجود المشهد المنسوب للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بطل الإسلام الخالد أسد الله الغالب في مدينة مزار شريف، التي أخذت تسميتها من المزار المنسوب للإمام علي عليه السلام - في شمال أفغانستان - فقد جعلت هذه المدينة أكبر منطقة للشيعة المخلصين لأهل البيت عليهم السلام). الشيخ حسين الفاضلي، أفغانستان تاريخها ورجالاتها، ص١٦١

٢- (...وكلمة مزار معناها ضريح، إذ يقع فيها ضريح سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام رابع الخلفاء الراشدين. وقد سُميت المدينة باسم مزار شريف أي الضريح الطاهر. وهي تتنازع ومدينة النجف الأشرف في العراق، ولاء الشيعة). أفغانستان بين الأمس واليوم، أبو العينين فهمي محمد، ص١١٥.

٣- (...في الوقت الحالي هناك في أفغانستان خمسة عشر ألف مسجد، أما المسجد الأكثر شعبية فهو مسجد روزاري شريف في ولاية مزار شريف وقد بُني في المكان الذي يُعتقد فيه قبر الإمام علي عليه السلام). نص مترجم من مجلة (Sept- Dec. Afghanistan Today (٤) ١٩٨٦).

٤- ومن المعروف أن الإمام علي عليه السلام استشهد في محراب مسجد الكوفة، ودُفن في ظهر الكوفة بالنجف الأشرف. (ولكن الأفغانيين السُنة يقولون إن جثمان الإمام بعد أن استشهد، أُخفي خشية التمثيل به، ثم وضع على ناقة بيضاء سارت به إلى أن حطت في هذا المكان (مزار شريف) فدفن فيه ولكن السلطان السلجوقي (سان خان) اكتشفه وتحقق منه فأمر ببناء ضريح عظيم فوقه تكريماً لمنزلة الإمام علي عليه السلام. التاريخ السياسي للشيعة في أفغانستان، أحمد أخلاقي جمن مالستاني، ص٢٦.

٥- في عهد الإمام الصادق عليه السلام وأوائل الحكم العباسي كانت هناك مؤامرة لتخريب قبر الإمام علي عليه السلام وإخراج جسده الشريف، فأمر الإمام الصادق عليه السلام أبا مسلم الخراساني بنقل جثمان الإمام علي عليه السلام إلى مكان آمن بعيداً عن متناول يد العباسيين، وقد كلف أبو مسلم الخراساني عشرة من أمراء جيشه بنقل الجثمان إلى (بَلْخ) حيث كثافة الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام ودفنه في قرية مجاورة تحولت إلى مدينة كبيرة أخذت اسم المزار. مجلة (حبل الله) الأفغانية العدد (٥١).

٦- تحت عنوان المزار الشريف (ومن العجائب ما أطلعنا عليها في كتاب موجود في خزينة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف

جاء فيه: أُبتلي أمير في بَلْخ (من ولايات أفغانستان) بجرح غير قابل للعلاج فرأى في الرؤية أمير المؤمنين عليه السلام يقول له إن علاجك مرهم لا ولا، فاستيقظ من نومته وكلما سأل من أحد علماء المذاهب الإسلامية عن المرهم لا ولا، لم يجبه أحد، حتى عُثر على أحد الشيعة هناك فقال أنا أعرفه، فذُهب به إلى الأمير وقال له: يعني الإمام عليه السلام زيت الزيتون، قال له الأمير: وكيف عرفت؟ قال: أراد الإمام عليه السلام قوله تعالى: (زيتونة لا شرقية ولا غربية) فهي لا ولا، فعالج الأمير نفسه بدهن الزيتون وشُفي من مرضه فأصبح ذلك الشخص من المقربين للأمير بسبب هذه الحادثة، وبعد فترة ذهب عدة من علماء السنة، ووشوا بالرجل حسداً عند الأمير، وأخبروه بأنه رافضي يسب الصحابة ومنهم معاوية.

أمر الأمير بمجلس يحض فيه العلماء، وسأل من ذلك الرجل: هل تسب معاوية؟ فقال له: بلى، وليس وحده وإنما كل من يسمي نفسه خليفة قبله يعني عثمان والشخص الذي وضعه خليفة له وكذلك الذي جعل هذا خليفته، وبناءً على قوله فقد طلب القضاة تنفيذ حكم القتل به بعد ثبوت ارتداده، فقال الأمير أن يأتي بالبينة على ادعائه، فقالوا له: أقم الدليل على جواز سبك لهم.

أجاب: أتعلمون أن لحاتم الطائي بنتاً، ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاة أبيها، فأعطاها قطيعاً من البقر والغنم والإبل تكريماً لجود وكرم أبيها، بالرغم من كفره، ولكن ماذا عُمل بابنة هذا النبي الأكرم بعد وفاته، فهل من الحق أن يقابل جوده وكرمه بأخذهم حق ابنته؟ لقد أخذوا منها فدكاً. عندها انقلب جميع من كان في المجلس وضجوا بالبكاء، وهكذا استطاع الشيعي بحجته هذه أن يبقى بينهم عزيزاً مكرماً ويحتمل انهم استبصروا.

بعد مرور ثلاث أعوام، توفي ذلك الرجل وشُيع باحترام وتبجيل ودُفن ووضع على قبره قبة ومزاراً وصار الناس يأتون لزيارته، ومن باب المصدافة كان اسمه علي واسم أبيه أبو طالب فكُتب على قبره: هذا قبر علي بن أبي طالب). أسوة العارفين، إعداد وترجمة محمود البدري، ص٢٢١- ٢٢٣.

٧- (...أما اليوم فإن بَلْخ تُعد من أجل مدن أفغانستان الحديثة، وفيها المزار العظيم المعروف بـ(مزار شريف) حيث دفن على ما يقال، الخليفة علي ويسمى شاه مردان أي ملك الرجال، وعلى قول خواند أمير: (إن هذا القبر الوهمي لعلي الشهيد قد اكتشف سنة (٨٨٥هـ-١٤٨٠م) يوم كان ميرزا بيقرا على كتاب تاريخ الكتب في أيام السلطان سنجر السلجوقي، حيث جاء فيه أن علياً مدفون في قرية خواجا خيران، وهي تبعد ثلاث فراسخ عن بلخ وبناءً على ذلك ذهب الوالي إلى تلك القرية ليتحرى الأمر فاكتشف لوحاً ما نصه بالعربية:

(هذا قبر أسد الله ووليه علي أخي (عوضاً عن ابن عم) رسول الله صلى الله عليه وآله) فأقيم على هذا القبر مزار عظيم، وصار منذ ذلك الحين مكرماً عظيم التكريم لدى أهل آسيا الوسطى، وهو لازال فيها من المواضع الشريفة التي تُزار). بلدان الخلافة الشرقية، كي لسترنج، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ص٤٦٤-٤٦٥.

ولنا مع هذه النصوص وقفة نستجلي فيها الأمر فنكشف عن وجه الحقيقة القناع، الذي لفعتها به الأسطورة، التي سطرها الالتباس تارة ومحاولات تغيير المسلمات تارة أخرى.

نلاحظ في الأقوال الأول والثاني ورود كلمتي (منسوب، يعتقد) وهذه الكلمات تعبر عن عدم إيمان الكاتب بصورة مطلقة، بوجود جثمان أمير المؤمنين في تلك البقعة، إذ المسألة فيها قول.

أما ما ذكره أبو العينين فهي: (إن مزار شريف والنجف الأشرف يتنازعان ولاء الشيعة) فالكلام عارٍ من الصحة تماماً، ولعله لم يأت إلى النجف فيلحظ جموع الزائرين وحشود المحبين الذي قادهم الولاء والحب والشوق لزيارة أمير المؤمنين، فالأفغانيون أنفسهم يتوافدون على النجف للثم ضريحه والتشرف بتقبيل أعتابه، أضف لهم إخوانهم من المسلمين من شتى البقاع، وليس هناك أدنى مقارنة بين مزار شريف والنجف الأشرف.

وعندما نلقي نظرة على النص الرابع نلاحظ ظهور عبارة جديدة وهي: (...ولكن الأفغانيين السُنة يقولون إن جثمان الإمام بعد أن استشهد، أخفي خشية التمثيل به، ثم وُضع على ناقة بيضاء سارت به إلى أن حطت في هذا المكان (مزار شريف) فدفن فيه...).

إذن فالكاتب في بداية النص الذي ذكرناه في النقطة الرابعة يؤمن بأن الإمام علي استشهد في محراب مسجد الكوفة، كما يؤمن بدفن الإمام بظهر الكوفة في النجف الأشرف إلا أنه يقول إن الأفغانيين السنة دون الشيعة هم الذين يقولون بنقل الجثمان المطهر إلى أراضيهم، ولنا مع الأخوة السنة هناك أسئلة تتعلق بهذا النص وهي:

١- (...أخفي خشية التمثيل به) فمن أخفاه؟ ونحن نعلم أن دفن الإمام تم بسرية شديدة وتكتم حذر للغاية، فقد اصطحب الإمام الحسن عليه السلام ثلة من أصحاب أبيه، المخلصين والحواريين الذي ثبتوا مع الإمام علي عليه السلام في أحلك الظروف وأصعب الساعات، إذن فالإمام الحسن عليه السلام كان قد عفى موضع قبر أبيه، ولا يعلم أحد فيه سوى هؤلاء الذين عرف الإمام عليه السلام موضع السر منهم، فلا إشكال ولا خوف من خشية التمثيل.

٢- (...ثم وضع على ناقة بيضاء سارت به إلى أن حطت في هذا المكان (مزار شريف) فدفن فيه...).

من الذي وضع الجثمان على الناقة البيضاء؟ وكيف سارت به طول هذه المسافة الطويلة جداً؟ فمن النجف إلى بَلْخ آلاف الكيلومترات ولو آمنا أن ذلك كان على سبيل الإعجاز، فالأولى بالإعجاز أن يتم في إخفاء قبره الذي دُفن فيه والذي ادخره له نوح عليه السلام قبل الطوفان.

ثم إن الناقة التي حطت بمزار شريف، من كان ذو علم بمقدمها، وكأن النص يهيأ القارئ إلى أن هناك شخص كان باستقبال الجثمان، وهو يعرف تماماً بأن الناقة المُسيّرة سوف تأتي إلى هنا.

ننتقل للنص الخامس الذي يقول: (في عهد الإمام الصادق وأوائل الحكم العباسي كانت هناك مؤامرة لتخريب قبر الإمام)، وهنا يمكن القول بأن معالم القبر لم تكن بارزة آنذاك بل كان مخفياً ولا يزور القبر سوى الخواص، لننظر إلى هذا النص ونمعن فيه: (فعن محمد بن مسلم قال: مضينا إلى الحيرة فاستأذنا ودخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فجلسنا إليه وسألناه عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

إذا خرجتم فجزتم الثوية والقائم وصرتم من النجف على غلوة وغلوتين رأيتم ذكوات بيض بينهما قبر، جرفه السيل فذاك قبر أمير

المؤمنين عليه السلام، قال فغدونا من غد فجزنا الثوية والقائم وإذا ذكوات بيض فجئنا فإذا قبر كما وُصف قد جرفه السيل فنزلنا وسلمنا وصلينا عنده ثم انصرفنا له عليه السلام.

فقال عليه السلام: أصبتم أصاب الله بكم الرشاد)[1].

وعندما أُحصيت زيارات الإمام الصادق عليه السلام لقبر جده عليه السلام فكانت تسعة مرات[2] فكيف يزور قبراً خالياً؟!.

وخلال أوائل حكم بني العباس، فإنهم كانوا مشغولين بتدعيم أسس دولتهم الفتية التي ظهرت على أنقاض دولة بني أمية، تلك الدولة التي حكمت بالمسلمين وجعلتهم عبيداً، فسلبت إرادتهم وحريتهم ومقدراتهم، ولا ينسى بنو العباس أتباع علي عليه السلام وأولاده الذين دعوا للرضا من آل محمد، فأين بنو العباس من قبر أمير المؤمنين عليه السلام وهم كما قلنا منهمكين بتأسيس دولتهم وتشييدها.

(فأمر الإمام الصادق عليه السلام أبا مسلم الخراساني بنقل جثمان الإمام علي عليه السلام إلى مكان آمن بعيداً عن متناول يد العباسيين).

وهذا الكلام هراء، فالإمام الصادق عليه السلام أبعد ما يكون عن أبي مسلم الخراساني، القائد الموالي لبني العباس والذي وقف مناهضاً لمن يطلب جعل الخلافة في بني علي عليه السلام، بل هو الممهد الأساس لدولة العباسيين فكيف أمره الإمام عليه السلام بذلك؟ ومتى تم اللقاء بينهما؟ وقد ذكر اليعقوبي قولاً وهو: (أما أبو مسلم الخراساني فقد كتب إلى الإمام الصادق عليه السلام قائلاً، إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فأنا أبايعك، فأجابه الإمام عليه السلام أما أنت فليس من رجالي ولا الزمان زماني)[3] وفي بعض الروايات (أن أبا مسلم أرسل كتاباً إلى الإمام الصادق عليه السلام يدعوه فيه، قال عليه السلام ليس لكتابك جواب، اخرج عنا)[4].

وأما عن أفعال أبو مسلم مع العلويين فمنها (قبض أبو مسلم على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار، الذي ثار أواخر أيام الأمويين واستولى على بعض مدن الجبال وفارس، ثم أمر بقتله أو كما قيل مات في سجنه)[5].

وحينما ذهب أبو مسلم إلى الحج، أراد التوبة لأنه كان يائساً من رحمة الله حيث قال: إني نسجت ثوب ظلم لا يبلى مادامت الدولة لبني العباس فما من صارخة إلا ولعنتني عند تفاقم الظلم)[6].

وهل يمكن لرجل بهذه المواصفات أن يكون محلاً لثقة الإمام الصادق عليه السلام؟! والإمام عليه السلام ذاك الحكيم الذي ينظر إلى الأمور بمنظار العالم، نظرة شمولية يتعرف من خلالها على سلوك الشخص والتزامه، فكيف يأمر عليه السلام أبا مسلم بنقل الجثمان إلى مكان آمن بعيداً عن متناول يد العباسيين، وأبو مسلم عبدٌ طائع وموالٍ تمام الموالاة لبني العباس؟!.

أما النص السادس فقد سردت تمام القصة لأن في ذلك توضيح لم تتم به النهاية والذي يهمنا من النص أنه قد أثبت أن المدفون في مزار شريف هو شخص يدعى علي بن أبي طالب، وكما قال: (...ومن باب المصادفة كان اسمه علي واسم أبيه أبو طالب فكتب على قبره هذا قبر علي بن أبي طالب) ثم يردف مؤكداً (وهذا المكان هو نفسه المزار الشريف الموجود بأفغانستان) وهنا بدأت الحقيقة تظهر وهي الإشارة الأولى.

بالنسبة للنص السابع والأخير فمن خلاله سنتحقق من معرفة الصواب من كلمة مؤرخ أفغانستان الشهير خواند امير (وهي

القبر الوهمي لعلي الشهيد)، وهي تدل على توهم ونسبة دون تمحيص، معتمدين على القول الذي أشرنا إليه آنفاً من أن الإمام الصادق عليه السلام طلب من أبا مسلم نقل الجثمان المطهر من النجف إلى بَلْخ، فقام بنقله ودفنه في قرية خيران الواقعة في الطرف الشرقي من مدينة بَلْخ. يذكر الأستاذ محمد عمر فرزاد في كتابه (إجمالي از تاريخ آرامياه حضرة شاه ولايت مآب در ولايت بلخ) ما هو تعريبه:

(...في أيام خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) قام الخليفة العباسي هارون الرشيد شخصياً بالتفحص الواسع والتنقيب في النجف الأشرف والتحقيق من معمري رجال الكوفة باحثاً عن موضع قبر علي حتى تمكن من العثور على حفرته التي نُقل منها رفات الإمام علي عليه السلام بواسطة أبي مسلم الخراساني إلى بلخ فنصب على تلك الحفرة عمارة لاتزال معروفة في النجف حتى اليوم)[٧]. فعلق عليها عبد الحسين الصالحي قائلاً: وهذه الرواية أسطورة من الأساطير التي لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة، وإلا فلو علم هارون بقبره في بَلْخ لكان أولى بأن يعمره بدلاً من تعمير حفرة كان بها جسده الطاهر.

كشف حقيقة القبر المنسوب في مزار شريف

يذكر الأستاذ عبد الحسين الصالحي في بحثه القيم قول ابن عنبة النسابة صاحب

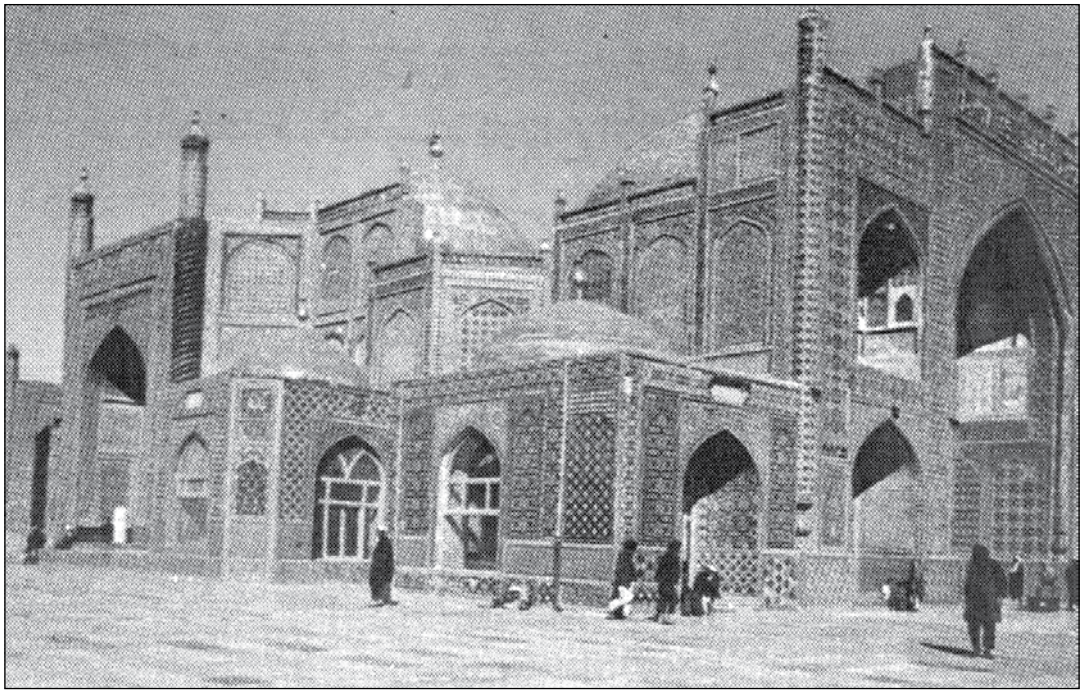

صورة قديمة لـ(مزار شريف)

عمدة الطالب المتوفى عام ٨٣٨هـ في كتاب أنساب آل أبي طالب المكتوب باللغة الفارسية، أنه دخل المزار المعروف ببَلْخ بعنوان مزار علي بن أبي طالب، وقرأ على الصخرة فوق القبر تحت الصندوق في الروضة الشريفة وفيه: (هذا قبر أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي السجاد بن الحسين السبط عليه السلام) فعلم أنه من بني الحسين عليه السلام الذي ملكوا تلك البقاع وكانوا أمراء في بَلْخ، والاشتراك في اللقب والكنية والاسم واسم الأب هو الذي أوجب الالتباس والاشتباه على عوام الناس كما صرح ابن عنبة في كتابه الفصول الفخرية الفارسي أيضاً: (إن جملة من بني الحسين الذين كانوا أمراء ونقباء وملوك في بلخ ومنهم المدفون في قرية خيران من ضواحي بلخ والمعروف حالياً بالمزار الشريف والذي ينسب قبره إلى الإمام علي عليه السلام، وكان عالماً، فاضلاً نقيب العلويين في بلخ ويسمى أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبيد الله)[٨].

وهذا ما أكده النسابة السيد عبد الرزاق كمونة النجفي في كتابه موارد الإتحاف في معرفة الأشراف في ذكر نقباء مدينة بَلْخ فبعد أن ساق نسب السيد علي بن أبي طالب الممتد إلى الحسين بن علي بن الحسين الشهيد عليه السلام، قال: (قلت: وهو صاحب المزار المشهور بقبر علي بن أبي طالب هناك)[٩].

أما الأستاذ الصالحي فيسرد تعليقاً في غاية الدقة قائلاً: (إن قرية خيران الواقعة في ضواحي مدينة بَلْخ من أملاك هذا السيد الجليل العظيم الشأن العالم الفاضل نقيب النقباء في بَلْخ وبعد وفاته دفن بها، وكتب لقبه وكنيته واسمه ونسبه المشابهة كلها كما هو معروف عن علي بن أبي طالب على الصخرة التي وضعت على قبره، وظلت مقبرته مقصداً للزائرين والوافدين ومع مرور الزمان اشتبه الأمر على الأجيال، والسبب في هذا الالتباس هو التشابه الواضح الذي ذكرناه وربما لم يتمكنوا من قراءة باقي نسبه أو لم يعلنوا ذلك سهواً وربما بعضهم عمداً وأخذوا ينسجون تلك الأساطير مثل نقل رفات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بواسطة أبي مسلم الخراساني من النجف الأشرف إلى بَلْخ)[١٠].

سلام عليك يا أبا الحسن، يا من يتمنى كل شعب أن تحتضن أرضه جثمانك المبارك، يا من سكن القلوب حبه وافتخرت النفوس بالانتماء إليه، اللهم ثبتنا على ولايته ما بقينا، وأمتنا على حبه يوم نفارق دنيانا، واجعله ولينا يلقنا الحجة عند وفاتنا وهو القائل عليه السلام للحارث الهمداني:

يا حار همدان من يمت يرني
من مؤمن أو منافق قُبلاً ■

---

(١) فرحة الغري، ابن طاووس، ص١٠٠.
(٢) مقتل الإمام علي، رسول عبد السادة، ص٢١٥.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٩.
(٤) الكافي، الكليني، ٨/ ٢٧٤.
(٥) الكامل، المبرد، ٥٨ ـ الكامل، ابن الأثير، ٥/ ٣٧٢.
(٦) الزمخشري٢/ ٨٢٧.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، بحث الأستاذ عبد الحسين الصالحي، ٨/ ٣١٥.
(٨) المصدر السابق، ص٣١٦.
(٩) موارد الإتحاف، ١/ ٦٩.
(١٠) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ٨/ ٣١٣.

مشهد مرد الشمس للإمام علي بن أبي طالب(ع)

• خليل إبراهيم المشايخي

ينابيع على بعد كيلومترين من مدينة الحلة القديمة وعلى مسار يسار طريق (حلة ـ كربلاء) يقع مشهد الشمس، والآن بعد العمارات السكنية التي شيدت مكان المقبرة الملحقة بالمقام في نهاية السبعينات من القرن الماضي... وهي المقبرة التي اتخذها بعض أهالي الحلة من السنة لدفن موتاهم، وكذلك الفقراء والمساكين... كما استخدمت غالباً لدفن الأطفال، لأنه كان لا يسمح بدفنهم في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة... ومن الجدير بالذكر أن نورد ما قاله الشيخ حمادي الكواز حينما توفي له طفل، ودفن في مشهد الشمس فقال في ذلك (سوانح: ٤٧/١):

ليهن محاني مشهد الشمس إنه
ثوى بدر أنس عنده بثرى القبر
وكان قديماً مشهد الشمس وحدها
فأضحى حديثاً مشهد الشمس والبدر

أما تغسيل الموتى وتكفينهم فكان يتم في مقام الخضر عليه السلام الواقع في محلة (الأكراد) التي لا تبعد عن المقام أكثر من ثلاثة كيلومترات... وقد اشتهرت عائلة (آل حارّة) بتشديد الراء بالقيام بهذه المهمة الإنسانية... وهذا يعني أنه لا توجد في (مشهد الشمس) مغتسل... كانت المقبرة عصية في الليل على الكثير من أبناء الحلة اقتحامها ولذلك نسجت حولها حكايات كثيرة، نضرب صحفاً عن ذكرها...

سيج المقام بسياج خارجي له باب واحدة تقع على الشارع، وأنت تلجها مخترقاً النخيل الواقعات على الجانبين حتى وصولك إلى باب المقام وتقدر المسافة بين الباب الخارجية

وباب المقام حوالي الثمانين متراً...

ينقسم المقام إلى قسمين بشكل مستطيل: القسم الأول ما إن تدخله حتى تطالعك حديقة حسنة التنظيم لا تزيد مساحتها عن خمسين متراً مربعاً تقع وراءها الباب المفضي إلى القسم الثاني... وأكثر ما يُلفت انتباهك من على جهة اليسار طارمتان رممتا حديثاً على نفقة الأستاذ (أحمد قاضي جبران) وهو سني إذ كانت المقبرة تضم قبور والده وأجداده وأقاربه وكانت قبورهم حسنة العمارة... والطارمة الأولى صغيرة فيها سلم مفض إلى سطح المقام وتلتصق بها مئذنة كانت إلى نهاية السبعينات من القرن الماضي قد تهدم أكثر من نصفها...

ومن العادات التي توارثها أهل الحلة أن نساءهم يذهبن صبيحة يوم الأربعاء إلى المقام ويصعدن إلى المنارة ومن الجزء الأعلى الباقي منها يرمين عباءاتهن طالبات من الله تعالى بحق علي بن أبي طالب عليه السلام أن يحقق أمنياتهن لاسيما اللواتي يطلبن الإنجاب أو اللواتي يردن الزواج وغيرها من أمور الدنيا... وبقيت عادة رمي العباءة حتى بنيت المنارة، فانقطعت هذه العادة، ولكن الزيارة بقيت وأخذت تتسع هذه الزيارة لاسيما في آخر أربعاء من صفر... حتى أن الشارع العام والبساتين والمقام والمسجد تغص كلها بالزوار...

ويذكر السيد هادي السيد كمال الدين صاحب كتاب (فقهاء الفيحاء، ١٣/١) وما بعدها أن المقام في الماضي اشتهر بقبته الذهبية التي لم يبق من ذهبها اليوم شيء...

أما الطارمة الثانية وهي أكبر نسبياً من الأولى فتشكل المدخل إلى محراب أمير المؤمنين الذي يقع ضمن حجرة مضلعة الشكل، تشكل قاعدة لبناء مخروطي الشكل شارع بناؤه في العهد البويهي وتسمى (الزقورة) ويبلغ ارتفاعها (٢٢) متراً أما ارتفاع المنارة (١٥) متراً، ولم يتطرق أحد ممن كتب عن المقام تاريخ البناء... ويقد عمر (الزقور) بأكثر من (٩٠٠) سنة... فلا عجب إن وجدناها الآن آيلة إلى السقوط لانعدام الاهتمام بها من قبل الأوقاف، ودائرة (مديرية الآثار) إضافة إلى ذلك فقد منعوا ترميم الزقورة أو الاقتراب منها للحفاظ عليها... وحينما سأل المستخدم الوحيد من قبل الأوقاف المدعو (عودة سلمان) عن هذه الشقوق الموجودة في أعلى الزقورة ومن كل الجوانب أخبرنا أنها حكاية قديمة (فقد أخبرنا دائرة الأوقاف في بابل ومديرية الآثار أكثر من مرة لكن أحداً لم يستمع إلينا حتى قمنا بتصويرها بأقراص ليزرية وسلمت إلى المتولي الشرعي السيد محمد حسين شبر، وبعثها بدوره إلى مكتب السيد السيستاني، ونسخة أخرى بعثت إلى الأوقاف في الحلة وأخرى إلى مديرية آثار بابل ومضت ثلاث سنوات والشقوق تتسع والرد لم يأت...

أما المسجد فيقع في الجزء الثاني من المشهد وكان سابقاً طارمة بسيطة مسقوفة بجذوع النخيل وتوجد حجارة مفخورة خضراء قديمة هي التي تحدد القبلة للمصلي، وبتوجيه من السيد مهدي الشلاه قام الوجيه عبد الرزاق حسان مرجان ببناء الطارمة من الطابوق والشيلمان (الحديد) وكذلك بنى المسجد بناءً حسناً مازال ليومنا هذا وكان المسجد يسمى سابقاً بـ(مسجد الصاعدية). أما الآن فيسمى بـ(مسجد المقام) أو (مسجد مقام الإمام علي عليه السلام)...

وكان أول مؤذن في هذا المسجد بعد إعماره (الحاج سُميّر) بضم السين وتشديد

الياء وكان يدفع له (آل مرجان) راتباً شهرياً جراء خدماته وبعد (الحاج سُميّر) صار الحاج سلمان هو المؤذن وكان معيناً من قبل الأوقاف.

ما قصة تسميته بـ(مرد الشمس)؟

إن قصة (رد الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله بدعائه وبعد النبي صلى الله عليه وآله ببابل مشهورة والروايات والأخبار من كلا الفريقين في ذلك كثيرة، وشعر الشعراء الذي سجل هذه المأثرة أكثر من أن يحصى.

ويذكر صاحب (مستدرك سفينة البحار، ٦/ ٤٨) أنه ردت الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام في زمن الرسول صلى الله عليه وآله... أما صاحب (بحار الأنوار) فينقل بأن الشمس تكلمت مع الإمام علي عليه السلام سبع مرات. (إثبات الهداة، ٥/ ٦٠-٧٢).

وجاء في (مستدرك سفينة بحار الأنوار، ٦/ ٤٧) أنه لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان في العراق، ودخلوا أرض بابل وجبت صلاة العصر فسأله المسلمون الصلاة فقال لهم: (إن هذه أرض مخسوف بها وقد خسف الله بها ثلاثاً وعليه تمام الرابعة ولا تحل لوصي أن يصلي فيه، ومن أراد منكم أن يصلي فليصلِ...).

وأخرج الحديث في كتاب (صفين) جويرية بن مسهر العبيدي إذ قال: (فتبعته في مائة فارس، وقلت والله لا أصلي أو يصلي هو ولا قلدته صلاتي اليوم، قال: وسار أمير المؤمنين إلى أن قطع أرض بابل وتدلّت الشمس بالغروب ثم غابت واحمر الأفق، قال: فالتفت إليّ ثم قال: أذن يا جويرية. فقلت: يا أمير المؤمنين العشاءين بعد لم تجب، فقال أمير المؤمنين: أذن العصر، فقلت في نفسي أأذن للعصر وقد غابت الشمس؟! ولكن عليّ الطاعة فأذنت، فقال: أقم، ففعلت، وإذا أنا بالإقامة إذ تحركت شفاهه بالكلام كأنه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو فرجعت الشمس وصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر فقام عليه السلام فكبر وصلى وصلينا خلفه، فلما فرغ من صلاته وقعت الشمس كأنها سراج في طشت، وغابت واستبكت النجوم، فالتفت إلي وقال: أذن العشاءين يا ضعيف اليقين).

وقعت هذه المعجزة على الأرجح في ١٧ شوال من عام (٣٨هـ).

ما قاله بعض كتاب ومؤرخي الحلة في مقام مرد الشمس

قال الشيخ يوسف كركوش صاحب كتاب (تاريخ الحلة، ١/ ١٢٦) (إن الشمس ذات مرة طلعت بعد ميعادها بساعتين مجاملة للإمام علي الذي تأخر عن موعد صلاة الصبح ذلك اليوم)، ويبدو من كلام الشيخ أنه لم يحف برواية (مرد الشمس) للإمام بهذا المكان، حتى أنه ذكر أن الحدث هو صلاة الصبح والمصادر كلها أشارت إلى أن الحدث هو صلاة العصر.

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه ولى صفحة (١٤٩) يذكر غير ذلك، قال: (لم نرَ في مدينة الحلة بناية مهمة تلفت النظر قد شيدت في العصر الإسلامي البتة اللهم إلا مسجداً صغيراً شيد في ذلك الوقت في الطريق الذي يصلها بمدينة كربلاء، وهذا المشهد يعرف بـ(مشهد الشمس) و(مسجد علي) وتذكر الروايات المشهورة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إلى الشمس لتقف في هذا المكان لإكمال نصره في إحدى

حروبه)، ويبدو واضحاً مدى اضطراب كلامه هذا مع ما جاء على صفحة (١٢٦) من الكتاب نفسه.

وأرى أنه يميل إلى الرأي القائل بأن (بختنصر) أحد ملوك بابل قد شيد في هذا المكان معبداً لعبادة الشمس... ذكر ذلك على صفحة (١٤٩) إذ قال نقلاً عن كتاب قديم كما يدعي يقول (بختنصر) (إنني شيدت في بابل معبداً بالآجر والقار للشمس التي تعد صاحبة السلطة المطلقة والحاكمة الناهية في بلاطي...).

ومن خلال لقاءاتي مع بعض المعمرين من سكنة البساتين المحيطة بالمقام فقد أكد لي أغلبهم بأن هناك طريقاً مرصوفة بالحجارة تمتد من باب المقام متجهة إلى نهر الحلة حيث كان هناك معبر إلى بابل ثم يستمر الطريق إلى بابل، وكذلك من خلف المقام يوجد طريق يماثله يمتد إلى برس (بور سيبا).

أما السيد هادي كمال الدين صاحب كتاب (فقهاء الحلة) فكان أكثر دقة في التعبير من زميله (يوسف كركوش) في هذا الشأن، إذ ذكر في كتابه (وفي الحلة مقام مشهد الشمس الشهير في الماضي بقبته الذهبية التي لم يبق من ذهبها اليوم شيء ويقع هذه المقام التاريخي المقدس على مسافة كيلومترين تقريباً من الحلة وله قدسيته قبل الإسلام وبعده فإن (نبو خذ نصر) أحد ملوك البابليين قد أقام في موضعه مشهداً تقام فيه طقوسهم الدينية تقديساً لآلهة الشمس، وشاءت العناية الإلهية أن يكون محل تقديس الشمس موضعاً لتقديس خالق الشمس في مشهد الشمس على يدي أمير المؤمنين عليه السلام حينما فاتته فريضتا الظهيرة والعصر وهو في طريقه إلى صفين، وقد اعترف بهذه الكرامة الكثير من علماء الفريقين).

وتعقيباً على ما ذكره السيد نقول أن الكثيرين من علماء الفريقين ذكروا فقط فريضة واحدة وهي (صلاة العصر) كما ذكروا بعد رجوعه من صفين وليس كما ذكر السيد (وهو في طريقه إلى صفين)... ثم يمضي السيد كمال الدين مناقشاً رأي ما يمنع التصديق بتلك الإعادة فأية مانعة جمع بين إعادتها للإمام في هذا المشهد وبين كونه كان قديماً مشهداً لتمثال آلهة

الشمس التي يقدسها البابليون؟! فهو موضع إلى حدثين متعاقبين يجمعها اسم مشهد الشمس ويختلفان موضوعاً وسبباً كما نعلم أن الكعبة كانت في الجاهلية موضعاً للحج ثم لما جاء الإسلام فرض الحج إليها... فهل يسوغ لعاقل أن يكذب تشريع الإسلام لفريضة الحج بزعم أن هذا الحج كان من أعمال الجاهلية؟! (١٦/١).

ما قاله الشعراء في هذا الحدث

ردت عليه الشمس لما فاته
وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها في وقتها
للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وعليه قد ردت ببابل مرة
أخرى وما ردت لخالق مغرب
إلا ليوشع أو له من بعده
ولردها تأويل أمر معجب

ومن ذلك ما قاله مجد الدين المعتزلي:

وآثار بالطعام وقد توالت
ثلاث لم يذق فيها طعاما
فرد عليه ذلك القرص قرصاً
وزاد عليه فوق القرص جاما

ومن ذلك قول ابن أبي الحديد المعتزلي:

يا من رُدّت ذكاء ولم يفز
بنظيرها من قبل إلا (يوشع)

وقوله أيضاً من قصيدة أخرى:

إمام الهدى بالقرص آثر فاقتضى
له القرص ردّ القرص أبيض أزهرا

وقال ابن نما الحلي:

جاد بالقرص والاطوى ملء جنبيـ
ـه وعاق الطعام وهو سغوب
فأعاد القرص المنير عليه الـ
ـقرص والمقرض الكرام كسوب

وللشاعر علي بن إسحاق البغدادي قصيدة

يذكر فيها حادثة مرد الشمس مطلعها:

يا سادتي يا آل ياسين فقط
عليك الوحي من الله هبط
مكلم الشمس ومن رُدّت له
ببابل والغروب منها قد قبط

ولعل هذا الشيء اليسير الذي مكننا الله تعالى من الموقوف عليه فيه بعض الفائدة نسأل الله التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير ■

قصيدة:

إليك يشد العارفون رحالهم

• المهندس عبدالرزاق عبود الأسدي

سأكتبُ عنكِ الشعرَ حتى وفاتي ... وأملأُ أوراقي وأُنضي دواتي
ليعرفَ كلُّ الناسِ أنَّ حشاشتي ... لِبُعدكِ حرّى من لظى حسراتي
فعامينِ يا سلمى بنأيكِ لم أذُقْ ... سوى النكدِ الممزوجِ بالعبراتِ
إذا حلَّ ليلي داهمَ الحزنُ مهجتي ... وأبكتني الأشواقُ بالحُرُقاتِ
جزى الله بالإحسانِ والجودِ حيدرا ... أبا سيِّدْيْ أهلِ الجنانِ التقاةِ
قطعتُ وصالي بالذينَ أُحبَّهم ... ووجَّهتُ نحو المرتضى دعواتي
دعوتُهُ في يومِ دعاءَ مُؤمِّلِ ... مُقرٍ له التفريج في الكُرُباتِ
فهيَّأ أسبابَ الوصالِ فَديتهُ ... ونجّاني المقصودَ بالطَلِباتِ
ولاحتْ ليَ البشرى تشعُّ بساعةٍ ... وقد كنتُ قبلاً دائمَ الحسراتِ
هموماً كثقلِ الراسياتِ أزاحها ... ولم يكُ بالحسبانِ منها نجاتي
فلو أنني أمضيتُ عمريَ شاكراً ... لصنعِ عليٍّ في التئامِ شَتاتي
فلستُ بموفٍ للإمامِ جميلهُ ... ولو عشتُ آلافاً من السنواتِ
فلا عجبٌ فهو الوصيُّ لأحمدٍ ... له عند ربي أرفعُ الدرجاتِ
له أرجعَ الرحمنُ شمسَ سمائهِ ... لِما فاتَ يومَ الروعِ حينُ صلاةِ
وأعطاهُ من كل الفضائلِ صَفوَها ... وإيّاهُ كم قد خصَّ في السُوراتِ
فدى المصطفى المبعوثَ بالروحِ موقناً ... وأوهجَ نورَ الله في الظلماتِ
وجمعُ الطغاةِ الكافرين أبادهُمْ ... وما ذاكَ إلا بعدَ كُثرِ عِظاتِ
ولم يكُ قتّالاً بغدرٍ وغيلةٍ ... ولا وَجِلاً في الزحفِ والنكباتِ
بدينٍ قويمٍ للسعادةِ مرشدٍ ... به من خصالِ الرفقِ خيرُ سماتِ
وإلاّ يكفُّوا عن قتالٍ وأنهم ... بذاكَ لهم عيشٌ بدون أذاةِ
وإمّا أبَوا كان النزالُ مُشَرِّفاً ... له رغمَ كيدٍ من عتاةٍ طُغاةِ

بهذا نما الإسلامُ واشتدَّ عودُهُ ... وليس كما يروي كثيرُ دعاةِ
سلامٌ وأمنُ وازدهارٌ ورفعةٌ ... وصفحٌ وإحسانٌ وطولِ أناةِ
وليس حروباً واقتسام غنائم ... وإرهابَ خلقِ الله بالسطواتِ
فهذا هو الدينُ الذي به أحمدٌ ... أتى من إلهٍ واسعِ الرحماتِ
وهذا كتابُ الله فيه جليَّةٌ ... مبادئُ أمنٍ وانتظامُ حياةِ
يعنِّفُ عدواناً ويهجو قَساوةً ... ويدعو إلى الإنصافِ والشفقاتِ
ألا أيها البكّاءُ في الليلِ رهبةً ... وحباً لربٍّ ذي عظيمِ الصفاتِ
ويا أيها الضحاكُ عند اشتدادِها ... بسوحِ الوغى والقومُ في السكراتِ
ويا من حباكَ اللهُ من فيضِ علمهِ ... بهِ تعرفُ المحجوبَ والشُّبهاتِ
صغيرٌ هو الإدراكُ مهما تَشعَّبتْ ... مسالكهُ في فهمِ تلك الهباتِ
فهل قلتَ لا أدري إذا ما تعكَّرتْ ... مسائلُ أعيَتْ كلَّ ذي درجاتِ
وهل كنتَ تلميذاً بيوم لعالمٍ ... تُرَدّدُ ما يحكي من الكلماتِ
فحاشا ـ سوى المبعوث للناس ـ لم يكنْ ... يغذّيك إنسانٌ من النفحاتِ
لقد كنتَ باباً للإلهِ وعلمِهِ ... فمن رامَ علماً فهو نحوكَ آتي
إليكَ يشدُّ العارفون رِحالَهم ... ويقصدُك الأفذاذُ في الأزماتِ
وقد حُزتَ يا خير الأنامِ سماحةً ... ورفقاً أراها تُخجلُ النسماتِ
فتصفحُ عمَّن أظهرَ الحقدَ مبغضاً ... ولطفاً تُقيلُ القومَ من عثراتِ
وتخشى حسابَ الله هو أنّ عنزةً ... تجوعُ بأقصى الأرض في الفلواتِ
وإنكَ للأيتامِ أمٌّ ووالدٌ ... فلم يفقدوا ـ مادمتَ ـ أهلَ صلاتِ
وللفاقداتِ الزوجَ كنتَ وليَّها ... تبرُّ بها بالعطفِ والحسناتِ
وتأمرُ حكاماً بعدلٍ ورحمةٍ ... ونأيٍ عن الإجحافِ والسقطاتِ
وأحسبُ بعدَ الجُرحِ لو عشتَ لم تكن ... لضاربكَ الملعونِ ذي الشفراتِ
سوى مُكرمٍ يحميه عَصفَ مشاعرٍ ... رأتْ هامَكَ المفلوق بالضرباتِ
لقد حِرتُ في هذي الطباعِ وحُسنِها ... وفي كُنهها قد قَصَّرَتْ قُدراتي
فوالله ما هذا من الناس إنّما ... من الله نورٌ شعَّ في العُتُماتِ ■

المكتبة الحيدرية..
تعود من جديد

• السيد هاشم الميلاني الحسيني
مكتبة الروضة الحيدرية المقدسة

ينابيع لقد كان للمكتبة دور مهم في حفظ التراث ونقله بسهولة ويسر من جيل إلى جيل، وبالخصوص حفظ المخطوطات التي هي ثمرة جهود مضنية قد تكلف الباحث والمؤلف فترات زمنية طويلة من حياته إضافة لم يبذله من مال في توفير مستلزمات الكتابة من حيث الدواة والأقلام والقراطيس التي كانت ذات أثمان باهضة مقارنة بوضعها اليوم. وما ذلك إلا لحفظ العلم اقتداءً بقول نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله: (قيّدوا العلم بالكتاب) (تحف العقول/ ٣٦).

كما قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (اكتب ما أملي عليك) (الأمالي، الصدوق/ ٤٨٥). ومن هذا المنطلق نشأت المكتبات في العصر الإسلامي، وأنشئت بيوت خاصة لجمع الكتب وحفظها في

العواصم والحواضر الإسلامية.

ويحدثنا التاريخ بأن بعض العلماء والوزراء كانت لهم مكتبات ضخمة ببغداد، فقد ورد بأن خزانة السيد المرتضى كانت ثمانين ألف مجلد، وفي الري كانت كتب الصاحب بن عباد، كافي الكفاة تحتاج إلى سبعمائة بعير لحملها، والى غيرها من المكتبات التي كانت ببغداد وغيرها من المدن الإسلامية.

ولا يخفى أن أهمية المكتبات تتضاعف في زماننا هذا، ولاسيما بعد انتشار أزمة فقدان الهوية في الجوامع البشرية، وما نراه من تزايد المعلومات، وكثرة تشعبها وصعوبة حصرها في مكان واحد من دون الاستعانة بالمكتبات العامة. فالمكتبة في واقع الأمر مؤسسة علمية ثقافية تهدف إلى جمع مصادر المعلومات ووضعها في متناول القراء والباحثين من أجل استخدامها في الأغراض الثقافية والعلمية.

تاريخ ظهور المكتبة الحيدرية:

وكان الاهتمام بالمكتبة أمراً شائعاً عند العلماء وأصحاب الفكر والملوك والوزراء، فالحواضر الإسلامية تعج بعشرات المكتبات، منها مكتبات عامة تفتح لأجل خدمة القراء والباحثين وفيها خاصته موضوعة في بيوتات خاصة، وهي مقتنيات شخصية، من تلك المكتبات مكتبة الروضة الحيدرية والتي عرفت على مر العصور بأسماء مختلفة، فتارة تعرف باسم (مكتبة الصحن العلوي) و(الخزانة العلوية) والخزانة الغروية وأخرى المكتبة الحيدرية، وهذه المكتبة لم يعرف مقرها بالضبط، وذلك نتيجة لما طرأ على المرقد الطاهر من تعميرات وعمارات. أم سنة تأسيسها فهي مجهولة عدا ما يحدث به التاريخ حيث يصرح بأن تأسيسها يعود إلى ما يقارب القرن الرابع الهجري، ورد بأن عضد الدولة البويهي المتوفي عام (٣٧٢هـ-٩٨٢م) كان ينفق عليها ويعنى بها، ومع ذلك فتكوينها وإنشاؤها يرجع الفضل فيه إلى جهود الطلبة الوافدين من أقطار العالم الإسلامي. وفيها ما يقرب من (٤٠٠) مصحف بخطوط مختلفة، ومن هذه المصاحف مصحف قديم مكتوب على الرق بالخط الكوفي، وتنسب كتابته إلى الإمام علي عليه السلام، فضلاً عن مصاحف ثمينة لأشهر الخطاطين، محلاة بالذهب، وهي من هدايا سلاطين، وملوك ووزراء، في مختلف العصور، كما تضم كثيراً من المخطوطات الأخرى، أكثرها نادر.

وقد اشتهر فهرس مخطوطات المكتبة الحيدرية لما يضمه من مخطوطات كانت تُنسخ بيد مصنفيها إضافة للمصاحف الشريفة المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام. وشيئاً فشيئاً اتسعت هذه المكتبة باتساع رقعة النجف وازدياد عدد الوافدين على مدينة العلم الكبرى، لاسيما بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف وتأسيس الحوزة العلمية، مما أدى إلى توجه رواد العلم والمعرفة نحوها للدرس والاستفادة وهذا بدوره أدى إلى تفعيل دور مكتبة الروضة الحيدرية واتساعها وتنوعها.

واستمر الأمر بهذا المنوال إلى القرن الثامن الهجري، حيث شبت حريق في الروضة المطهرة، وأحرق معظم هذه المكتبة، ثم قام بتأسيسها من جديد السيد صدر الدين الآوي من ذرية الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد عليه السلام مستعيناً بالعلم العليم، فخر المحققين ابن العلامة الحلي، وسميت بالخزانة العلوية، وذلك سنة (٧٦٠هـ)، وحين

مات الآوي الحسيني، أوصى إلى ابن أخيه بأن يشتري بثلثه من الميراث الكتب ويقفها على الخزانة العلوية، وكذلك أوقف ابن العتايقي الحلي (من رجال القرن الثامن)[1] والسيد جلال الدين بن عبد الله بن شرفشاه الحسيني (من رجال القرن التاسع)[2] كتبهم على الخزانة العلوية. وهكذا تكاملت المكتبة بصورة تدريجية، وبلغت كتبها عشرات الآلاف بما فيها نسخ القرآن الأثرية وكتب الأدعية وسائر العلوم الدينية[3]، وقد ذكر صاحب كتاب تحفة العالم السيد جعفر بحر العلوم، بأن فيها من نفائس العلوم المختلفة التي لم توجد في خزائن السلاطين.

اندثار المكتبة:

لا نعلم الأسباب التي أدت إلى تدهور وضع مكتبة الروضة الحيدرية، فبالرغم من تاريخها المزدهر وما حوته من أمهات الكتب المخطوطة إلا أننا نرى شبه ثغرة مظلمة بين تلك العهود التي نمت وازدهرت فيها المكتبة وما تلاها من عهود اندثرت فيها الكتب والمكتبة التي تحويها فقد تعرضت هذه المكتبة إلى الإهمال وعاثت الأرضة فيها فأفسدت ذلك الإرث العلمي الضخم، كما امتدت إليها الأيدي، فأخذت ما أخذت وأتلفت ما أتلفت، ولم يبق منها إلا النزر القليل، ونُقل بأن السيد محسن الأمين العاملي رأى في عدد كبير من المكتبات المختلفة مخطوطات موقوفة على مكتبة الصحن الحيدري الشريف، أخرجت من هناك بأغراض مختلفة.

مشروع إحياء المكتبة:

لقد كانت الكتب الإسلامية خلال عهد النظام البائد نمطاً علمياً ممنوعاً، فالشخص الذي يسأل عن الكتب الدينية، يكون عرضة للمراقبة وقد يؤدي به الأمر إلى السجن بل وقد يكلفه السؤال عن كتاب ممنوع حياته الغالية أما المكتبات، ففي النجف، كانت العيون تترصد كل من يطلب كتاباً دينياً وكان لزاماً على القائمين بالمكتبات أن يراعوا ما يصدر عن الرقابة والأمن من منع لإعارة الكتب، أما اليوم فالباحث والكاتب يعانيان من

أزمة قلة المصادر، إضافة للوقت المحدد في المكتبات ومن هنا، فقد وجد مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)، إن الفرصة مؤاتية لإحياء مكتبة الروضة الحيدرية، وفي الحقيقة إن إحياء المكتبة هو مشروع ثقافي ديني شامل، يحاول بعون الله المساهمة في التوعية الثقافية والدينية بصورة جادة.

المكتبة اليوم:

تم افتتاح المكتبة بصورة رسمية بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢٦هـ في ذكرى ميلاد الزهراء عليها السلام. والمكتبة تقع مما يلي مقبرة السيد كاظم اليزدي قدس سره، في الطابق الأول ولها باب خارجي يطل على امتداد شارع زين العابدين عليه السلام، مقابل الضلع الخارجي البعيد من جامع الطوسي، وقد خطت كتيبتها العليا (مكتبة الروضة الحيدرية)، وعندما ترتقي السلم، يطالعك الباب الرئيسي لقاعة المكتبة، التي تحيط بها رفوف، تنوعت فيها العناوين بتنوع العلوم والمعارف والآداب التي تتناولها، وأغلبها كتب مطبوعة حديثة إضافة للكتب القيّمة ذات المضامين المهمة والمطبوعة حديثاً والتي لا غنى للباحث والكاتب عنها، وتتخلل القاعة كراسي ومناضد معدّة لراحة مستخدمي المكتبة، يكون الدوام في المكتبة من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الواحدة والنصف ظهراً ومن الثالثة وحتى السابعة والنصف مساءً عدا يوم الخميس ووفيّات المعصومين.

تتكون المكتبة من المكتبة العامة ومكتبة مختصة بأمير المؤمنين عليه السلام والمكتبة الإلكترونية وموقع للمكتبة على الإنترنت.

كما تم تفعيل قسم التحقيق والنشر وهو الآن بصدد إنجازه عدة أعمال منها:

١ـ تحقيق نهج البلاغة.

٢ـ سلسلة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، يبدأ بالمحسن السقط عليه السلام.

٣ـ سلسلة مشاهير المدفونين في الحرم العلوي المُطّهر.

٤ـ ترجمة شرح غرر الحكم للآمدي والشارح هو آغا جمال الخونساري.

أما قسم الدراسات والبحوث فقد قام بطبع كتاب الكشاف المنتقى في علي المرتضى عليه السلام والمكتبة تدعو الباحثين والمحققين والكتّاب ممن كتب في الإمام علي لمراجعتها لغرض دراسة إمكانية طبع نتاجاتهم.

والمكتبة تفتح أبوابها أمام البيوتات والأسر العلمية الذين يرغبون بتوقيف كتبهم ومكتباتهم والنسخ الخطية (المخطوطات) عن طريق الإهداء، كما أنها تعلن استعدادها عن شراء المخطوطات.

وأخيراً نقول اللهم تقبل منا جهدنا هذا خدمة للعلم وطلاّبه، ونحن بجوار حامي الحمى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ■

---

(١) وهو عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم المعروف بالعتايقي، المهندس الأديب الصوفي كمال الدين المعروف بابن العتايقي الحلي صاحب التصانيف الموجودة بعضها بخطه في الخزانة الغروية.

(٢) فقد وقّف نسخة الجزء الثاني من التبيان للشيخ الطوسي للخزانة الحيدرية.

(٣) فقد ورد الشيخ الكفعمي صاحب كتاب البلد الأمين المشهد الغروي وأقام به وطالع في كتب الخزانة للحضرة الغروية ومن تلك الكتب ألّف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم.

أساليب التوكيد
في النص القرآني

• د. زهير غازي زاهد

ينابيع **التأكيد في اللغة: التقرير والتوثيق، وفي الاصطلاح: أسلوب من أساليب العربية يؤدي بطرق وصور تكون حينا بأدوات التوكيد وحينا باستعمالات وبنيات يؤدي استعمالها إلى دلالة التوكيد كالحال المؤكدة أو الظرف أو تقديم ما حقه التأخير وغير ذلك.**

لقد استعمل القرآن الكريم ضروب التوكيد المعروفة في العربية، فنجد صور التوكيد بالأدوات وبغيرها مبثوثة في نصوصه. وسأتعرض لنماذج من ذلك. التوكيد من وظائف الكلام ومعانيه يؤديه المتكلم أو المرسل حين يكون المتلقي في حالة شك أو إنكار، أما إذا لم يكن كذلك فيلقى الكلام على صورة الإخبار لا يحتاج إلى التوكيد، وأما إذا كان المتلقي في شك فيكون إخباره مؤكدا بمؤكد واحد غالبا وإذا كان منكرا فبأكثر من مؤكد لإزالة الإنكار. وهنا تتمثل مقولة البلاغة العربية: لكل مقام مقال. وقد اجتمعت هذه الحالات المذكورة في قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ،

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيهِمُ أَثْنَيـنِ فَكَذَبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِث فَقَالُـوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مرْسَـلُون، قَالُوا مَـا أَنتُـمْ إِلاَّ بَشَـرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْـزَلَ الرَحْمن من شَـيءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذبُونَ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَـمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَـلُونَ، وَمَـا عَلَيْنا إِلاَّ البَـلاغُ المُبِينُ، قَالُوا إِنَّـا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَّـمْ تَنْتَهُـوا لَنَرْجُمَنَكُـمْ وَلَيَمَسَّـنَّكُمْ مِنَّا عَـذَابٌ أَليمٌ) (يس:١٣-١٨) فـي هذه الآيات صـور من التوكيد فحيـن جاء أهل القرية المرسـلون شـكوا بهم ولـم يصدقوهما فعـززوا بثالـث فجـاء توكيـد الخطـاب بمؤكـد واحد وهو (إن) لإزالة الشـك من الخاطـب ثـم أنكروا قول رسـل عيسـى بثـلاث عبارات ؛ فجاء الخطاب هذه المرة مؤكدا بثلاثة مؤكدات هي القسم و(إن) ولام التوكيد.

هذه ثـلاث صور للـكلام: إخبـار ثم توكيـد الإخبـار لإزالة الشـك ثم تكرار التوكيد لإزالة الإنكار.

قال الزركشي في مستويات التوكيد هذه: (ويراعى في القوة والضعف بحسـب حـال المنكـر كما فـي قولـه تعالى عن رسل عيسى) وذكر الآيات التي ذكرناها [البرهان ٢/ ١٩٥].

أمـا أدوات التوكيـد المسـتعملة فـي النص القرآني فهي أنواع:

١ـ مـا يتصـل فـي الأسـماء ويعـد مـن مؤكدات الجمل الاسـمية وهي (إنّ) التي

لا تستعمل إلا للتوكيد، ويكثر استعمالها في القرآن الكريم. قال تعالى: (إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) (يوسف:٥٣). وقوله في مخاطبة إبليس عند امتناعه عن السجود: (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَومِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِين) (الحجر:٣٧، ٣٦، ٣٥)، وتستعمل (إن) للتوكيد وحدها في الجمل الاسمية أو مع لام التوكيد كما مر قبل قليل، كثيرا في القرآن الكريم.

٢- ما يتصل بالأفعال، ويعد من مؤكدات الجمل الفعلية وهي نون التوكيد الثقيلة والخفيفة، والثقيلة أكثر توكيدا من الخفيفة. وقد مر في تهديد أهل القرية للمرسلين وإنكارهم لهم في قولهم (قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم) (يس:١٨) فيها توكيد تطيرهم وإنكارهم ثم يأتي التهديد بالقسم في اللام الموطئة (لئن) ثم نون التوكيد الثقيلة في الفعلين المتصلين بلام جواب القسم، وهو تهديد صادر من نفس حقود تنكر الحق وتميل إلى الفتك إذا امتلكت السلطة والسلاح.

وجاء في معرض تهديد امرأة العزيز ليوسف استعمال التوكيد نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة في قوله تعالى: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) (يوسف:٣٢). ومن ذلك ما جاء في عصيان إبليس لربه بقوله: (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين) (الحجر:٣٩) وهذا النوع من التوكيد وهو استعمال النون المتصلة بالفعل للتوكيد جاء كثيرا في القران أيضاً.

٣- ما يستعمل من الأدوات مع الأسماء والأفعال فهو مشترك بينهما مثل:

أ - لام التوكيد: وهي ترد في مواضع: منها لام الابتداء كما في قوله تعالى (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) (مريم ٧٠). وحين تدخل (إن) المؤكدة على الجمل الاسمية تنتقل اللام إلى خبرها وهي التي أسماها النحويون باللام المزحلقة وتبقى متصلة باسمها إذا تقدم الخبر، كقوله تعالى: (إنا إليكم لمرسلون) (يس:١٦)، وقوله: (وإنا له لناصحون) (يوسف:١١)، وقوله: (وإنا له لحافظون) (يوسف:١٢)، وقوله:(قال إني ليحزنني أن تذهبوا) (يوسف:١٣).

وتأتي اللام موطئة للقسم قبل (إن) الشرطية كما في قوله تعالى: (قالوا لئن آكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون) (يوسف:١٤)، وتأتي في جواب القسم كما في قوله تعالى: (فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) (مريم:٦٨).

ب - اسلوب الحصر والقصر ويؤدى بطريقتين:

إحداهما: استعمال (ما) أو (لا) أو (إن) النافيات مع إلا التي للحصر كقوله تعالى: (ما أنتم إلا بشر مثلنا) (يس:١٥)، وقوله: (وما علينا إلا البلاغ المبين) (يس: ١٧)، وقوله: (إن انتم إلا تكذبون) (يس:١٥) وقوله: (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) (المؤمنون: ٣٧).

الطريقة الأخرى: استعمال (إنما) وهي مركبة من (إن) المؤكدة مع (ما) الزائدة فهي بهذا التركيب تفيد القصر

والتوكيد كما في قوله تعالى: (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) (غافر:٣٩)، وقوله تعالى: (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) (محمد:٣٦)، وقوله: (إنما يتذكر أولوا الألباب) (الرعد: ١٩).

٤- التكرار وهو قسمان:

أ - التكرار اللفظي وهو تكرار الكلمة أو الجملة بلفظها للتوكيد كما في قوله تعالى (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا، وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (الفجر:٢١، ٢٢)، وقوله: (هيهات هيهات لما توعدون) (المؤمنون:٣٦).

وقد يكون بتكرار الجملة كقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا) (الشرح:٥،٦)، وقوله: (وما أدراك ما يوم الدين، ثم ما أدراك ما يوم الدين) (الانفطار:١٧،١٨)، وقوله: (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون) (التكاثر:٣، ٤).

ب - التكرار المرادف أو المعنوي، وهو ما سماه النحويون بالتوكيد المعنوي ويكون بألفاظ هي (نفس، عين، كل، جميع، أجمع، كافة) كلها يستعمل في العربية ولكن المستعمل في القرآن الكريم من هذه الألفاظ للتوكيد ألفاظ الشمول كل و أجمعون وجميع.

كل: وهي تفيد الشمول والاستغراق كقوله تعالى:(كل امرئ بما كسب رهين) (الطور:٢١)، وقوله تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) (المدثر:٣٨)، وقوله تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) (المؤمنون:٥٣)، وقوله:(كل نفس ذائقة الموت) (آل عمران:١٨٥). فهي في هذه الآيات تفيد الشمول والاستغراق لكنها إذا أضيفت إلى ضمير يطابق الاسم السابق المراد توكيده أفادت في هذه الحالة التوكيد الذي نحن بصدده كما في قوله تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) (الحجر:٣٠، ٣١)، وقد تقترن (أجمعون) مع (كلهم) كما في هذه الآية لزيادة التوكيد وقد تأتي وحدها وهي تستعمل استعمال جمع المذكر السالم في إعرابها ولا توصل بها (آل) لأنها دالة على التعريف دون (آل) كقوله تعالى: (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (البقرة:١٦١)، وقوله: (و لأغوينهم أجمعين) (الحجر:٣٩).

و(أجمعون) جمع أجمع لا يراد به التفضيل إنما استعمل دلالة على الصفة وأريد به معنى (كل) لإفادة الإحاطة والتوكيد.

وأما لفظة (جميع) فهي بمعنى الاجتماع وقد تأتي وصفاً كما في قوله تعالى:(وإنا لجميع حاذرون) (الشعراء:٥٦)، وقوله: (أم يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع ويولون الدبر) (القمر:٤٤، ٤٥) أي مجتمعون، ولكن قد تأتي للتوكيد دون الوصف الذي مر ذكره ففي قوله تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعاً) (النور:٣١)، لا يراد بها معنى مجتمعين إنما يراد توبوا كلكم، وكذلك قوله تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) (الأعراف:١٥٨) أي لكم كلكم وليس لكم مجتمعين. فهي تؤدي في هاتين الآيتين معناها لو كانت مضافة إلى ضمير مطابق للمؤكد كما هي (كل) ولو أضيفت إلى ضمير وقلنا (جميعهم) لما كان معناها إلا التوكيد كما جاء في كتاب سيبويه

١٨٩/١، على أن جميعا قد تأتي دالة على المعنيين بمعنى كلكم ومعنى مجتمعين كما في قوله تعالى: (ويوم نحشرهم جميعا) (الأنعام:٢٢).

٥- صور أخرى للتوكيد:

القسم: وهو وسيلة وأسلوب من أساليب التوكيد ويؤدى بطريقتين:

أحدهما الظاهر سواء بإظهار القسم أو أداته كقوله تعالى: (والسماء ذات الحبك، إنكم لفي قول مختلف) (الذاريات:٧، ٨) وقد مر بنا قول الرسل لأهل القرية المنكرين (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) (يس: ١٦) أو قوله: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) (الأنعام:١٠٩). وأكثر ما استعمل القران الكريم هذا الأسلوب استعمله بأدوات القسم والواو أكثرا استعمالا كقوله: (والفجر وليال عشر) (الفجر: ١، ٢)، (والليل إذا يغشى) (الليل:١). ثم التاء كقوله تعالى: (وتالله لأكيدن أصنامكم) (الأنبياء:٥٧)، (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) (الشعراء:٩٧).

اللام الموطئة للقسم: وهي التي تركب مع (إن) الشرطية كما مر ذكره، وهناك ألفاظ تستعمل في القسم هي: عمرك في قوله تعالى: (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (الحجر:٧٢). واستعملت العربية ألفاظا أخرى مثل (أيمن الله، عمرك الله، قعدك الله) ولم ترد بهذا التوكيد في القران الكريم. وسنفصل الكلام في اسلوب القسم بمقالة لاحقة إن شاء الله.

المصدر المؤكد: وهو المفعول المطلق كقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (النساء:١٦٤)، (والصافات صفا، فالزاجرات زجرا) (الصافات:١، ٢)، (يوم تمور السماء موراً، وتسير الجبال سيراً) (الطور:٩، ١٠).

الوصف الذي للتوكيد: كقوله تعالى: (فدكتا دكة واحدة) (الحاقة:١٤)، وقوله: (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) (الحاقة:١٣). فلفظة واحدة في الآيتين لا تبين العدد فهو واضح من صيغة (دكة)، (نفخة) إنما هي مؤكدة.

الحال التي من معنى الفعل: كقوله تعالى: (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (العنكبوت:٣٦)، وقوله: (ثم وليتم مدبرين) (التوبة:٢٥). فالحال (مفسدين)، (مدبرين) جاءت من معنى الفعل لتوكيده.

وكذا الحال المؤكدة للجمعة في قوله تعالى: (شهد الله أنه لا إله ألا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط) (آل عمران:١٨) لأن الشاهد به لا إله إلا هو قائم بالقسط كما ذكر الزركشي في البرهان ٤٠٤/٢.

ضمير العماد: أو ضمير الفصل على اصطلاح البصريين. وهو ضمير منفصل للرفع يذكر للتوكيد كما في قوله تعالى: (وأولئك هم المفلحون) (البقرة: ٥). فالضمير (هم) جاء للتوكيد بعد المبتدأ (أولئك). وقوله: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق) (سبأ: ٦)، وقوله: (إني أنا الله رب العالمين) (القصص:٣٠)، وقوله: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) (البقرة:٣٥). وقوله تعالى: (فاذهب أنت وربك فقاتلا) (المائدة:٢٤)، فالضمير الذي يذكر للتوكيد يكون ضمير رفع منفصلا كما سبق [انظر الكتاب ١/ ٣٩٥].

ومن المؤكدات أيضاً الحرف (قد) حين يدخل على الفعل الماضي فيكون للتحقيق كما ذكر الزمخشري في قوله تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (آل عمران:١٠١)، وقوله: (قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) (الشمس:٩،١٠)، وقد تتصل بها اللام التي هي بمعنى القسم كقوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) (يوسف:٧).

ومن المؤكدات أيضا الحروف التي عدت زائدة في الإعراب يراد بها التوكيد، وفي زيادتها خلاف بين المعربين والمفسرين لا مجال للخوض فيه هنا.

من ذلك الباء في خبر (ليس) أو (ما) النافية كقوله تعالى: (لست عليهم بمسيطر) (الغاشية:٢٢)، وقوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) (يوسف:١٧)، وحرف الجر (من) وزيادة (ما) بعد إذا الشرطية أو حين تركب مع الحروف الستة المسماة بالمشبهة بالفعل.

إن صور التوكيد وأساليبه كثيرة في القران الكريم ذكرت شواهد من ضروب منها وهي أهمها. وقراءة هذا النص الخالد وتفهمه تظل توحي بالمعاني وتشير إلى الأساليب العربية السليمة التي يقتدي بها الفصحاء وفرسان البلاغة ■

هلاك أبي ذر

قال محمد بن علمقة بن الأسود النخعي: خرجت في رهط أريد الحج منهم مالك بن الحارث الأشتر حتى قدمنا الربذة، فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين هذا أبو ذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد هلك غريباً ليس لي أحد يعينني عليه.

قال: فنظر بعضنا إلى بعض، وحمدنا الله على ما ساق إلينا، واسترجعنا على عظم المصيبة، ثم أقبلنا معها فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء، ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلّى بنا عليه، ثم دفناه، فقام الأشتر على قبره، ثم قال:

اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبدك في العابدين، وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكراً فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر، ثم مات وحيداً غريباً، اللهم فاقصم من حرمه، ونفاه من مهاجره وحرم رسولك (صلى الله عليه وآله)، قال: فرفعنا أيدينا جميعا وقلنا: آمين، ثم قدمت الشاة التي صنعت فقالت: إنه قد أقسم عليكم ألا تبرحوا حتى تتغدوا فتغدينا وارتحلنا.

بحار الأنوار ج:٢٢ ص:٣٩٩

الحال في التعبير القرآني
بين النحو والدلالة

• سيروان عبدالزهرة الجنابي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع نشهد في الخطاب الرباني المتمثل بالتعبير القرآني موضوعات بنائية وأنساقاً تركيبية متباينة في وجوهها البلاغية ومساراتها المضمونية مؤدّاة بأدوات لغوية عالية الفنية ليُستحصل منها أو بفعلها المبتغى الدلالي انسجاماً و المراد الإلهي المُنتخب لها، ذلك بأن الهيمنة الإعجازية للنص القرآني لم تنحصر في مضمونياته فحسب بل كانت لمنهجيته البنيوية المصاغة بأرفع الأساليب الأثر الأكبر في سيطرته على النفوس واستحواذه على العقول باطمئنان وتسليم، وإذا كان العرب هم منشأ السليقة الصافية للغة ومحك القياس الأمثل لقنوات التخاطب بها فان التشكيل اللساني للقرآن الكريم قد انزل بلغتهم المعهودة بنقاوتها النطقية وسدادها الدلالي، فكيف لا ينبهرون به انذهالاً ويطرقون أمامه وهم موطئ لغته وأرباب بيانه.

من هنا نجد أن الفرضية الواجب تأسيسها على هذا أن لا يرد لفظ أو حرف في البيان القرآني إلا وله دلالته الخاصة ومعناه المميز، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يتعداه إلى أن يكون المعنى العام للآية منسجماً مع معنى كل لفظة واردة فيه حتى إنا لو استبدلنا اللفظة بأختها لما تحقق لنا المعنى المراد بدقة؛ لان لكل لفظ خصوصية مضمونية تتفق مع مضمونية الآية بأسرها[1].

وبناءً على هذا نجد أن الخطاب القرآني له خصوصيته في التعاطي مع حيثيات الوظائف النحوية بما يدعوه أحياناً إلى الخروج على ما آمن به النحاة وتسالموا عليه في مدوناتهم التخصصية، إذ نقف في التعبير القرآني على توجيهات لغوية تخرق مقررات النحاة فيما يخص موضوع الحال من انه من جنس الزوائد اللفظية بدلالته على معنى التوكيد (الدلالة الهامشية) دون دلالته على معنى التأسيس (الدلالة المركزية) له، وسنبسط القول فيما يأتي توضيحاً وتثبيتاً.

الحال عند علماء النحو

لاشك في أن الحال تمثل إحدى وسائل توضيح مضمون الخطاب العربي؛ إذ يرد لبيان التصور الكيفي للذوات لدى المتلقي لضبط فحوى المعنى المتوخى من سوق الخطاب على هذه الهيأة التركيبية حيث اتفق علماء النحو على أن وظيفته تكمن في تفسير الهيئات المبهمة للذوات وتبيينها[2]، فإذا ما أخذ موقعه في تركيب جملة ما فانه سيكشف للمقابل صورة تكاملية عن المُخبَر عنه، فيشكل بذلك ركناً أساسياً في الدلالة يُعرب عن المراد ويحقق المطلوب، فإذا ما أُرسل زيدٌ في مَهمَّة خطيرة - على سبيل المثال - وبقي الجميع يترقب حضوره منتظراً وإذا به يعود، فيخبر أول من شاهده قائلاً: جاء زيدٌ مبتسماً، فنجد أن زيادة الحال (مبتسماً) على النص المنطوق قد جادت بالإجابة المنتظرة، لأن هيأة العودة مصوَّرة على هذا الوضع دلَّت على انجاز المهمة وإكمالها على أتم وجه، وكذا الحال لو اخبرهم المُخبر بقوله: جاء زيدٌ متجهماً، فان الإجابة تُفهم من الحال (متجهماً) قبل أن يَفَد زيدٌ على الجميع ليروي لهم فشل المهمَّة.

بهذا نصل إلى أن الحال من أهم الامكانات اللغوية قدرةً على إيصال المعلومة إلى المتلقي تصويراً ودلالةً؛ لذا يمكن من النظر إلى الحال توجيه الكثير من النصوص القرآنية بالوجهة الدقيقة، فضلاً عن قابلية إعماله في السنة الشريفة لاستشراف دلالات معينة تستنطق بغاية إدخال النص النبوي مدخله السديد في تنظيم شؤون الحياة الإنسانية، فإذا تحدث الرسول ﷺ في شأنٍ ما وهو غاضب كان لحال غضبه دلالته الخاصة، وإذا ما شوهد باسماً كانت له دلالة أخرى، وكذا الحال بورود مضامين الأحوال الأخرى في نصوص أحاديثه الشريفة.

من هنا تثبت لدينا باطمئنان مقولة (البيان) التفسيري للحال، بيد إنا نواجه النحاة وقد خلخلوا مفهوم الحال في مدوناتهم التخصصية، حيث شطروا الحال إلى شطرين: حال مؤسسة (بيانية)، وأخرى مؤكدة (تعزيزية)[3]، والبيانية تُسمى (مؤسسة)؛ ((لأنها تؤسس معنى

جديداً يُستفاد بذكرها))[٤] لذا فـ((هي تدل على معنى لا يُفهم مما قبلها))[٥] وتدعى بـ(المتنقلة)[٦] أيضاً لأنها تنقل دلالة البناء اللغوي إلى معنى جديد آخر يُزادُ على الدلالة الاسنادية الأساس. أما الحال المؤكدة فـ((هي التي يعطي معناها الكلام الذي تكون فيه))[٧] وبذلك تكون من ((التي يستفاد معناها بدونها))[٨] بالنظر إلى مضمون الجملة الاسنادي إذ يراها الرضي ((اسماً غير حدث يجيء مقرراً لمضمون جملة))[٩] قد حصل معناها كاملاً فلا تضيف هذه الحال أيّ معنى جديد عليها، وبذا تدخل في حيز الزيادة على معنى الجملة لا الزيادة فيه كما هو شأن الحال البيانية الأولى.

نقول: إن النظر إلى الحال بعين القسمة يفضي إلى نقد المفهوم الذي حدّه النحاة لها،وزعزعة وظيفته في الخطاب العربي، إذ القول بالوظيفة التوكيدية له لا توصلنا إلى بيان الهيأة والكشف عن صورة المتحدِّث أو المتحدَّث عنه ومن ثم لا تعد اختزالاً لكثير من الكلام، لان الكلام دونها يعطي معناها كقولنا (ضحك محمد مبتسماً)، (ولّى زيدٌ مدبراً)، (أرسلت إليك زيداً رسولاً)، (أطلقت الطائر حرّاً)، فان معنى التبسم معروف من الضحك، والإدبار معروف من التولية، والرسول معروف من الإرسال، والحرية معروفة من الإطلاق، فهذه الأحوال وجودها كعدمها، لأنها متلمسة سلفاً من الكلام قبلها، وهذا ما دفع بعض النحاة إلى القول بزيادة هذه الأحوال في النص القرآني[١٠]، وان وجودها إضافة لا طائل وراءها لان المعنى مدرك من الكلام بغيرها.

من هنا ينكشف لنا أن النحاة قد طعنوا في مفهوم الحال ووظيفته بحديثهم عن قسمته بمنطق التوكيد، فإذا كان النحاة قد آمنوا بالوظيفة التوكيدية للحال في الخطاب العربي سواء الإلهي منه أم البشري، فان الباحث لا يؤمن بوجود هذا النوع من الحال في الخطاب القرآني في الوقت الذي قد نتسامح مع وجوده في كلام الجنس البشري نزولاً عند نظر النحاة.

الدلالة التأكيدية للحال في التعبير القرآني

إذا كان النص القرآني أرفع النصوص أسلوباً وأتقنها خطاباً دلالياً وتعبيراً عن المراد فانه لا يرقى إلى متنه لفظ إلا وبقيت دلالته مرافقة له دون انفكاك، حيث لا يقع النظر فيه على أي لفظة من ألفاظه اللغوية إلا وتجد له أثراً بالغاً في توجيه المعنى بما ينسجم والدلالة الانسيابية للنص الذي يحل فيه[١١] وإذا ما آمنا بمبدأ استحكام الدلالة في تشكيل النص القرآني أمكننا الانفتاح بالقول أن الأحوال الواردة في التعبير الإلهي كلها تأسيسية ولا موضع للتوكيد فيها ـ كما هو في المنطق النحوي وما تشاطره من رؤيا لأكثر من مفسر ـ ذلك بان القول بالتوظيف التوكيدي للحال في القرآن يوصلنا إلى القول بالزيادة فيه؛ تأسيساً على أن صفة التوكيد هذه تجعل من معنى الحال أمراً معروفاً سلفاً في الكلام السابق عليها، ومن ثم يكون وجوده في السياق القرآني فضلة لا معنى ورائها، على حين نرى أن إخضاع الخطاب الإلهي للقواعد النحوية بتمحّض يفضي بنا إلى إغفال كمٍ

هائل من الدلالات التي تفيض للمتأمل فيما لو ترخّص من التزام القاعدة الإعرابية، وهذا - من نظرنا - لا يعد خروجاً أو تجنياً على حُرمة النظام النحوي بقدر ما ينظر له مزية فضلى للنص القرآني على النص البشري، إذ يعد التأسيس الدلالي لما يُظن بأنه توكيد من وجوه الإعجاز المضموني للكتاب المجيد، يُزاد على هذا إن النظرة المُعمَّقة إلى حيثية الاستعمال السماوي لأُسس الخطاب العربي تمنحنا الكثير من اللفتات اللطيفة التي غفل عنها منظرو علوم الخطاب البليغ مما قد يُسهم في تكوين الفهم الدلالي للنص بخطاب مُحدَّث، ولتوثيق ما فُرض سنحاول إحالة الفرضية على نطاق التطبيق القرآني علّنا نثبت ما نحن ميّالون إليه.

التطبيقات القرآنية

يرى علماء النحو وكثير من أرباب التفسير أن (الحال) قد ورد بكلتا حالتيه التأسيسية والتوكيدية في التعبير القرآني، فمما سيق تأسيساً قوله تعالى (وهو الذي أنزلَ إليكم الكتابَ مُفصَّلاً)[١٢] نلحظ لفظة (مفصلاً) قد زادت على الآية معنىً بكراً يُفتقد بفقدانها من النص، فلو اكتفى النص بالقول (انزل إليكم الكتاب) فحسب لما فهمت طبيعة هذا الكتاب ووظيفته وإنما انكشف هذا التوجيه بالحال (مفصّلاً) فالتفصيل كما يراه الطوسي ((تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى، وينفي أيضاً التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد))[١٣] وبهذا يؤدي الكتاب مهمَّة التوضيح وإظهار الحلول لكل الإشكاليات سواء كان ذلك على المستوى التصديقي الاعجازي أم على المستوى العقيدي الاستدلالي، ولولا هذه الحال لما تأسس لنا هذا المعنى من النص، وفضلاً عن هذا نجد أن البناء الصرفي للحال يُثري المعنى بدلالة جديدة ألا وهي دلالة التضعيف والإعادة، حيث ورد على هيأة (مفصّل) المشتقة من الفعل المزيد (فصّل) على وزن (فعّل) الذي يفيد تكرير الحدث والمواظبة عليه تتابعاً غير مرة، فكأن الكتاب الذي وقعت له سمة البيان لم تكن له بمثابة سمة عابرة، وإنما هي متأصّلة مستمرة فيه دالة على الثبات والديمومة، فبيانه للناس واستجلاؤهم به الحقائق يتجدد بتجدد الأجيال من دون فتور أو إخلال مما يدعو للإقرار بان القرآن الكريم هو المرجع المعرفي والمصدر المتزامن للإنسان منذ نزوله على بني البشر حتى قيام الساعة، وهذا المعنى كله متحقق بالتأسيس من الحال (مفصّلاً).

أما الحال المؤكدة في الخطاب الإلهي فيرونها في قوله تعالى (ما أصابَكَ من حسنة فمن اللّه وما أصابكَ من سيئة فمن نفسكَ وأرسلناكَ للناسِ رسولاً وكفى باللّه شهيداً)[١٤] حيث يعدون الحال (رسولاً) زائدة على النص ووجودها كعدمها، لان مضمونها الدلالي متوافر في جملة (أرسلناك) قبلها، يقول الاشبيلي: ((لو لم يذكر رسولاً لكان قوله تعالى: وأرسلناك للناس، يُعطي معناه))[١٥] وقد انضم إلى هذا القول جملة مفسرين، إذ يرون أن ((رسولاً نصب بأرسلناك، وإنما ذكره تأكيداً لان أرسلناك دلّ على انه رسول))[١٦] نقول أن ثمة نظر في قول النحاة والمفسرين في

هذه الحال، ذلك بان قولهم هذا يدفعنا إلى الإيمان بإمكانية الاستغناء عن هذه المفردة ـ الحال ـ في النص دون أن يتصدع المعنى.

على حين نحسب أن الحال (رسولاً) لا يمكن العزوف عنها دون أن يتسرب الإخلال إلى المعنى أو يحدث نقص في الدلالة، وذلك بناءً على ما آمنا به من انه لا وجود للفظة في التعبير القرآني ليس لها مدلول معين يتناسب ومراد النص، فلا نميل إلى ما أسسه الفكر النحوي في تسويغ عملية الإقصاء للحال بحجة عدم المساس بالدلالة التكاملية للنص، إذ لو رفعنا لفظة (رسولاً) من الآية لما زاد الأمر توضيحاً وكشفاً ولوقع السامع باللبس وتواردت عليه تصورات متباينة حول قضية (الإرسال) وما المراد منها، فليس كل من يُرسل إلى أناس هو رسولٌ لهم بكل ما تحمل لفظة رسول في القرآن الكريم من اصطلاح خاص وظّفها سبحانه لأدائه، فنجد أن المعنى يكتنفه الإبهام إذا ما حذفنا هذه اللفظة من النص الكريم فيذهب الذهن مذاهب شتى، فلا يُعرَف أأرسله الله للناس منتقماً، أم مرشداً، أم هادياً، أم قاضياً بينهم فيما هم فيه مختلفون؟ لذا قيّد سبحانه بالحال ليدل على انه أرسله للناس رسولاً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ومزايا يمتاز بها كل من أرسله سبحانه للناس، ويمكن القول أن هذه الحال متأتية من المعنى الاصطلاحي للفظة (الرسول) مثلما كان يفهمها الناس آنذاك، وليس اشتقاقاً من الفعل (أرسلناك) بمعناه اللغوي المحض كما ظن بعض النحاة، فليس كل من يرسله سبحانه للناس يعد رسولاً بمعنى حامل رسالة سماوية، ثم إن هناك معنى آخر يزاد على ما ذكرناه قد انطوت عليه هذه اللفظة إلا هو مهمّة العموم الرسالي إلى جميع الناس فهي بمعنى ((رسولاً للناس جميعاً، ولست برسول العرب والعجم كقوله: (وما أرسلناك إلا كافةً للناس)[17]، فرسولاً حال قُصد بها التعميم في الرسالة))[18] وان هذه التعميم مبعثه تجرد لفظة (رسولاً) من جميع القيود فنالت بذلك سمة الشيوع وقابلية الانطباق على الجميع، فالرسول ﷺ يحمل ماهية الرسالة الحرة التي تسوغ له صلاحية أن يكون رسولاً لكل أمة، وبهذا تكون الحال (رسولاً) مؤسسة لدلالة إحدى موجبات الطاعة والخضوع من قبل الناس للرسول ﷺ؛ لـ((إن الرسول ليس له من الأمر شيء وإنما هو ينطق عن الوحي، فطاعته فيما يأمر وينهي طاعة الله))[19] تعالى، وفوق هذا كشفت لنا هذه اللفظة مهارة الخطاب القرآني في كيفية استعمال الألفاظ اللغوية بمفاهيم واصطلاحات خاصة تتواءم والدلالة العامة للنص، حيث أظهرت لنا وجهاً من وجوه الإعجاز الاصطلاحي الدلالي في القرآن وتعبيراً عن الحيثية المعجزة التي يستعمل بها القرآن الألفاظ بحسب الغاية.

ونظير ما تقدم الحال (مفسدين) في قوله تعالى (كلوا واشربوا من رزقِ الله ولا تعثوا في الأرض مُفسدين)[20] فقد يظن ظان ـ بناءً على المنظور النحوي ـ أن القيد (مفسدين) حال مؤكدة لا فائدة له في المعنى، فالفساد ضد الإصلاح وهو عنوان كبير يدخل فيه كل ما يغير الحق عن مساره ويحرض الناس على عدم الطاعة وهذا يوافق في معناه معنى الفعل (عاث)،

ولكن الأظهر لدينا إن هذه الحال لابد لها من إبداع معنى جديد في النص فهي تضيف فكرة للمتلقي لا يسعه إدراكها بحذف هذه اللفظة والاقتصار على قوله (لا تعثوا في الأرض)، وقد تنبه المفسرون في تضاعيف كتبهم على هذا فقالوا أن ((قوله (مفسدين) إنما قيّد به لان منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم بفعله))[٢١] وبهذا نصل إلى أن وجود الحال (مفسدين) إلزام بالنهي عن عدم العيث في الأرض على هيأة الإفساد فقط، أما إذا كان العيث غير مترتب عليه إفساد، كأن يؤول إلى أخذ الحق واسترداده لأهله، فهذا ما لا يدخل في دائرة الإفساد لان من العيث ليس بفساد، ثم نجد أن الله تعالى قد قدّم إباحية الأكل والشرب لبني إسرائيل في هذه الآية، وأردفها بحرف المعنى (من) الذي أفاد العموم والجنس، فكان المعنى إن لهم السماح بان يأكلوا ويشربوا من جميع أجناس رزق الله تعالى ومما يزيد الأمر عظمة هو نسبة الرزق لله تعالى للدليل على إكرامه تعالى لهم وعظم نعمته عليهم، فكان حقاً عليهم ألا يعيثوا في الأرض فساداً، فكأن المعنى أنا أكرمتكم وأنزلتُ عليكم نعمتي فلا تفسدوا، فنجد أن مرتكز الآية يتمحور على معنى النهي عن الإفساد في الأرض، فمن يقوم بفعل يخرج به على ما تآلف عليه الناس من المعروف يعد من العيث، بيد انه لا يتحتم بالضرورة أن يكون هذا العمل إفساداً ((فقد يكون فعلاً ظاهره الإفساد وباطنه المصلحة))[٢٢]. لذا فالإفساد لا يتحقق إلا بالغاية والتعمد، فان كان العيث لأجل الصلاح أو رداً للظالم على ظلمه لا يعد من صنف الإفساد في شيء، وان كان يعد من العيث من ناحية المعطى الدلالي

موعظة

ومن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأبي ذر لما أخرج إلى الربذة: يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وأغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً لا يؤنسنك إلا الحق، ولا يوحشنك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لآمنوك.

بحار الأنوار ج:٢٢ ص:٤١١

لهذه اللفظة، بيد أن وظيفة الحال أسست لنا التفريق دلالياً بين المضمون المعجمي الشكلي كما هو في مفردة (العيث)، و ما يزيد عليها في المعنى إصراراً وتثبيتاً فيما تنطوي عليه النفس البشرية قصداً ونيةً كما هو في مفردة (الإفساد)، وبهذا نصل إلى أن (العيث) يكون على وجهين لا وجه واحد كما هو الشائع، وان النسبة الدلالية للعيث إلى الإفساد كنسبة العام إلى الخاص فكل إفساد هو عيث ولكن ليس كل عيث هو إفساد، ومن هنا كان لابد للنص من هذه الحال المؤسسة تطبيقياً المؤكدة تنظيرياً للتمييز بين المحتوى الشكلي والمحتوى التجسيدي لكلا اللفظين ولولا وجود هذه الحال في النص لما فهمنا منه ما فهمناه.

لقد أجدى التأمل في النصوص القرآنية السابقة جملة ثمرات نلخّصها بالآتي:

١- إن الحال تعد من أروع الوسائل التعبيرية لبيان المعنى لدى المتلقي وتصويره تصويراً دقيقاً وموجزاً.

٢- إن النحاة قد ناقضوا أنفسهم في حدّهم للحال بمنطق قسمته إلى تأسيس وتأكيد.

٣- إن القول بتوكيدية الحال تُلزِم الإيمان بوجود الزيادة في التعبير القرآني وهذا ما يستحيل عقلاً ومنطقاً على النص الشريف.

٤- الوصول إلى حالة الاطمئنان بان الأحوال الواردة في السياق القرآني - والتي مال النحاة وجل المفسرين إلى القول بتوكيدها - كلها تأسيسية مركزية الدلالة ولا وجود للوظيفة التوكيدية فيها ■

---

(١) من حروف معنى، ومفردات لفظية، وتراكيب نحوية، فهي تعمل مندمجة لبناء الدلالة.

(٢) ينظر الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي: ٣٢٦/١، وابن جني: اللمع في العربية: ١٣٤. والسيوطي: همع الهوامع: ٢٣٦/١، والرضي: شرح الكافية في النحو: ١٩٨/١.

(٣) ينظر الزمخشري: المفصل في علم اللغة: ٦٣، والاشبيلي: شرح جمل الزجاجي: ٣٢٧/٢-٣٢٨، والرضي: شرح الكافية في النحو: ١٩٩/١، والسيوطي: همع الهوامع: ٢٤٥/١، والسامرائي: معاني النحو: ٧٠٨/٢.

(٤) السامرائي: معاني النحو: ٧٠٨/٢، وينظر السيوطي: همع الهوامع: ٢٤٥/١.

(٥) السيوطي: همع الهوامع: ٢٤٥/١.

(٦) ينظر الرضي: شرح الكافية: ١٩٩/١.

(٧) الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي: ٣٢٧/٢-٣٢٨.

(٨) السيوطي: همع الهوامع: ٢٤٥/١.

(٩) الرضي: شرح الكافية: ١٩٩/١.

(١٠) سيرد ذلك تفصيلاً في تضاعيف البحث.

(١١) ينظر للباحث: دلالة التناظر النصّي في التعبير القرآني، بحث منشور، مجلة السدير، العدد١، السنة الاولى ٢٠٠٣م.

(١٢) سورة الأنعام: ١١٤.

(١٣) الطوسي: التبيان: ٢٤٤/٤، وينظر الطبرسي: مجمع البيان: ٣٥٣/٢، ومغنية: الكاشف: ٢٥٢/٣.

(١٤) سورة النساء: ٧٩.

(١٥) الاشبيلي: شرح جمل الزجاجي: ٣٢٨/٢.

(١٦) الطوسي: التبيان: ٢٦٥/٣، وينظر الطبرسي: مجمع البيان: ٧٩/٢، وشبر: الجوهر الثمين: ٧٢/٢.

(١٧) سورة سبأ: ٣٤.

(١٨) الحائري: مقتنيات الدرر: ١٣٩/٣.

(١٩) الكرمي: المنير: ٢٥٧/٢.

(٢٠) سورة البقرة: ٦٠.

(٢١) شبر: الجوهر الثمين: ١٠٢/١، وينظر الطوسي: التبيان: ٢٦٩/١، والطبرسي: مجمع البيان: ١٢٠/١.

(٢٢) الطوسي: التبيان: ٢٦٩/١.

..في الذاكرة

شهر رمضان المبارك:

- في الثالث منه كانت وفاة الشيخ المفيد رحمه الله في بغداد سنة ٤١٢ هـ .
- وفي الخامس منه بويع للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد سنة ٢٠١ هـ .
- وفي يوم العاشر منه كانت وفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام . وقبلها بثلاثة أيام كانت وفاة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- وفي يوم الثاني عشر منه آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه.
- وفي يوم الخامس عشر منه كانت ولادة الإمام الحسن السبط عليه السلام سنة ٢ هـ .
- وفي ليلة السابع عشر منه عرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء.
- وفي يوم السابع عشر منه وقعت غزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ.
- وفي يوم التاسع عشر منه ضرب ابن ملجم (لعنه الله) الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه الشريف غيلة، حيث كان عليه السلام يصلي في مسجد الكوفة.
- وفي يوم العشرين منه فتحت مكة سنة ٨هـ ورقى أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة على متن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكسّر الأصنام.
- وفي ليلة الحادي والعشرين منه كانت شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٤٠ هـ . وفي هذه الليلة مات موسى بن عمران عليه السلام ، ويوشع عليه السلام مات فيها أيضاً، ورفع فيها عيسى عليه السلام إلى السماء.
- وفي ليلة الثالث والعشرين منه أنزل القرآن.
- وفي يوم السابع والعشرين منه كانت وفاة الشيخ محمد باقر المجلسي (صاحب بحار الأنوار) سنة ١١١٠ هـ .

شهر شوال الأغر:

- أول يوم منه عيد المسلمين، وفيه هلك عمرو بن العاص.
- وفي يوم الخامس عشر منه ردّت الشمس للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .
- وفي يوم الخامس والعشرين منه استشهد الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ .

جدلية الإعلام العربي

وواقع المشهد العراقي

• أحمد محمد هاشم

ينابيع أن يُدعى أن لا دخل للأعلام بظواهر العنف، لاسيما ما يجري في العراق بتاتاً، أو أن لا دخل جذري هو، أمر يحتاج إلى لدليل.. وذلك لعدة أسباب؛ أهمها:

البعد العاطفي، الذي كثيراً ما يترك بصماته على قرارات سكان المنطقة..

ولا حاجة لنسرد الدليل العلمي على ذلك، ولكن بغية عدم المصادرة أشير إلى أن أكثر المحاربين العرب الذين

دخلوا العراق ومن هم في الداخل، اعترفوا بأن أهم دافع لحركتهم التخريبية هو الأعلام، لاسيما تلك القنوات التي أصرت وتصر على تتبع العثرات في كل حركة وسكنه في سلوكية الاتجاه السياسي الجديد في العراق، بل وتحاول التزييف والتشويش على هذه التجربة (الأنموذج) لترفدها تجاه السلب.

على العموم.. الإعلام العربي وللأسف الشديد أخذ ينطلق من أثنينيات في سلوكياته الحركية؟!

فهو لا يرى الجرائم الصدامية التي دامت لأكثر من ثلاثين عاماً.. ولا يرى المقابر الجماعة والملايين من ضحايا النظام البائد، نابذين بذلك حجية التأريخ عليهم، في حين أن أدنى خرق يلحق تجاه أفراد مجرمين يأخذ بالتطبيل له (كما في أظهار صور رئيس النظام المباد في زنزانته)، وأخرى يرجمون ويستخفون بالرأي العام العراقي بحجة أبراز الرأي الآخر.

منذ متى اهتم الأعلام العربي بإبراز صوت المعارضة العراقية؟ الم يكن هذا الصوت أبان النظام الفاشي معتماً عليه مطلقاً! أين هم من هذا السلوك الجديد (فأين صوت المعارضة السورية والمصرية واليمنية و... الخ)؟

ثم أين صوتهم تجاه الاحتلال الإسرائيلي للجولان وفلسطين وبعض المناطق الجنوبية من لبنان، وهكذا أين هم من القواعد الأمريكية في دول الخليج العربي؟!.

ومع هذا اطمئن العرب والإعلام العربي، أن العراق ماضي تجاه مستقبل يعيد له حضارته وقيمه التاريخية، فرغم كل الظروف والصعاب أستطيع القول: إن العراق بدأت قاطرته بالسير نحو التقدم والرقي؛ بعد أن أخذت جادة الصواب تُهدم سلوكية القهقرى، وذلك في أول انتخابات ديمقراطية على مستوى التأريخ العراقي والعربي.. وسيحرر العراق من الاحتلال بحكمة رجاله السياسيين والدينيين.. ومجتمعه.. وأقولها وللأسف ستبقى الجولان وفلسطين محتله، مادامت الحركة السياسية للأخيرين تحمل طابع راديكالياً (عنتري الصوت)، فأين العقل الذي تبع عنتريات صدام ومن لف لفه، هل احترقت نصف إسرائيل أم نصف فلسطين بنيران الغزو الإسرائيلي، أم هل انتحر الجنود الأمريكان على أسوار بغداد أم اختبأ هو في جحور الفأران من عفنه؟

أين العقلية العربية من النكسات التي جرت ويلاتها وعلى مدى عقود من الزمان لتتبعها نكبات تلو النكبات.

ومع الابتعاد عن أفق السياسة ننتقل لأفق العقل والدين لأقول:

إن أفضل وأول مَن طرح وانتبه لتقييم الواقع العراقي والتأثير الإعلامي عليه هو سماحة آية الله العظمى شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم قدس سره إذ أنه قيم الشارع العراقي واضعاً السبل الحركية الواقعية له ناظراً بذلك إلى واقع الحركة الإعلامية ودورها وتأثيرها على المشهد العراقي. وهنا ننقل القارئ الكريم مقتطفات من الحوار الذي أطلقه سماحته في خطبته الثانية من الجمعة الخامسة والتي صادفت في

٢٠٠٣/٦/٢٧م، لبيان التفكير الواقعي والمتحضر، والعلاج الأنجح لكل هذه التصورات:

إن لوسائل الإعلام العربية... عامل مساعد فهم الآن يمارسون دوراً هاماً جداً في سحب الشعب العراقي ودفعه باتجاه قوات التحالف والاحتلال هذه حقيقة واضحة بينة.

إن هؤلاء يعملون ليلاً ونهاراً لسياسات لا مجال لذكرها لكن هناك هدف أن يكون قتال وصراع بين العراقيين وبين التحالف وهؤلاء يستخدمون الآن جميع إمكاناتهم الإعلامية وأساليبهم وتجاربهم والفن الإعلامي الذي يملكونه بممارسة حرب نفسية على العراقيين من أجل أن يسحبوهم إلى الدخول في معارك ضارية لا أول لها ولا آخر مع قوات التحالف هذا هو الواقع الذي نعيشه الآن.

أما الموقف الشرعي؟

هنا يمكن أن نشير إلى أن الموقف الشرعي إذا أردنا أن ننظر أليه من خلال النظرية العامة للإسلام فمن الواضح أن النظرية العامة للإسلام تبتني على خطين رئيسيين أساسيين:

الخط الأول: خط الرفض للعدوان، الرفض للهيمنة الخارجية (وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) هذا هو خط إسلامي واضح يشخصه القرآن الكريم.

الخط الثاني: ولابد من النظر إليه بصورة دقيقة من الناحية الشرعية مع قطع النظر عن الموقف السياسي وهو قضية القدرة، لأن الواجبات الشرعية مرهونة بعاملين رئيسيين وهذه اجعلوها في ثقافتكم الإسلامية:

العامل الأول: القدرة، لا يوجد واجب شرعي مكلف به الإنسان خارج قدرته لأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف الناس أكثر مما يتحملون، أو يسعون في قدرتهم بل أكثر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى ما جعل في الدين من حرج، فحتى حالة الحرج وضعها الله سبحانه وتعالى بصورة عامة، فقضية القدرة من القضايا الأساسية.

العامل الثاني: الذي يجب أن نفهمه هو قضية المصلحة، فان الحكم الشرعي في الإسلام تابع للمصالح والمفاسد، فهو.. ليس حكما مجرداً عن المصلحة والمفسدة.

وهنا بعد أن يبين ﷺ أهم الثوابت الشرعية لمثل هكذا قضية مصيرية يطبق مصاديق هذا الأنموذج على طبيعة المشهد العراقي، ليقول:

أولاً: لابد أن تبذل كل الجهود المشروعة ذات الطابع السلمي لإنهاء الاحتلال لان الشرّع المقدس يقول: لا يعمد الإنسان إلى استخدام العنف والسلاح والقوة إلا بعد بذل الجهود في استخدام الدعوة إلى الله والحكمة والموعظة

الحسنة والعمل السياسي حتى يصل إلى استخدام القوة.

فرسول الله بقي ثلاثة عشر سنة يدعو إلى الله ولم يستخدم القوة ولا مرة واحدة حتى أقام الحجة الكاملة على الناس وعندئذ عمد إلى استخدام القوة والسلاح والعنف.

إن الإسلام يرى أنه مادامت باب الوسائل السلمية مفتوحة فلابد أن تتبع حتى تقام الحجة بصورة كاملة وعندئذ يتحول الإنسان إلى استخدام القوة.

ونحن نعتقد أنه لم تستنفد جميع الوسائل السلمية ولابد من استنفادها بصورة كاملة وتبذل الجهود من أجل إنهاء الاحتلال. الجهود التي تتسم بالسلمية.

ثانياً: قضية ضبط النفس في هذه المرحلة، لان هناك محاولة لجر العراق إلى حرب ضروس لا أول لها ولا آخر، وهذه المسألة لابد من الانتباه إليها في هذه المرحلة بالذات، فقضية ضبط النفس مهمة جداً في الحكم الشرعي.

ثالثاً: ممارسة كل وسائل الاحتجاج والتعبير عن استنكار التصرفات الخاطئة التي تتسم بالعنف واللامبالاة... التي ترتكبها قوات التحالف ضد الناس الأبرياء مثل السرقة ولدي وثائق تؤكد ذلك، إنهم يسرقون الناس ويعتدون عليهم ولا يهتمون بآدابهم وقيمهم ومثلهم، هذه مسألة مهمة جداً لابد أن نحتج عليها ونستنكرها ونتحدث عنها من أجل أن يكون هناك انضباط في التعامل مع الناس ومعالجة هذه الحالة.

ما هي أسس الحوار؟

نعتقد أن قرار مجلس الأمن ١٤٨٣ والذي صدر بالإجماع وقدمته الولايات المتحدة وبريطانيا إلى مجلس الأمن وأقر من قبله، قرار يصلح أن يكون أساساً لهذا الحوار. وهو يؤكد على عدة مبادئ:

المبدأ الأول: يؤكد على السيادة العراقية، إذاً لابد من وجود عمل جاد ليكون العراق حراً مستقلاً.

المبدأ الثاني: السرعة في إنهاء الاحتلال.

المبدأ الثالث: مساعدة العراقيين على تشكيل الإدارة العراقية، العراقيون هم الذين يشكلون الإدارة العراقية المؤقتة وعلى قوات التحالف أن تساعدهم على ذلك وهذا ما ينصّ عليه قرار مجلس الأمن.

المبدأ الرابع: اتخاذ الإجراءات العملية السريعة لأجراء انتخابات عامة ينتخب فيها مجلس دستوري يدون الدستور ثم بعد ذلك تجري انتخابات عامة لتصبح لدينا حكومة عراقية ذات سيادة كاملة وبهذا يمكن أن ننهي الاحتلال.

هذه المبادئ الأربعة الأساسية يمكن أن تكون أساساً للحوار الذي ندعو إليه، لذلك نعتقد أن الطريق الصحيح لمواجهة العنف ليس التعتيم على الحقائق بل هو أن نبين هذه الحقائق وأسباب العنف ونذهب إلى معالجة هذه الأسباب ونعتقد أن الطريق الصحيح للمعالجة هو أن نبذل جهودنا جميعاً من أجل الحرية والاستقلال الكاملين، لتحقيق العدالة.

مع هذا البون الشاسع نترك العاقل المتأمل ونفسه ليقارن بين مسلكي التعقل والتهور، والإصلاح والتهديم، وبين من يحقن الدم ويحفظ للإنسان إنسانيته وبين من يسيل الدماء ويعيش في غياهيب الجحور! ■

الحلقة الثانية:

أهل البيت عليهم السلام في الكتاب العزيز

• السيد عبد الستار الجابري

ثانياً: الإرادة الإلهية

ينابيع اختلفت كلمات أبناء العامة في المراد من قوله تعالى (يريد)، وظاهر بل صريح بعضهم إرادة المعنى التشريعي وسكت آخرون عن البيان مما قد يستفاد من سكوتهم إرادة المعنى التكويني.

وممن ذهب إلى إرادة المعنى التشريعي أبو السعود والزمخشري النيسابوري والآلوسي وهو ظاهر البروسوي لتأكيده على دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله في أهل البيت وكذا ظاهر المراغي، وظاهر السمرقندي لإختياره تفسير الرجس بالإثم والذنب، وكذا الخازني والنسفي لتخصيصهما أهل البيت بالأزواج، وظاهر خواجة الأنصاري كذلك لتصريحه بإرادة إذهاب الرجس بمعنى الآثام التي يمكن ان ترتكبها نساء النبي صلى الله عليه وآله مع ذهابه إلى أن الصحيح شمول أهل البيت لنساء النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم.

وظاهر سيد قطب إرادة المعنى التشريعي أيضاً لترتب التطهير على تلك التشريعات.

أما السمرقندي فلم يشر إلى كيفية تحقق التطهير ولم يعين المراد بأهل البيت، وظاهر الطبري اختيار المعنى التكويني للإرادة لتفسيره الرجس بالسوء والفحشاء وهو أعم من المخالفات الشرعية وذكره للعديد من الروايات الناصة على كون المراد بأهل البيت خصوص أصحاب الكساء عليهم السلام، والظاهر اختياره لهذا المعنى بدليل قوله بعد ذلك (... وقال آخرون: بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر من قال ذلك...) ثم ذكر ما ذهب إليه عكرمة في نزولها

في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة[1]، وهذا الكلام نص منه في اختيار اختصاص الآية بأصحاب الكساء عليهم السلام.

أما مفسروا الشيعة فكلمتهم متفقة على إرادة المعنى التكويني من الإرادة لما ذهبوا إليه من عصمة أصحاب الكساء عليهم السلام.

والتحقق في المسألة يقع في جهتين:

الجهة الأولى: الاستعمال القرآني لكلمة الإرادة.

لو تتبعنا الآيات الكريمة التي أضيفت الإرادة فيها إلى الله تعالى لوجدنا أربعة أنحاء من الاستعمال:

أ- المشيئة والقضاء، كقوله تعالى (فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً)[2].

ب- الإيجاد كقوله تعالى (إنما قولنا إذا أردنا شيئاً أن نقول له كن فيكون)[3].

ج- الإنتخاب كقوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)[4].

د- بيان المنهجية كقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[5]، وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم)[6].

فهذه هي الإستعمالات الواردة في الكتاب العزيز للإرادة المضافة إلى الله عز وجل، وجميع هذه المعاني تندرج تحت الإرادة التكوينية لأنها جميعاً تتناول فعل الله تعالى فتكون الإرادة في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) إرادة تكوينية.

نعم في بعض الموارد تكون الإرادة التكوينية مقيدة بإمتثال بعض التشريعات كما في قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) وقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[7]، حيث نصت الآية الثانية على ترتب التطهير والتزكية - وهو أثر تكويني - على الإمتثال للتشريع، والآية الأولى كانت في مقام إيجاب الطهارة - وهو أمر تشريعي - وبينت الغاية من التشريع، وفيه أيضاً علق الأثر التكويني على الإمتثال التشريعي.

أما في مورد آية التطهير فإن هناك قصر بإرادة التطهير لأهل البيت دون غيرهم من الخلق مع أننا نجد أن التكاليف المذكورة التي حفت بمقطع التطهير ترتب الأثر التكويني على امتثال التشريعات وعموم لجميع المكلفين، بينما في آية التطهير اختص التطهير بأهل البيت مع كون التكاليف المذكورة عامة لجميع المسلمات، فلا تكون التكاليف التي حفت بمقطع التطهير دالة على الإرادة التشريعية بل غاية ما يمكن أن تدل عليه ترتيب الأثر التكويني على الإمتثال التشريعي في حال الشمول لنساء النبي صلى الله عليه وآله أو الاختصاص بهن.

والدليل الأقوى على الإرادة التكوينية جوهرية الفرق بين الإرادتين التشريعية والتكوينية، فالمراد التكويني إرادة تحقيق الفعل من المريد نفسه، وأما الإرادة التشريعية فهي إرادة المريد لتحقق الفعل من غيره.

والإرادة المتعلقة بمتعلقات التكليف في الآيات التي خوطبت بها نساء النبي

صلى الله عليه وآله إرادة تشريعية يمكن تخلفها إذا لم تمتثل النساء أو بعضهن بعض التكاليف كما في عائشة التي لم تقر في بيتها وعصت الله تعالى ولن تطبق إرادتها التكوينية على إرادة المولى التشريعية، أما الإرادة التكوينية فهي إن كانت مطلقة فهي لا تتخلف، وإن كانت مقيدة بشيء تحققت بمجرد تحقق المعلق عليه.

الجهة الثانية: تقييد إرادة التطهير.

وبعبارة أخرى هل قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) كاشف عن سبق إرادته تعالى في تحقق التطهير وتحققه واقعاً، أم ان هذا المقطع من الآية الشريفة لا يخبر عن تحقق التطهير بل يخبر عن توقف التطهير على تحقيق جملة من المقدمات الخاصة.

فإن كان الأول فهو كاشف عن الإرادة التكوينية للتطهير وكونهم عليهم السلام مطهرون من كل الرذائل النقائص وهو معنى العصمة، وإن كان الثاني:

فعلى القول بان نساء النبي صلى الله عليه وآله فقط هم أهل بيته فنجد الخطابات الموجهة إليهن خوطبت بها جميع نساء الأمة والفرق في المرتبة لخصوصية ارتباطهن بالنبي رعاية لجنابه صلى الله عليه وآله لا لهم بما هن في أنفسهن، وعليه فان نساء النبي صلى الله عليه وآله اللائي لم يمتثلن الخطابات الموجهة إليهن لم يتحقق فيهن التطهير وخاصة من خرجت من بيتها ولم تطع النبي صلى الله عليه وآله فكأن لسان الآية ـ على القول بالإختصاص بالنساء ـ يا نساء النبي صلى الله عليه وآله من امتثلت هذه التكاليف فالله يطهرها والتي لم تلتزم ولم تتمثل فهي ليست من المطهرات.

وعلى القول بالإختصاص بأصحاب الكساء أو عموميته لغير نساء النبي صلى الله عليه وآله فلا بد من بيان مقدمات التطهير، ولا نجد إشارة لمقدمات التطهير ـ على فرض التوقف ـ فعلى القول بالاختصاص بأصحاب الكساء فالآية مخبرة عن سبق الإرادة ومضيها، وإن قيل بالعموم للنساء فتطهير النساء متوقف على الامتثال أما ما عداهن فقد سبق له التطهير مما يدل على العصمة التكوينية في غير النساء، وبسبب العلم بعدم عصمة غير أصحاب الكساء تكون العصمة التكوينية خاصة بأصحاب الكساء، أما النساء فتطهيرهن متوقف على الإمتثال، والقول بدخول بني هاشم ـ مع النساء أو بدونهم ـ لا يتناسب مع ظاهر الآية الشريفة إذ المقطوع به وجود غير المعصوم في بني هاشم، ولم توجه إليهم التكاليف التي يكون امتثالها مقدمة للتطهير.

فعلى كل حال تختص العصمة التكوينية بأصحاب الكساء دون غيرهم سواء اختص التطهير بهم أو عم غيرهم.

ولو قيل: إن الإرادة وردت بلفظ المضارعة وهو لا يدل على ما سبق الإرادة، فيقال: إن الدلالة على الزمن ـ لو سلم أخذها في الصيغة ـ إنما تكون في الزماني، وأما المجرد عن الزمان فلا معنى للدلالة على الزمن في حقه بل يكون نسبة الفعل إليه بلحاظ التجرد عن الزمان، والله تعالى مجرد من الزمان لأن كل زماني حادث والله تعالى واجب الوجود واثبات الزمانية لذاته المقدسة يقتضي الانقلاب المحال.

فصيغة المضارعة لم تدل على حدوث الإرادة عند إبراز الخطاب.

ثالثاً: المراد بأهل البيت

اتفقت آراء الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير خصوص أصحاب الكساء عليهم السلام ولهم في ذلك العديد من الروايات المذكورة من طرقهم وطرق غيرهم مما يجعل اختصاص أهل البيت بأصحاب الكساء عليهم السلام أمراً متواتراً.

أما أبناء العامة فاختلفوا في المراد من أهل البيت إلى أربعة أقوال:

١- خصوص نساء النبي صلى الله عليه وآله. وهو ظاهر الخواجة الأنصاري في كشف الأسرار، وصريح سيد قطب والخازن في لباب التأويل، ودليل الخواجه والخازن ما رواه مجاهد عن ابن عباس، أما سيد قطب فالظاهر استناده إلى سياق الآية.

٢- خصوص أصحاب الكساء عليهم السلام. وهو صريح الطبري والآلوسي استناداً إلى الروايات الصحيحة والمتظافرة من طرقهم.

٣- الشمول لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الكساء عليهم السلام. وهو قول ابن كثير والدكتور الحجازي في التفسير الواضح والزمخشري في الكشاف وأبي السعود والنيسابوري في غرائب القران، واستدلوا على دخول أصحاب الكساء بضمير الجمع (عنكم) والروايات المتظافرة من طرقهم على دخول أمير المؤمنين والحسنين والسيدة فاطمة عليهم السلام، وعلى دخول النساء لأنهن سبب النزول.

٤- كل من تربطه بالنبي صلى الله عليه وآله رابطة نسبية ونساؤه. وذهب إليه المراغي والرازي والبروسوي في روح البيان والقرطبي في الجامع، وأدلتهم على ذلك المعنى اللغوي رواية مسلم عن زيد بن الأرقم.

وقام القاسمي بنقل الآراء ونقدها، فننقل ما ذكره القاسمي من مناقشة الآراء ونبين المختار في المراد من أهل البيت بإذن الله تعالى:

أولاً: نقل القاسمي عن ابن كثير (وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت ههنا، لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما على حده على قول، أو مع غيره على الصحيح. وأما قول عكرمة: إنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة ومن شاء باهلته في ذلك، فإن كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وان أريد انهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك...)[٨].

ثم قال: (فإنما مراد زيد آله الذي حرموا الصدقة، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط، بل هم مع أله، قال ابن كثير: وهذا الإحتمال أرجح، جمعاً بين القران والأحاديث المتقدمة، إن صحت فإن في بعض أسانيدها نظراً)[٩].

ويستفاد من قول ابن كثير:

١- جواز الوقوف على المعنى القرآني عن طريق الروايات.

٢- أن النساء دخلن في أهل البيت لأنهن سبب النزول. ويجاب بأننا لا نسلم كونهن سبب نزول قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيراً) وإنما في حال وحدة النزول يحتمل وروده استطراداً، والإستطراد حاصل في مواضع عديدة في القران الكريم منها قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين❖ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)[١٠]، وقوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون❖ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)[١١].

فما تحته خط من الآيات غير متحد الموضوع مع ما قبلها وما بعدها إذ ما قبلها وما بعدها يتحدث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل. وفي موردنا ما سبق مقطع التطهير وما لحقه كان الخطاب فيه تشريعياً يختص بنساء النبي صلى الله عليه وآله بينما إرادة التطهير تكوينية غير مختصة بهن فلا وحدة في الموضوع.

٣- أن أصحاب الكساء هم مصداق أهل البيت بحسب دلالة الروايات المتضافرة في كونهم سبب النزول كما هو المروي في طرقنا وطرقهم، أو هم الذين أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يبين أنهم فقط مصداق أهل البيت وعدم شمول أهل البيت لغيرهم من الأقارب والنساء بدليل أنه صلى الله عليه وآله لم يأذن للسيدة أم سلمة رضوان الله عليها على جلالة قدرها في الدخول معهم عندما طلبت ذلك، كما تواترت به الرواية من طرقنا وطرقهم.

٤- رواية مسلم في صحيحه عن زيد بن الأرقم في شمول أهل البيت للنساء وباقي الأقارب لا يصح الإستدلال بها لعدة جهات:

أ- اضطراب المتن فإنه في بعض روايات مسلم نفى زيد أن تكون النساء من أهل البيت، مما يوحي أن إدخال النساء في أهل البيت كان رواية من روى عن زيد لا رواية زيد نفسه بدليل استدلال زيد على عدم دخولهن وعدم ذكرهن عند تعداد أهل البيت ابتداءً، بل اقتصر على أقاربه صلى الله عليه وآله، ولا يبعد أن يكون أصل الرواية قد وضع في عهد بني العباس ليدخلوا أنفسهم في أهل البيت إذ لا نص يمكنهم من خلاله زج أنفسهم بواسطته في أهل البيت سوى هذه الرواية.

ب- معارضة هذه الرواية للمتواتر من الروايات في اختصاص أهل البيت بأصحاب الكساء.

ج- مناقشة ابن كثير في سند الرواية التي أدخلت الأقارب.

ثانياً: نقل القاسمي عن أبي السعود قوله (وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة، على كون نساء النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، قاضياً ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم. وأما ما تمسكوا به من حديث الكساء، وتلاوته صلى الله عليه وآله الآية بعده، فإنما يدل على كونهم من أهل البيت، لا على أن ما عداهم ليسوا كذلك، ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص)[١٢].

وأما رأي أبي السعود ففيه:

أ- أنا لا نسلم بكون النساء سبباً للنزول كما تقدم في مناقشة ابن كثير ليثبت بذلك الشمول.

ب- التمسك بحديث الكساء في الإختصاص تام للوجهين المتقدمين في مناقشة ابن كثير، لأنه حسب دلالة روايات الكساء وبتصريح السيدة أم سلمة رضوان الله عليها نزول الآية في بيتها، وهذا يقتضي ان سبب نزول الآية كان جمع النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام تحت الكساء أو أن النبي صلى الله عليه وآله أراد ان يوضح للأمة مصداق أهل البيت لئلا يشتبه عليهم الأمر بسبب ورود مقطع التطهير ضمن آيات النساء، والذي يؤكده أيضاً ما رواه الفريقان من وقوفه صلى الله عليه وآله على باب فاطمة عليها السلام ستة أو ثمانية أشهر - الروايات في ذلك مختلفة - وهو يتلوا الآية مع أنه لم يتلها على باب من أبواب بيوت أزواجه، ولو قيل إن ذلك لوضوح شمول الآية لهن لورودها ضمن الخطابات الموجهة إليهن، كان الجواب: أم الدلالة الأوضح عدم إذنه ﷺ للسيدة أم سلمة رضوان الله عليها في الدخول معهم وقال لها أنت على خير.

كما لم ينقل عن واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وآله ادعاءها شمول آية التطهير لهن، بل روي عن عائشة اختصاصها بأصحاب الكساء. وهذه القرائن بأجمعها تدل على خروج نساء النبي ﷺ عن حريم أهل البيت.

ج- وأما قوله (ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص).

فيجاب: أن التعارض بين الدليلين القطعيين على نحوين:

أ- تعارض مستقر لا يمكن معه الجمع وفي هذه الحالة لابد من سقوطهما لعدم صدور المتناقض من الشارع المقدس.

ب- التعارض غير المستقر الذي يمكن معه الجمع، وفي مقامنا لا تعارض لأن الروايات في بيان مقام مصداق أهل البيت وسبب نزول مقطع التطهير، وورودها بين آيات النساء لا يمنع من عدم الشمول لهن لإمكان الإستطراد مع احتمال عدم وحدة النزول، والمقطوع به عدم تدوين القران بحسب النزول والذي يحتمل معه كون هذه احد مفردات التدوين لا على ترتيب النزول، وان كان لا يخلو من نظر، لأن المقطوع به عدم تدوين السور على أساس النزول لا عدم ترتيب الآيات، نعم روي أن بعض الآيات لما أنزلت أمر النبي صلى الله عليه وآله إلحاقها بسور كانت قد تمت قبل نزول هذه الآيات (روى أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبرئيل فأمرني ان أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...) فجعلت في سورة النحل بين آيات الإستشهاد وآيات العهد)[١٣]. ومعه يحتمل أن تكون هذه الآية كذلك.

وعلى أي حال لا يصح رفع اليد عن دلالة الرواية لأنها لا تعارض النص القرآني بأي وجه من الوجوه، غاية الأمر أن الرواية تعارض بعض مباني المفسرين في دخول النساء في أهل البيت، مع عدم دليل معتمد على مدعاهم.

٤- وأما قوله: (قاضية ببطلان رأي الشيعة) فجوابه ان من غير الشيعة من قال بذلك منهم الطبري والآلوسي ونساء النبي صلى الله عليه وآله طراً - فإن بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله لسن من الشيعة -.

هـذا مـا نقله القاسـمي عن أبـي كثير وأبي السعود، وأما دعوى الاختصاص بنساء النبـي صلى الله عليه وآله وهـو ما روي عن عكرمة، فهو تارة يروونـه عنه بروايته عن ابن عباس، وأخرى تنسـب إليه دون الرواية عـن ابن عباس، فأما النسـبة إليه فلا تصلح لأن يحتـج بهـا لأنه لم يـدرك عصر النص، وأمـا روايتـه عن ابـن عباس فـإن كان هو يدعيها فهو كذب منه وإن ادعيت عليه فهو كذب مـن مدعيه حيـث إن ابـن عباس لم يكـن بعيداً عن عصـر النص ولم نجد ممن عاصـر النص أحدا يدعي الشـمول للنسـاء فضـلاً عـن الاختصاص اللهـم إلا رواية ابن أرقم المروية في صحيح مسلم التي لم يثبت سـندها ولا متنهـا، بـل المروي عن عائشـة فضلاً عن المتواتر عن أم سلمة رضوان الله عليها الإختصاص بأصحاب الكسـاء عليهم السـلام، فلا يعتد بمثل هذا القـول، ومثله فـي عدم الحجيـة ما روي عن زيـد بن أرقم في الشـمول لكل من حرمت عليه الصدقة من بني هاشـم فهـو رواية واحـدة معارضة للمتواتـر عن النبي صلـى الله عليه وآله فهو مـردود لعدم امـكان الجمع، اللهـم إلا أن يـراد من أهل البيت في الرواية معناه اللغوي بينما يكون المـراد بالآية معنى اصطلاحي فـلا مانع منه، ولكنه لا يدل على شـمولهم في التطهير.

فتكون لدينا ثلاثة معان للأهل:

-١ معنى لغوي يشمل عصبة الرجال.

-٢ معنـى عرفي تدخـل فيه زوجة الرجل ما دامت في عصمته.

-٣ معنـى اصطلاحي يختـص بأصحاب الكساء.

ودعـوى الشـمول للنسـاء باطـل أيضـاً لأن الدليل عليه سـبب النـزول ولم يثبت أو بعض الإستحسـانات وهي غيـر ثابتة أيضاً، وروايتهم عن السـيدة أم سـلمة رضوان الله عليهـا أن النبي صلـى الله عليه وآلـه أجابها بأنهـا من أهل البيت ولم يـأذن لها بالدخول فهي معارضة بما تواتر عن أم سلمة رضوان الله عليها انه صلى الله عليه وآله قال لها أنت على خير وأمرها بالتنحي عن أهل بيته.

فلم يبـق الا المراد بأهل البيت خصوص الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم أجمعين.

نتيجة البحث:

بعـد أن ثبت كـون التطهيـر عن جميع النقائـض الخلقية والخلقيـة والمعاصي وأن إرادة التطهير إرادة تكوينية وأن أهل البيت هم خصوص أصحاب الكساء عليهم السلام يثبـت بذلك عصمتهم صلوات الله وسـلامه عليهم ويثبت بذلك أهليتهم لأن ينالهم العهد الإلهـي، وبذا يكـون القـران الكريم قد تصدى لبيان مـن يناله العهد الإلهي من ذرية إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام ■

(١) تفسير الطبري ج:١٢ ص:١٣ في ذيل ح:٢١٧٣٩.
(٢) المائدة:١٧.
(٣) النحل:٤٠.
(٤) الإسراء:١٨.
(٥) البقرة:١٨٥.
(٦) المائدة:٦.
(٧) التوبة:٩.
(٨) تفسير القاسمي م:٨ ج:١٣ ص:٢٠٥.
(٩) تفسير القاسمي ص:٢٥١.
(١٠) البقرة: ٤٧-٤٨.
(١١) البقرة: ٦٢-٦٣.
(١٢) تفسير القاسمي م:٨ ج:١٣ ص:٢٥١.
(١٣) تلخيـص التمهيـد ج:١ ص:١١٣ عـن الإتقـان في علوم القران للسيوطي ج:١ ص:٦٢.

بتوجيه قسم التبليغ في مكتب سماحة المرجع الديني الكبير الفقيه السيد محمد سعيد الحكيم (مدّ ظله) وبالتعاون مع مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية أقيمت الدورة الثالثة (**دورة أحباب الزهراء عليها السلام**) في حسينية الرحباوي، مستخدمين جهاز العارضة (Data Show) لتدريس الأحكام الشرعية، وحفظ القرآن الكريم، مع سيرة الأئمة والأنبياء عليهم السلام. إضافة لبعض التوجيهات الاجتماعية وحسن السلوك.

* تجاوز عدد الطلبة (١٠٩) طالباً، وقام بالتدريس كلاً من: الشيخ نادر كمون النجفي، والشيخ عصام لفتة التميمي.

* بدأت الدورة بتاريخ ١٢/ ج١/ ١٤٢٦هـ وختامها كان في ٢٢/ ج٢/ ١٤٢٦هـ.

* كان عدد الطلبة المتميزين (٣٥) طالباً، منهم: أحمد يونس محمد رضا، محمد رسول محسن، محسن رسول محسن، أحمد عامر جواد، وحسن حميد حسين.

سائلين الله تعالى الديمومة والمنفعة في الدنيا والآخرة

بحر النجف
والآراء الجيولوجية عنه

● د. عبد الزهرة العباسي
معاون عميد كلية العلوم/ جامعة الكوفة

ينابيع إن كلمة بحر من الناحية الجيولوجية تعني المناطق المتخسفة من القشرة الأرضية وتكون أحياناً مغمورة بالمياه كالبحر الأحمر الذي هو في مرحلة التوسع والنمو منذ ما يزيد عن خمسون مليون سنة. وإذا ما استمر البحر ف بالتوسع فإنه يصبح محيط مثل المحيط الأطلسي الذي يحيط بالكرة الأرضية ويفصلها إلى قارات متباعدة (الأمريكتين في الغرب وآسيا وأفريقيا في الشرق). كما أن هناك بحار وبحيرات داخل القارة مثل البحر الميت وبحر قزوين وبحيرة البيخال شرق آسيا وهذه جميعاً مفصولة عن البحار المفتوحة.

إن البحر كما ذكرنا يولد وينمو ويتسع ثم يموت ويختفي وكذلك الجبال وهذا يتماشى مع قوله تعالى: (يوم نبدل الأرض غير الأرض) أما ما يتعلق ببحر النجف فهو منخفض يقع جنوب وسط العراق على حافة الهضبة الغربية ويمثل امتداد للسهل الرسوبي على هيئة لسان يمتد في الهضبة من الجنوب إلى الشمال من جهة ناحية المناذرة.

يمتد إلى الغرب من منخفض بحر النجف خط من العيون المائية موازياً لحافة الهضبة. إن الموقع الجغرافي لبحر النجف ينحصر بين خطي طول ٢٩َ ٤٤ْ شرقاً وَ٦ ٤٤ْ شرقاً كذلك بين خطي عرض ٤َ ٣٢ْ شمالاً وَ٤٥ ٣٩ْ شمالاً ويمتد المنخفض طولياً لمسافة ٤٠ كم تقريباً من الشمال الغربي لمدينة النجف إلى جنوب غرب مدينة الحيرة.

إن عرض بحر النجف يتراوح بين ٦-٦٠كم ويبعد عن الفرات مسافة ١٤كم في أجزاءه الشمالية الغربية وفي أجزائه الجنوبية الشرقية يبعد كيلومتر واحد عن النهر. كما أن اخفض منطقة في البحر تصل إلى ستة أمتار فوق سطح البحر وهو بذلك ينخفض أربعون مترا عن مستوى مدينة النجف.

هناك عدة نظريات حول نشأة منخفض بحر النجف نوجزها كما يلي:

١- نظرية دي موركان:

تقترح هذه النظرية تراجع مستمر لمياه الخليج العربي عبر الأزمنة الجيولوجية أمام ترسبات نهري دجلة

والفرات والروافد والوديان الأخرى وهناك حركات التوائية أدت إلى خفض بعض الأجزاء من السهل الرسوبي كما أن الارساب الطولي لنهري دجلة والفرات غير متكافئ مع الارساب العرضي للأنهار والسيول من جهة جزيرة العرب وهضبة إيران وهذا الأمر أدى إلى تكوين نطاقات من المنخفضات الطولية والتي يعد بحر النجف واحداً منها.

٢- نظرية فالكون وآخرين لسنة ١٩٥٤:

تشير هذه النظرية إلى أن هناك منخفضات سببتها حركات التوائية مقعرة ومستمرة في التوائها التدريجي وأن الخرائط الطوبوغرافية تظهر ذلك من خلال وجود السهول المستقرة بين البحيرات المنخفضة في منطقة الأهوار وان بحر النجف يفسر على هذه الشاكلة.

٣- نظرية فوته:

تعتقد هذه النظرية وجود وادي قديم كان يقع على امتداد وادي الثرثار وبحيرة الحبانية وكان يرتبط مع الوادي الجاف الغربي الذي يمتد بين الحبانية ومنخفض أبي دبس حيث يواصل بعدها امتداده ماراً ببحر النجف وان حركات أرضية أدت إلى انفصال هذه المنخفضات عن بعضها.

٤- نظرية الجيولوجي راؤول ميشيل:

من خلال التحريات التي أجراها هذا الخبير في منخفضات أبي دبس والثرثار والحبانية وبحر النجف استنتج وجود مجرى مائي واسع وطويل في الأزمنة الجيولوجية القديمة يبدأ من المنطقة الواقعة غرب الموصل ويسلك طريق منخفض الثرثار حيث تقع مدينة الحضر التاريخية على حافة هذا المنخفض ثم يصل نهر الفرات فمنخفض الحبانية ومن ثم يتصل بمنخفض بحر النجف وان الحركات الأرضية الحديثة غيرت معالم هذا المجرى وأبقت على المنخفضات فقط.

هناك آراء تعزو وجود المنخفضات والتي منها منخفض بحر النجف إلى وجود التصدعات في القشرة الأرضية وهذه تصدعات عميقة لم تظهر على سطح الأرض مثل الصدع الرئيسي المعروف يصدع أبو جير الذي يمر بهذه المنخفضات والذي أثبت وجوده من خلال المسوحات الزلزالية كما أن هناك رأي يرجح احتمالية نشوء المنخفضات بشكل مستقل بعضها عن البعض الآخر وذلك بفعل المياه الجوفية التي تؤثر على الصخور وتذيبها فمثلا منخفض بحر النجف يقع على حافة تكوين الحجر الجيري والجبس من جهة وتكوين المدملكات والحجر الرملي في منطقة الطار من جهة أخرى وان نشاط التعرية تحت السطحية بسبب المياه أدى إلى حدوث انحناءات وظهور منخفضات اتسعت تدريجياً وهذه الآراء تعتبر مقبولة من خلال كثرة المياه الجوفية في المنطقة.

إن منخفض بحر النجف مملوء بترسبات حديثة يصل سمكها إلى اكثر من عشرة أمتار من الطين والرمل الصالح لصناعة الطابوق كما يمكن أن يستغل هذا المنخفض كبحيرة سياحية فيما لو تظافرت الجهود حيث أنها تضيف جمالية إلى مدينة الكرار وكذلك تلطف من الجو كما أن المياه ليست ببعيدة عن المنخفض فيما لو أريد تنفيذ هذا المشروع ■

مرقد الشهيد رُشَيْد الهَجَري ..

موضع تفكر..

في الولاء والشهادة

- استطلاع: حيدر الـــجد
- تصوير: إحسان الحكيم

قال أميرُ المؤمنين عليه السلام لرُشَيد: «أنت معي في الدنيا والآخرة»

ينابيع الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام، له وقعٌ خاص في نفوس محبيه، فالموالي له عليه السلام يجب عليه أن يتحدد ببنود دستور علي عليه السلام، ذلك الدستور الذي يضمن سعادة المجتمع وتعايش أفراده بسلام، كل يأخذ حقه وكل يؤدي واجبه اتجاه ربه أولاً واتجاه إخوته في الإنسانية والدين ثانياً، حتى يسلك طريقاً مستقيماً لا زيغ فيه ولا اعوجاج يفضي به إلى دار الرضوان التي أعدها الباري جلت نعمائه للمتقين، وماذا أراد علي عليه السلام من الناس سوى أن يسلك بهم الجادة ويحملهم على الصراط المستقيم؟

وعلى هذا الأساس، فقد التحق بركبه عليه السلام كوكبة جليلة وصفوة مختارة من الصحابة الأجلاء، وكان ذلك التحاق قد تقرر عندهم نتيجة لما سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وأبصروه، عندما كان يشير عليه السلام مشيداً بفضله ومزاياه، ولعل حديثه صلى الله عليه وآله: (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار) كان له الأثر الأبقى في النفوس، وكان على هؤلاء معرفة ما سيؤول إليه أمرهم، فدرب علي عليه السلام محفوف بالمخاطر ومُعبّد بالدماء، بل عليهم أن يوطنوا أنفسهم للقتل، لأن الفئات الحاكمة بعده عليه السلام سوف تقف ضدهم وتقتفي آثارهم وكان الأمر كما ذكرنا، فقد لاقت هذه الثُلة ضروباً من المطاردة والتشريد مروراً بالتعذيب الجسدي والنفسي وختاماً بالقتل، وكان القتل ضريبة الولاء، ضريبة باهضة إلاّ أن هؤلاء لم يبالوا بها وتسامت نفوسهم، ينظرون إلى الدنيا فيجعلوها وراء ظهورهم ويقبلون على الآخرة. ومن هؤلاء الأبرار برز رُشَيْد الذي مُلأ إيماناً، ولم يمل من حق إلى باطل، تدلّى على صدره الطاهر وسامان أحدهما، وسام قلده إياه صاحبه وأميره المرتضى عليه السلام: (أنت معي في الدنيا والآخرة) والآخر، وسام الشهادة.

لنتعرف على هذا المجاهد من خلال إطلالة على معالم مرقده الذي زرناه وأحببنا أن يكون استطلاع مجلتنا لهذا العدد عنه.

رُشَيْد الهجري ولائي حتى الموت:

رُشَيْد بضم الراء وفتح الشين المعجمة وسكون الخاتمة[1]، على وزن فُعيل مصغر

رُشد، أو هو مصغر رشيد على غير قياس[٢]. وقال آخر رُشَيْد كعُمَيْر بلفظ التصغير[٣]، أما لقبه فنسبة إلى هَجَرْ التي ينتسب إليها، وفيها أقوال فقد نسبه الشيخ الطوسي في رجاله إلى هجر وهي بلدة في أقصى اليمن[٤] كما أيده السمعاني في أنسابه إذ قال الهجري بفتح الهاء والجيم، هذه النسبة إلى هجر بلدة باليمن، معروفة يُنسب إليها الكثير ومنهم رُشَيْد الهجري[٥]، ولكن المجلسي (أعلى الله مقامه) يقول في البحار: هجر هي مدينة، قاعدة البحرين أي دار الخلافة ومقام السلطنة أو ناحية البحرين كلها وهي مدينة رُشَيْد، وقد وافقه في الرأي صاحب أنوار البدرين بقوله: وهجر مدينة كبيرة هي قاعدة البحرين ذات النخل والرمان والأترج والقطن، قال النبي صلى الله عليه وآله: (إذا بلغ الماء قدر قلّتين لم يحمل خبثاً، أراد بهما قلال هجر يسعها خمسمائة رطل وإليها يُنسب رُشَيْد الهجري صاحب أمير المؤمنين[٦] عليه السلام)، كما أن الشيخ عبد العظيم المهتدي وضع رُشَيْداً في كتابه (علماء البحرين دروس وعبر) من أهل البحرين[٧] والظاهر أن البحرين كانت إقليماً واسعاً وكان اسم هجر يطلق على مدينة الإحساء حيث أن البحرين اليوم كانت تعرف باسم جزيرة أوال، وأما هجر فقد ذكر البلادي بقوله: (وهي أي بلاد الإحساء مدينة عظيمة من أكبر مدن الإسلام القديمة، وفي هجر (بفتح الهاء والجيم على وزن صَفَر) تغليباً كما عرفت فيما تقدم ذكره بنسب إليه رُشَيْد الهجري رضي الله عنه الذي هو من خواص أصحاب أمير المؤمنين[٨] عليه السلام على أن الطوسي بعد أن يرد اسمه في أول المطلب، يضع بعد اسمه اسم بين قوسين (الرياش بن عدي الطائي) ولا نعلم لماذا وضع هذا الاسم ضمن ترجمة رُشَيْد دون أدنى ذكر أو إشارة لمعنى هذا الكلام وخلال بحثنا عن الرياش بن عدي وجدنا أن أصحاب الكتب الرجالية اكتفوا بترجمته بذكر اسمه كما هو مذكور وأنه يروي عن علي بن طالب عليه السلام وكأنه مجهول الحال لديهم ولعل الشيخ الطوسي يرى أن رُشَيْد هو الرياش بن عدي الطائي[٩]. لكنما الحموي يقول: (الهجر بلغة حِمْيَر والعرب العاربة القرية، فمنها هجر البحرين وقد سميت باسم هجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعربة، وقيل هجر قرية قرب المدينة)[١٠].

حياته الاجتماعية:

لم يُشر التاريخ إلى وضع رُشَيْد الاجتماعي من حيث الأسرة والأبناء، سوى ما ذكرته الأخبار عن ابنته (قنوا) التي تُذكر في حديثها معه رضي الله عنه عند قطع يديه ورجليه، وقد تسمى قنوا بـ(أمة الله)، كما يمر علينا اسم آمنة بنت الرشيد، زوج عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه فمن المصادر من يذكر أنها بنت رُشَيْد الهجري، وأخرى تذكر أنها بنت الرشيد المعرف بالألف واللام دونما ذكر للقبه. أما الأبناء فلم يُذكر له عقب وإنما يكنى بأبي عبد الله كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله كما في أسد الغابة[١١].

أما علاقته الاجتماعية فكانت منحصرة ضمن نطاق أصحاب الإمام علي عليه السلام ويظهر جلياً من النصوص أن علاقته كانت بميثم التمّار متينة جداً، وقد تشابه معه في أوضاع كثيرة سنذكرها خلال الاستطلاع، أضف

لميثم حبيب بن مظاهر الأسدي وأويس القرني وحبّه العرني وصعصعة وزيد ابني صوحان العبدي، وكميل بن زياد النخعي واضراب هؤلاء المقربين، الذين فازوا بصحبة أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام.

صحبته:

تضاربت النصوص والروايات حول صحبة رُشَيْد فمرة يُعدُّ صحابياً وأخرى لم يثبتوا له صحبة. إلا أن عز الدين الجزري في كتابه ينقل حادثة تفيد كونه ممن تشرف بصحبة النبي صلى الله عليه وآله فقد قال في ترجمته (رُشَيْد الهجري، ويقال له الفارسي مولى بني معاوية من الأنصار، ثم من الأوس، قال الواقدي في غزوة أحُد، كان رُشَيْد مولى بني معاوية، لقى رجلاً من المشركين من بني كنانة مقنعاً بالحديد يقول أنا بن عويف فتعرض له سعد مولى حاطب فضربه ضربة جزله، وأقبل عليه رُشَيْد يضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله ويقول خذها وأنا الغلام الفارسي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يرى ذلك ويسمعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (هلا قلت خذها وأنا الغلام الأنصاري) فتعرض له أخوه يعدو وكأنه كلب قال ابن عويف: (فضربه رُشَيْد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه ويقول خذها وأنا الغلام الأنصاري)، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: (أحسنت يا أبا عبد الله فكناه يومئذ ولا ولد له)[١٢].

المدخل الرئيس لمرقد رُشيد

أما صحبته لأمير المؤمنين عليه السلام، فلا نقاش فيها، فقد عده الرجاليون من المقربين إليه عليه السلام، بل من حوارييه، وكذلك الحال مع الإمام الحسن عليه السلام فقد سار رُشَيْد على نهجه السوي ماسكاً بحبل الله، متمسكاً بالعروة الوثقى، وبعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام التحق رُشَيْد بخدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى كان بوابه الخاص[١٣]، كما جعله أصحابنا من الرجاليين من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ولا توفر لنا كتب السيرة والرجال والحديث ما يدعم صحبته للإمام السجاد عليه السلام، بمعنى بقاء رُشَيْد على قيد الحياة إلى ما بعد واقعة الطف، وإذا سلمنا ببقائه، فعلام لم يلتحق بركب الحسين عليه السلام إلى كربلاء وهو بوابه، اللهم إلا إذا كان رُشَيْد محبوساً في سجون الكوفة التي ملأها عُبيد الله بن زياد بالموالين لآل البيت عليهم السلام، خوفاً من نصرتهم الحسين عليه السلام أو تهديدهم لوضعه

صورة للواجهة الأمامية لضريح رُشيد

في الكوفة.

ممن روى عنهم:

روى رُشَيْد عن مجموعة من الصحابة نذكر منهم:

١ـ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ـ أبوه، ولم تذكر عموم كتب الرجال والسيرة من هو أبوه والأنكى من ذلك يقدحون في أبيه ولا يعرفون حتى اسمه، فمنهم من يقول في ترجمة رُشَيْد، عن أبيه، ليس برشيد ولا أبوه[١٤].

٣ـ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لكلّ أمة مُحدّث، ومحدث هذه الأمة سلمان)، فقيل: (يا رسول الله فما معنى محدث)، قال: (هو ينبئ بما غيب عن الناس مما يحتاجون إليه)، فقيل له: (وكيف ذلك يا رسول الله)؟ قال: (لأنه قد علم من علمي ما هو في قلبه من علم ما كان وما هو كائن)[١٥].

٤ـ سلمان الفارسي[١٦].

من يروون عنه:

١ـ سيف بياع السابري.

٢ـ أبو خالد الكابلي.

٣ـ الشعبي.

٤ـ ابنته قنواء:

فعنها قالت: قال لي أبي (يا بنية أميتي الحديث بالكتمان، واجعلي القلب مسكن الأمانة)[١٧] وعنها أيضاً قالت: (قلت لأبي ما

أشد اجتهادك؟! فقال يا بنية: سيجيء قوم بعدنا بصائرهم أشد في دينهم أفضل من اجتهادك أولهم)[١٨].

رُشَيْد المنايا والبلايا:

اختص رُشَيْد رضي الله عنه بهذا اللقب (رُشَيْد المنايا والبلايا) دونما أصحابه الذي أخذوا علماً من معدن العلوم المرتضى علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، حيث ألقى إليه عليه السلام علم البلايا والمنايا، أي ما سيقع على الإنسان من بلية وكيف تكون ميتته، فكان (يقول فلان يموت بموتة كذا وكذا وفلان يموت بقتلة كذا وكذا ويكون كما قال)[١٩]، ومن هذا تعرف عظم الدرجة التي وصل إليها رُشَيْد حتى استطاع أن يعي فكرُه ما كان يبثه إليه مولاه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شاركه في هذا العلم ثلة من الأصفياء، نأخذ منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ ميثم التمار: وقد شارك ميثم رُشَيْداً في استيعاب هذا العلم، ولعل أجمل ما يذكر في هذا المجال تلك المحاورة التي دارت بين ميثم التمار وحبيب بن مظاهر الأسدي والتي كان رُشَيْد المكمل لها، فعن فضيل بن الزبير قال: (مرّ ميثم التمار على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد فتحادثا حتى اختلفت عنقا فرسيهما ثم قال حبيب: (لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صُلب في حب أهل بيت نبيه، فتبقر بطنه على الخشبة)، فقال ميثم: (وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة، وفي رواية ويعلق رأسه بلبان الفرس، فتضربه الفرس برجليها)، ثم افترقا فقال أهل المجلس: (ما رأينا أكذب من هذين. قال فلم يفترق المجلس حتى أقبل رُشَيْد الهجري، فطلبهما فقالوا افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رُشَيْد: (رحم الله ميثماً نسي، ويزاد في عطاء الذي يجيء برأس حبيب مئة درهم)، ثم أدبر فقال القوم: (هذا والله أكذبهم)، قال: فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب قد قتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كل ما قالوا)[٢٠].

من خلال استقراء لتاريخ حياة ميثم التمار رضي الله عنه نجد أن هناك شبهاً كبيراً مع حياة رُشَيْد، إلا أن الأضواء التي سلطت على ميثم، كانت أكثر بكثير من رُشَيْد رضي الله عنه الذي لم يذكر لنا التاريخ سوى بعض المواقف واللمحات العامة عن حياته.

ويمكن إيجاز أوجه الشبه بين ميثم ورُشَيْد بما يلي:

أ ـ كلاهما من حواري أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تعلما منه علم المنايا والبلايا.

ب ـ كلاهما من الموالي إن صحت رواية الجزري في أسد الغابة.

ج ـ قتلا بنفس القتلة، وصلبا على نفس دار عمرو بن حُريث.

د ـ إذا ما أكدت الروايات فيكون قاتلهما عبيد الله بن زياد، وفي فترة زمنية واحدة.

٢ـ مالك بن ضمرة الرواسي، من أصحاب الإمام عليه السلام أيضاً ومن استبطن من جهته علماً كثيراً وكان أيضاً قد صحب أبا ذر فأخذ من علمه وكان يقول في أيام

بني أمية: (اللهم لا تجعلني أشقى ثلاثة، فقيل له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمى من فوق طمار ورجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب ورجل يموت على فراشه، فكان من الناس من يهزأ به ويقول هذه من أكاذيب أبي تراب، وكان الذي رُمي من طمار هاني بن عروة والذي قطع وصلب رشيد الهجري ومات مالك على فراشه)[٢١] والملاحظ إن الذي رُمي من فوق الطمار هو مسلم بن عقيل عليه السلام وأما هاني فقد ذُبح في سوق القصابين.

٣- مزرع: صاحب أمير المؤمنين عليه السلام عن عبد العزيز بن صهيب قال: حدثني أبو العالية عن مزرع صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (ليقتلن جيش إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، قال أبو العالية: فقلت له إنك لتحدثني الغيب. قال: احفظ ما أقول لك فإنما حدثني به الثقة علي بن أبي طالب وحدثني أيضاً شيئاً آخر، ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن على شرافتين من شرف المسجد، فقلت: إنك لتحدثني الغيب. فقال: احفظ ما أقول لك، قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزرع فقتل وصلب بين شرافتين من شرف المسجد)[٢٢].

ولاء رُشَيْد الهجري لآل البيت:

لم يكن تقريب الإمام عليه السلام رُشَيْداً عن اعتباط، فالرجل يتمتع بمواصفات، قل نظيرها في ذلك المجتمع، المتغير الأهواء والمصالح، فبالإضافة إلى صلابة الإيمان وقوة العقيدة فقد تميز بوضوح الرؤيا حيث أدرك منذ الوهلة الأولى استقامة الطريق الذي يفضي بمن يتبع علي عليه السلام، فسلكه، ولما لمح فيه الإمام عليه السلام ما يتوسمه في أصحابه قربه، فعن حبّة العرني قال: قال أمير المؤمنين لرُشَيْد: (إني هويتك وإني محدثك حديثاً فخذه مني على خلوة. فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل نسي. فقال علي عليه السلام: إني سأعيده عليك حتى تحفظه: أحبب حبيب آل محمد ما أحبهم فإذا أبغضهم، فأبغضه، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم فإذا أحبهم فأحبه وأنا أبشرك بالبشرى، قالها ثلاث مرات)[٢٣].

في حين يطرح الشيخ عبد العظيم المهتدي في كتابه[٢٤]، (بعدما قسم الأدوار التاريخية التي مرت بها البحرين منذ اعتناق أهلها للدين الإسلامي الحنيف سنة (٧هـ) إلى خمسة أدوار حتى زماننا هذا)، رأياً يقول فيه ومن أكبر معطيات الدورة الأولى التي امتدت حتى عام (٧٧هـ)، ولاء الإمام علي ومشايعة أهل بيت النبي إضافة لعدم الركون للحكم الأموي حتى بعد اضطرار الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية وقد عد أبرز علماء البحرين في تلك الحقبة:

١- المنذر بن عائذ المعروف بالأشج.
٢- الجارود بن المعلى العبدي.
٣- الحكيم بن جبلة العبدي.
٤- الشهيد رُشَيْد الهجري.
٥- الشهيد صعصعة بن صوحان العبدي.
٦- أخوه الشهيد زيد.
٧- نصير البحراني.

طعون في رُشَيْد:

المتتبع لكتب الحديث والرجال من العامة يلاحظ أن الطعون الموجّه لشخصية رُشَيْد غير طبيعية، وهذا ينمي عن حقد دفين إتجاه هذه الشخصية الموالية لعلي عليه السلام فقد

ذكر شمس الدين الذهبي ما نصه (رُشَيْد الهجري يروي عن أبيه، قال الجوزجاني: كذاب غير ثقة، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال البخاري: يتكلمون فيه، وقال عباس بن يحيى بن معين قال: قد رأى الشعبي رُشَيْد الهجري، وحبّة العرني وأصبغ بن نباتة، ليس يساوي هؤلاء شيء وقال ابن حيان: رُشَيْد الهجري كان يؤمن بالرجعة)[٢٥].

وهاهي الحقيقة تُسفر عن وجهها، فأعداء علي عليه السلام لا يروق لهم توثيق شخص موالٍ لعلي عليه السلام، وكيف يوثق وهو المُطارد من قبل الدولة، المحكوم عليه بالقتل، فبنظرهم هو المرتكب للجُنحة المخلّة بالشرف وهي الولاء لعلي عليه السلام، أما الشُعبي الذي عنده رُشَيْد لا يساوي شيء فلننظر لما أورده الذهبي عن سهل بن محمد العسكري، قال حدثنا زكريا عن أبي زائدة قال: قلت للشعبي: (مالك تعيب أصحاب علي وإنما علمت عنهم؟)، قال: (عمّن قلت عن الحارث وصعصعة)، قال: (أما صعصعة فكان خطيباً تعلمت منه الخطب وأما الحارث فكان حاسباً تعلمت منه الحساب وأما رُشَيْد الهجري فإني أخبركم عنه، إني قال لي رجل اذهب بنا إليه، فذهبنا، فلما رآني قال لرجل هكذا ـ وعقد ـ ثُلاثين يقول كأنه منا، ثم قال أتينا الحسن بعد موت علي، فقلنا أدخلنا على أمير المؤمنين، قال: (إنه قد مات قلنا لا ولكنه حي يُعرف الآن تحت الدثار)، قال: (إذا عرفتم هكذا فادخلوا عليه ولا تهيجوه، قال الشُعبي: فما الذي

أتعلم من هذا)[٢٦].

ولنا وقفة مع الشعبي في هذا الحديث فمنه يتبن أن هناك جماعة دخلوا على الحسن عليه السلام بعد موت علي عليه السلام وليس رُشَيْد وحده، كما إن إيمان رُشَيْد بحياة علي عليه السلام كان نتيجة لما يحمله من علم، يصعب على الشعبي وأمثاله أن يحملوه، فرُشَيْد المنايا والبلايا لا يرقى إليه الشُعبي (والشُعبي هو مصدر هذه النسبة الباطلة فقد كان من أولياء بني أمية، أعداء الرسول وآله ومن عمالهم وقضاتهم ومن المنحرفين عن علي وآله عليهم السلام وشيعته وهو الذي قال للحارث أما إن حب علي لا ينفعك وبغضه لا يضرك رداً على قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضنك إلا منافق) فأراد أن يختلق عذراً لدعي بني أمية زياد في تمثيله بشيعة أهل البيت الطاهر ويدافع عنه)[٢٧]، فكيف نريد من رجل بهذه المواصفات أن يوثق رُشَيْداً؟! وأما الرجعة فهي في الحياة بعد الموت قبل القيامة والقرآن الكريم زاخر بأمثلة على الرجعة ومن شاء فليراجع كتاب الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة للشيخ عبد اللطيف البغدادي وكتاب الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي رضوان الله عليه، عني بتحقيقه الأستاذ مشتاق المظفر وغيرها من الكتب التي تثبت صحة هذا المعتقد على ضوء القرآن والسنة النبوية والعقل والإجماع.

وختامها مسك:

بعد عُمر مليء بالكفاح والجهاد في سبيل الإسلام، عُمر لاقى فيه رُشَيْد ما لاقى من التشريد والمطاردة من قبل السلطة الأموية، ففي الاختصاص: قال لما طلب زياد أبو عبيد الله رُشَيْداً الهجري اختفى رُشَيْد في ذات يوم إلى أبي أراكة (وهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام) وهو جالس على بابه في جماعة من أصحابه فدخل منزل أبي أراكة ففزع لذلك أبو أراكة وخاف فقام فدخل في أثره فقال: ويحك قتلتني وأيتمت ولدي وأهلكتهم، قال: وما ذاك؟ قال: أنت مطلوب وجئت حتى دخلت داري وقد رآك من كان عندي، فقال: ما رآني أحد منهم قال: وتسخر مني أيضاً، فأخذه وشده كتافاً ثم أدخله بيتاً وأغلق عليه بابه ثم خرج إلى أصحابه فقال لهم: إنه خيّل إليّ أن رجلاً شيخاً قد دخل داري آنفاً، قالوا: ما رأينا أحداً، فكرر ذاك عليهم كل ذلك يقولون: ما رأينا أحد. فسكت عنهم، ثم أنه تخوّف أن يكون قد رآه غيرهم، فذهب إلى مجلس زياد ليتجس هل يذكرونه فإن هم أحسوا بذلك أخبرهم أنه عنده ودفعه إليهم فسلم

على زياد وقعد عنده وكان الذي بينهما لطيف، قال فبينما هو كذلك إذ أقبل رُشَيْد على بغلة أبي أراكة مقبلاً نحو مجلس زياد فلما نظر إليه أبو أراكة تغير وجهه وأسقط في يده وأيقن بالهلاك، فنزل رُشَيْد عن بغلة وأقبل على زياد فسلم عليه فقام إليه زياد فاعتنقه وقبله ثم أخذ يسأله كيف قدمت وكيف من خلفت وكيف كنت في مسيرك وأخذ لحيته ثم مكث هنيئة ثم قال فذهب. فقال أبو أراكة لزياد: أصلح الله الأمير من هذا الشيخ؟ قال: هذا أخ من إخواننا من أهل الشام وقدم علينا زائراً، فانصرف أبو أراكة إلى منزله فإذا رُشَيْد بالبيت كما تركه. فقال له أبو أراكة: أما إذا كان عندك من العلم كما أرى فاصنع ما بدالك وادخل علينا كيف شئت)[٢٨].

وأما في استشهاده، فلدينا نصّان، يثبت أحداهما قتل رُشَيْد رضوان الله عليه على يد زياد بن أبيه، والأخر يثبت أنه قُتل على يد ابنه، الطاغية عُبيد الله بن زياد، فعن قنوا بنت رُشَيْد الهجري قال أبو حيان البجلي، قلت لها أخبريني ما سمعت من أبيك قال: سمعت أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رُشَيْد كيف صبرك إذا أرسل عليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ قلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك إلى الجنة؟ فقال: يا رُشَيْد أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد الدعي فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يتبرأ منه، فقال له الدعي: فبأي ميتة قال صاحبك تموت؟ فقال له: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة فلا أبرأ منه فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله، قال فقدموه فقطع يديه ورجليه وتركوا لسانه فحملت أطراف يديه ورجليه، فقلت: يا أبت هل تجد ألماً أصابك، فقال: لا يا بُنية إلا كالزحام بين الناس. فلما احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله فقال: أئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى يوم الساعة، فأرسل إليه الحجّام فقطع لسانه، فمات رحمه الله من ليلته[٢٩].

أما الشيخ المفيد فقد روى عن سلسلة من الرواة عن زياد بن النصر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أتي برُشَيْد الهجري، فقال له زياد: ما قال لك صاحبك - يعني علياً عليه السلام - إنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبونني، فقال زياد: أم والله لأكذبك حديثه خلوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال زياد: والله ما نجد له شيئاً شراً مما قال له صاحبه، اقطعوا يديه ورجليه واصلبوه. فقال رشيد: هيهات قد بقي لي عندكم شيء أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام فقال زياد: اقطعوا لسانه، فقال رُشَيْد: الآن والله جاء تصديق خبر أمير المؤمنين عليه السلام[٣٠].

وفي معرض تبيان الواقعتين يقول السيد الأمين العاملي جعل الكشي والشيخ في الأمالي هذه الواقعة مع عبيد الله بن زياد وجعلها إبراهيم بن اسحاق والمفيد مع أبيه زياد والظاهر أنه هو الصواب وغيره اشتباه.

وثانياً ما في الكشي والأمالي الظاهر أنه لواقعة واحدة بدليل اتحاد المتن لكن الكشي حكاه عن قنواء بنت رُشَيْد وصاحب الأمالي حكاه عن أمة الله بنت رُشَيْد فهل هما اسمان لبنت واحدة أو هما اثنتان كلاهما شهدتا ذلك وحكته عن

أبيها وفي كلتا الروايتين أنها قال: له يا أبت هلا تجد لذلك ألماً؟[٣١].

المرقد الشريف:

وأما تعيين مرقده وتاريخ عمارته، يذكر الشيخ حرز الدين قائلاً: مرقده بباب النُخيلة ضمن حدود الكوفة قديماً، يقع شرقي مرقد ذي الكفل على بعد نصف فرسخ منه، وهو على يمين الذاهب إلى مسجد الكوفة بالطريق العام، عبر فرع نهر الفرات على جسر العباسيات - إلى الحلة السيفية، في مقاطعة الشهابية، وتسمية الأعراب (الإمام راشد بن علي)[٣٢].

ويبدو أن العمارة الأولى كانت في زمن حرز الدين حيث يقول: (وقفنا على مرقده سنة (١٣٠٨هـ) وكان مجرة صغيرة عليها قبة بيضاء عتيقة مبنية بالجص والحجارة القديمة حدود سبعة أذرع بذراع اليد)[٣٣] كما زاره حفيده الشيخ محمد حسين حرز الدين في سنة (١٣٨٧هـ) وصفه قائلاً:

(يبعد مرقده عن ناحية الكفل خمسة كيلومترات، كما يبعد عن جدول الكفل الحالي قرابة المائة متر إلى الشرق الجنوبي، ويقع في مزرعة)، ثم يصف القبر، ويظهر من وضعة أنها العمارة الثانية فيقول: (مرقده عبارة عن غرفة مربعة طولها وعرضها ٥×٥م وعليه قبة ارتفاعها بحدود سبعة أمتار ويبدو من عمارتها أنها جديدة حادثة، أما القبر فعليه شباك خشبي وكل من أبعاده ٢م وعلى باب مرقده من الإيوان الخارجي صخرة مبنية بالجدار صغيرة الحجم كتب عليها ما نصّه: (هذا مرقد المرحوم راشد بن علي الهادي) ثم يذكر الشيخ محمد حسين حرز قائلاً: (قلت: والذي يبدو من هذه الصخرة أنها جديدة الصنع والكتابة).

من القول أعلاه نستشف أن الأعراب في عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) كانت تطلق عليه اسم راشد بن علي دونما تمحيص ومعرفة.

أما اليوم، فينتصب قبره المبارك والذي يبعد قرابة الكيلومتر عن الشارع الواصل بين النجف والحلة، وهو عبارة عن مجموعة كاملة تبلغ مساحتها دونماً، تتضمن الصحن، الذي يحوي حرمه المطهر وعندما تدخل من باب الصحن، تطالعك باب الحرم التي تعلوها الكتيبة مرقد رُشَيْد الهجري، والحرم يفضي بك إلى قاعة، يقع على يمينها القبر وهو عبارة عن صندوق خشبي، تتخلله شبابيك حديدية بارتفاع مترين ونصف، تبلغ مساحة الصندوق (٢،٢٥م × ٣،٠م) ويحتوي الحرم على رواقين أحدهما للرجال والآخر للنساء، تعلو القبر قبة خضراء مكسوة بالكاشي الكربلائي، وكأنها تحيي الزائرين عن بُعد.

تعاقب على خدمة مرقد رُشَيْد الهجري أشخاص من تلك المنطقة واليوم يقوم على سدانته الحاج زايد آل جشام الحمادي، ينقل لي ولده الأخ ثائر كرامة وقعت لرُشَيْد وكان على أثرها التوسيع والترميم والإنشاء حيث يقول: (بعدما دخلت القوات الصدامية إلى الكوفة عام (١٩٩١م) إثر الانتفاضة الشعبانية، جعلت تداهم البيوت وتأخذ الرجال على الظن والتهمة، ومن هؤلاء الرجال، أخذوا الحاج مقداد من أهالي الكوفة، ثم اقتيد مع مجموعة كبيرة من أهالي الكوفة إلى بغداد، وخلال مرورهم بالطريق الواصل إلى الحلة، أبصر قطعة تشير إلى مرقد رُشَيْد الهجري فقال بلسان من أذهلته الدهشة انقطعت

منه أسباب الأمل بالحياة: (يا رُشَيْد إن أخرجني الله من هذه الهلكة، أقوم بتعمير قبرك)، ومضت بهم السيارة مع الجلاوزة إلى سجن الرضوانية، وعندما أنزلوه وجد هناك آلافاً من الأبرياء وعندما سأل عنهم قالوا له: (في كل يوم يأخذون مجموعة منا ولا يعودون بهم والظاهر أنهم يقتلونهم فنحن هنا بانتظار الموت)، عندها ازدادت كربته وثقل حاله وما امسى المساء حتى أنهكه البكاء فامتلكته غفوة رأى في عالمها كأن شخصاً يحدثه ويقول له: (ماذا تريد)، فأجابه الحاج مقداد وهو منذهل: (من أنت)، فقال له: (أنا رُشَيْد الهجري، طب نفساً فإنك عائدٌ لأهلك سالماً غداً إن شاء الله) فجلس ولم تسعه الدنيا من شدة فرحه، فقال له من كان معه: (ما دهاك) قال: غداً سأخرج قالوا: (لقد جُن الرجل، غداً سيكون موعدنا مع الموت الذي لا مفر منه)، فلما أصبح الصباح، جمعوا الناس وأخذوا مجموعة وكان منهم الحاج مقداد، ثم ما لبث أحد الشرطة حتى نادى أين مقداد فليخرج، فخرج الحاج مقداد وعاد سالماً نحو أهله)، وهكذا شرع في دعم عملية بناء القبر وتوسعته، كما يحدث الأخ ثائر بقوله: (لقد عانينا أيام العهد البائد الأمّرين، وقد لا يمر علينا أسبوع إلا يأتي إلينا استفسار أو سؤال، سواء كان من الأمن أو من المحافظة، وكانت الأسئلة مركزة على من يمدكم بالأموال في بناء المرقد وكنا ببركة رُشَيْد نجيبهم بأجوبة يقتنعون بها)، ثم يضيف: (تبرع لنا رجل من رجال الخير، كان يمتلك سيارة حمل في نقل مواد البناء دون مقابل، قائلاً إن هذا العمل لوجه الله وكرامة لسيدي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام رُشَيْد الهجري، وفي يوم ما أثناء سيره بالطريق زاحمته سيارة أجرة صغيرة فلم يستطع السيطرة على سيارته إذ صعدت على السيارة الصغيرة وعندها ذُهل الرجل وقال: (إن الركاب قد ماتوا بأجمعهم)، فلما نزل، خرج الركاب والسائق ينفضون بقايا الزجاج عن ألبستهم، ولم يصبهم سوى بعض الخدوش والجروح فتعجب من ذلك وكل من رآهم قال: (إنهم نجوا بأعجوبة فهم ميتون ميتون)، ويضيف: (أن صاحب السيارة الصغيرة لم يطلب عوضاً من سائق سيارة الحمل، ولما سأله عن تعميره لها قال: لا أطلب منك شيء، اذهب)، وكما هو الحال مع الأولياء الصالحين فقد قصد رُشَيْداً جمع من المرضى، واستجاروا به فكان شفاؤهم عوض الاستجارة، هذا رُشَيْد وهذه تضحيته وهذا جهاده فكان مصداقاً لقوله تعالى: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً ولا فساداً والعاقبة للمتقين) فقد نال

مصلى للرجال أنشئ حديثاً

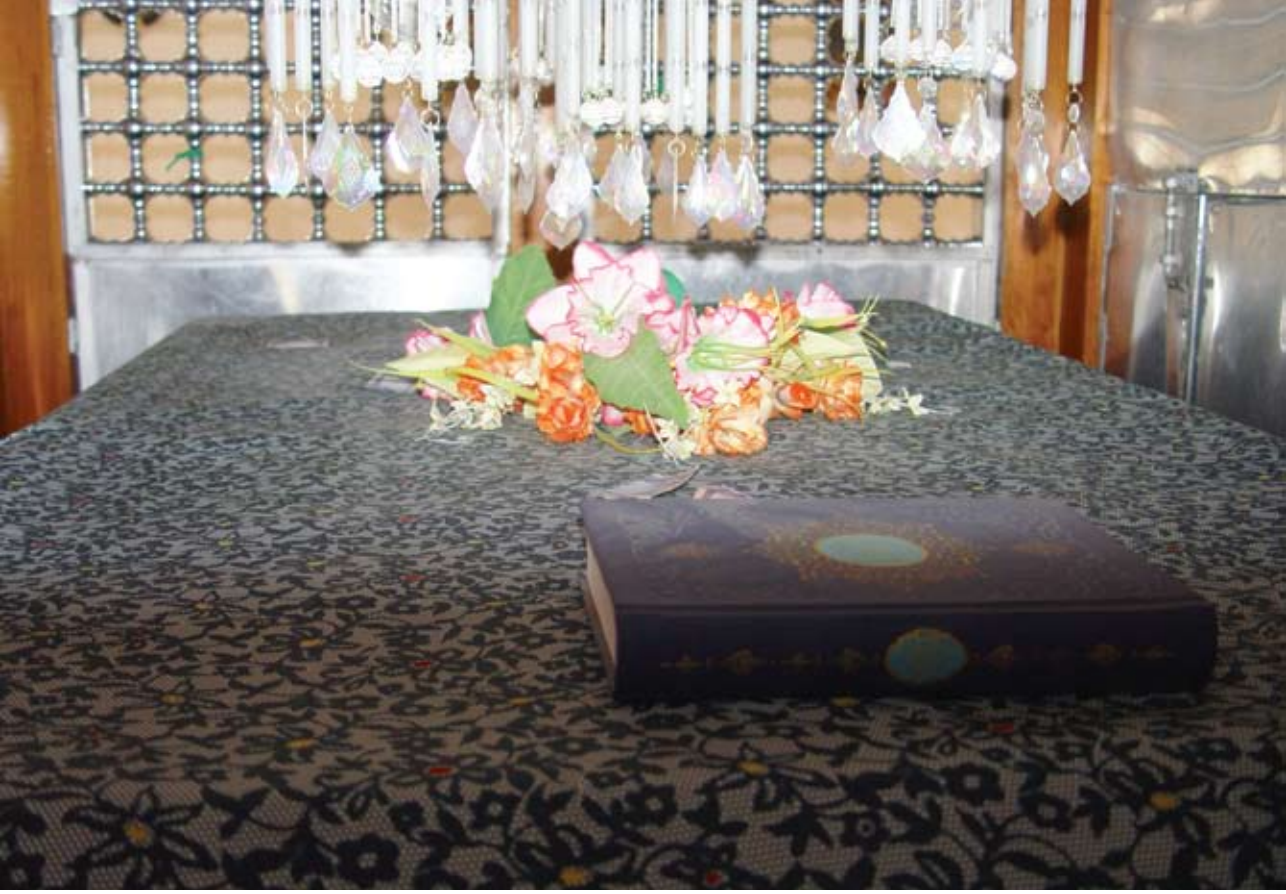

الضريح المطهر من الداخل

مجد الآخرة وخلود الدنيا ■

(١) تكملة نقد الرجال، التفريشي.
(٢) معجم الأسامي، د. يحيى الشامي، ص٢١٢.
(٣) الأعيان، الأمين، ج١٠ ص٢١٩.
(٤) رجال الطوسي، ص٤١.
(٥) الأنساب، السمعاني، ٢/ ١٢٧.
(٦) أنوار البدرين، البلادي، ص٢٠.
(٧) علماء البحرين، ص١٥.
(٨) أنوار البدرين، البلادي، ص٢٨٢.
(٩) رجال الطوسي، ص٤١.
(١٠) معجم البلدان، الحموي، مادة هجر، ٥/ ٣٩٣.
(١١) أسد الغابة، الجزري، ٢/ ص١٧٧.
(١٢) المصدر السابق.
(١٣) دلائل الإمامة، الطبري، ص١٨١.
(١٤) مختصر الكامل في الضعفاء، المقريزي، ص٢٧٤.
(١٥) نفس الرحمن، النوري، ص٢٦٩.
(١٦) المصدر السابق، ص٤٠٢.
(١٧) البحار، المجلسي، ٩/ ٦٣٣.
(١٨) المحاسن، البرقي، ١/ ٢٥١.
(١٩) البحار، المجلسي، ٩/ ٢٥١.
(٢٠) منتهى المقال، المامقاني، ٢/ ٣٢٨.
(٢١) أعيان الشيعة، الأمين، ١١/٣٢.
(٢٢) شرح إحقاق الحق، المرعشي، ٨/ ١٥٥.
(٢٣) مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي، ٢/ ١٢٧.
(٢٤) علماء البحرين، ص٤٧.
(٢٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٤٢ ـ ٤٢.
(٢٦) المصدر السابق.
(٢٧) الأعيان، الأمين، ١٠/ ٣٢٦.
(٢٨) الاختصاص، المفيد، ص٧٨.
(٢٩) رجال الكشي، ص٧٦.
(٣٠) الإرشاد، المفيد، ص١٥٤.
(٣١) الأعيان، الأمين، ١/ ٣٢٥.
(٣٢) مراقد المعارف، حرز الدين، ص١٠١.
(٣٣) المصدر السابق.

مفاهيم متحجرة

الدولة ـ النظام السياسي ـ الوطن

• ضياء بهاء محمود
بكالوريوس آداب انكليزي

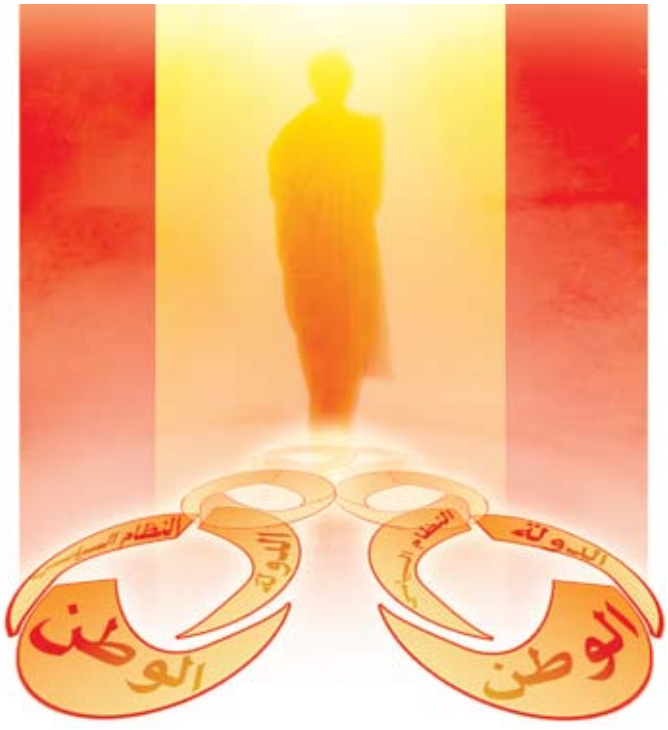

ينابيع هكذا هي مصمتة، متماسكة. لن تجد فيها مرونة ولا يسعك تجاوزها والانكى من ذلك أن تتقبلها كما تعارف عليها الأكثرية بـ(سطحية) ودون تأمل. وهذا ما سوّغَ اختيار العنوان أعلاه لمبحث يتصل بتحديد وجهة (الولاء) في ظل ثلاثة مفاهيم: (الدولة)، (النظام السياسي)، و(الوطن)... خواطر ليس بمقدورك أن تتعرض لها بموضوعية، فالقَولبة في التنظير السياسي لا سيما في الشرق يشبه إلى حد بعيد ظل الشكل الكونكريتي الثقيل.

هذه المفاهيم الراسخة

في ضمير الشعوب وفي عقلها السياسي أول ما نلحظه عليها انها مستقاة من الأدب السياسي الذي يتصل بتعريف الأنظمة السياسية الحاكمة وتصرفها الكبير في تطويع هذه الألفاظ لما ترغب به من معان تتماشى مع ستراتيجيتها في العمل السياسي. فهي موجودة إذن (بتصرف) وليس بجوهرها الأصيل ثم انها تحولت إلى آلات صوتية في جوقة المطبلين للمتنفذين وأرباب السلطة. وهكذا تتكون معرفة ان لم تكن مخطوءة فهي منقوصة، كما نلحظ أن هناك خلطا في استيعاب دلالات هذه المفاهيم وفي استحضارها في حياتنا. وسار هذا الخلط باتجاهين خطيرين يتمثل الأول بمحاباة النظام السياسي الحاكم في توجهاته وفي الدفاع عن وجوده ويتمثل الثاني برفض أي تفسير آخر واعتباره خيانة وانحرافا عن المبدئ الصحيح.

وهكذا تجد على سبيل المثال لا الحصر ان الواحد منا يقال له أو لولده انه ابن (الدولة)، ولكن المراد من ذلك أن (النظام السياسي) يتصرف به كما يشاء. وإذا استفسرت، لمصلحة من؟ يأتيك الرد، لمصلحة (الوطن)؛ أنظر كيف قلبوا لك الأمر؛ ثم كيف تم توظيف هذه المفاهيم دفعة واحدة وبأوجه متداخلة من خلال تفسير شيء بشيء آخر متجاوزين حدود الموضوعية إلى الذاتية حيث يتم تطبيع كل شيء ليكون مناسبا لما تراه رموز الطبقة الحاكمة. وهذا التشويه يستهدف خلق الضبابية حول توزيع الحقوق والواجبات بحيث يتحول البلد بما عليه من إسنان وموارد إلى بقرة حلوب ضمن إقطاعية النظام السياسي وليبقى ابن البلد يعطي بلا حدود، وأيضا دون ان يحرز رضى المتحكمين به الذين وسّعوا معنى (وطن ودولة) ليبتلع كل شيء وليترك المواطن يعطي من اجل ان يعطي المزيد.

تعني الدولة لغة: ما يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك فتطلق على المال والغَلَبَة. أي ان (الدولة) فيما تعنيه حركة دائمة في انتقال التصرف وتحصيل المنفعة. وفي المنظور السياسي فان الدولة هي المؤسسات... مؤسسات المجتمع المدني على إطلاقها من وزارات ومشاريع ماء وكهرباء وصحة وتعليم بأناسها العاملين فيها ومنشآتها وتجهيزاتها والقائمة تطول وتتشعب لكنها تنطوي على عنصرين رئيسيين: الأول، هو إن الدولة ليست رمزا يتمثل في فرد أو مجموعة أفراد بل هي مؤسسات ثابتة يتداولها الناس ضمن فترة زمنية ذات أبعاد سياسية بحيث ينتفع منها كل أفراد الشعب بغض النظر عن الدين أو العرق أو الاتجاه السياسي.

والثاني، هو إن لهذه المؤسسات ومنافعها قابلية الانتقال عبر الزمن لتأدية دورها الأساسي في تقديم خدماتها لكل من اكتسب صفة المواطنة دون ان يعد من ذلك- كما أسلفنا- اعتبار التمايز الانثي أو الإيديولوجي العقائدي.

أما النظام السياسي- هنا عقّادة العُقَد- فثقب اسود استوعب في قاعة السحيق المظلم كل القيم والمقاييس وإعادة جدولة الدنيا بكل معاييرها ومفاهيمها وكتب ثوابتها وفق رؤيته التي لم تدع الصدق صدقا ولا الكذب كذبا. وخاطب الشعب خطاب الوصي

للقاصر ولم يترك أمرا صغر أو كبر إلا كيفه لمشروعه السياسي مستنفرا ومبذرا كل طاقات الوطن وموارده البشرية والطبيعية.

لقد تضخم (النظام السياسي) إلى حد التورم بل إلى حد الورم الخبيث. بينما لا يتصرف هذا إلى أكثر من مجرد (رؤية إدارية) للدولة (أي للمؤسسات). ويفترض في هذه الرؤية الإدارية ان تكون خاضعة للجرح والتعديل والتقييم والنقد دون رهبة أو تردد... إنه برنامج عمل لإدارة مؤسسات الدولة بغية استحصال اكبر قدر من المنفعة لصالح المواطن ويحمل هذا البرنامج حزب أو تيار سياسي أو توجه إصلاحي لكنه في النهاية ينبغي ان يكون معرضا لان يخطئ أو يصيب ويحاسب ويوجه أو يستبدل بكل مرونة وإانسيابية ودون الحاجة إلى إراقة الدماء وإحراق الحرث والنسل والتفنن في إرهاب الناس واسكاتهم مقابل تأليه راس النظام السياسي وإسباغ الصفات عليه حتى لا يبقى بين أفراد أمته وفيها الفقيه العالم واللبيب من يجاريه في نبوغه الزائف.

والحكومة هي صورة النظام السياسي وملامح نظريته على أرض الواقع المعاش. ولطالما اختلفت النظرية المبثوثة في ثنايا الطرح السياسي عن واقع الأحزاب والحركات السياسية التي نسبت نفسها إلى قيم الحضارة دون ان تنتسب إليها أو ان تلتزم بأبسط قدر منها.

في الحكومة يتبارى النقيضان- التمتع بالمسؤولية- و- الشعور بالمسؤولية-. وفي كتابه- معاوية في الميزان- صنف العقاد- معاوية- في منازل المقتدرين وقال ان (المقتدر) هو من يمتلك الأهلية والاستطاعة ويمارسها في تحقيق ما يتطلع إليه من دون تقييم مقدار النفع أو الضرر الذي يترتب على تحقيق إرادته ودون النظر إلى مقتضيات المصلحة العامة. وصنف أمير المؤمنين(عليه السلام):في مراتب(العظماء) وقال إن العظيم هو الذي يمتلك امكانات (المقتدر) ويوجهها إلى المصلحة العليا المجردة عن المكسب الذاتي بل يضحي بمكاسبه وحقوقه إذا استلزم الأمر مراعاة لما يستدعيه صلاح حال المجتمع.

من سجايا المقتدرين- التمتع بالمسؤولية- ومن سجايا العظماء الشعور بالمسؤولية. وبين (العظيم) و(المقتدر) يتأرجح (بندول) التأريخ بحركة غير منتظمة تحقق أكثر ضرباتها في جانب (المقتدرين) الذين لم يتورعوا عن قتل الأنبياء ودعاة الإصلاح ومحاربة الأديان والفكر الحر وإفساد الشعوب مادة ومعنى حتى تحول التأريخ إلى نفق طويل معتم تضيئه بين الفينة والأخرى اشراقات من صنيع العظماء تستحضر الزمان والمكان وتختصر القرون العجفاء في وقفة صبر أو ومضة سيف أو كلمة حق عند سلطان جائر، ويطول السرد في ذكر مآثر(المقتدرين)... فغير بعيد عنا ما أفضت عليه نزاعات القوى الكبرى في الحربين العالميتين من انهيار في الأخلاق وهدر

للأرواح والممتلكات، وغير بعيد أيضا ما أفضت إليه سياسات (ماوتسي تونج) الزراعية الخاطئة في الصين والتي تسببت في وفاة ملايين الصينيين جوعاً في عقد الخمسينيات من القرن المنصرم. وأقرب من ذلك التطهير العرقي في (رواندا) وفي (البوسنة والهرسك). كذلك ما أقدم عليه لقيط العراق- المعذب بعُقده- بدفنه الملايين أحياءً بحثا عن دقيقة يضيفها إلى الزمن الذي- يتمتع فيه بالمسؤولية- وفي مقابل ذلك نرى ان (الشعور بالمسؤولية) دفع حكومة هولندة إلى الاستقالة بكاملها عقب أحداث الشغب الشهيرة إثر مباراة بكرة القدم جرت بين فريقها والفريق الإنكليزي. لمجرد أنها أخفقت في تثبيت الأمن والنظام أثناء هذا الحدث الرياضي. وابلغ منها رائعة أمير المؤمنين(٩) التي أطلقها عندما جاءه القوم يطلبونه للخلافة بعد فتنة عثمان بن عفان، عندما قال لهم: أنا لكم وزير خير مني أمير فاستوزروني.

أما الوطن الذي يعني لغة: منزل إقامة الإنسان ولد فيه أو لم يلد، فيعتبره السياسيون استثمارهم الأكبر والسوق الوحيد التي ليس لها أبواب فتوصد ويجري فيها تسويق كل شيء وبضمن ذلك (العقول) و(الكرامات) و(الذمم). وأرخص سلعة فيها الأرواح! والتنشئة الصالحة تحث على استرخاص الروح في سبيل (الوطن) ولما كان أعداء الوطن كثيرون في الداخل والخارج فان الحكمة والنجاة في الانصراف الدائم هي محاربتهم حتى أصبحت بعض حظائر الحيوان أكثر ملائمة للعيش من بعض الأوطان!

وأحاط السياسيون (الوطن) بالكثير من الأوهام ومن ذلك: ان للوطن حدود مقدسة وان أرواح المواطنين وما يملكون لا تساوي شيئا مقابل حرمتها. لكن ما قيمة هذه الحدود ما دام الناس في بعض الأوطان تخاطر بأرواحها في سبيل النجاة من جحيم الوطن. وإذا كانت لحدود (الوطن) هذه الكرامة فالأولى ان تكون لمواطنيه الذين يخرجون بمئات الألوف أو الملايين بحثا عن كرامتهم وحريتهم واستقرارهم فضلا عن لقمة العيش في وطن آخر.

وربما يبدو ان السياسيين يعطون أنفسهم صفة الشارح لمواصفات الوطن وحق المواطنة لكنهم في الواقع يضعون الشروط لذلك. ومما توضعوا عليه بهذا الصدد: اللغة المشتركة والدين العادات والتقاليد والتأريخ والمصالح المشتركة. وكل ذلك من خيال السياسيين الذي لا يمت إلى الواقع بصلة. فكم من عربي مسلم وجد حريته الدينية والمدنية واستقراره ووجد رغد العيش في وطن لا يشترك معه بعرق أو لغة أو دين أو تأريخ بينما كان غريباً بائساً في وطنه.

ان ما ينشأ من أنماط اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها في المجتمعات البشرية إنما هو تحصيل حاصل وليس شرطا مسبقا للانتماء للوطن. لقد بلغ الأمر في مجال التنوع ضمن الوطن الواحد ان بعض أماكن العمل في الولايات المتحدة تعلّق أعلام دول العاملين فيها. وعلى سبيل المثال فانك تجد علم (مصر) و(روسيا) و(كوريا) و(الباكستان) جنباً إلى جنب والجميع في وطن واحد ودولة واحدة ولا يقدح ذلك في سيادتها أو استقلالها. ولا نورد ذلك على سبيل

الترويج أو الانبهار إنما هو وصف لما ينبغي ان يكون عليه الواقع.

لقد كان حال الدولة الإسلامية قبل قرون مثالاً ساطعاً لما يفترض أن يكون عليه الوطن بالمفهوم الأكبر مع اختلاف الألسن والألوان والأعراق وحتى (العقائد) ونلحظ ذلك واضحا في نطاق الحركة العفوية والرحب الذي كان المواطن يمارسه بتلقائية فهو قد يولد في بغداد ويقضي شطراً من عمره في الهند ثم يستقر زمناً في القاهرة بينما يتوفى في استنبول... هكذا دون ان ينتبه إلى تنوع المجتمع الذي ينتقل فيه لان هناك روابط حقيقية ضمن الوطن لم يتطرق إليه السياسيون.

وليس التأريخ المشترك شرطاً في قيام المجتمع المعافى بل - الحاضر المشترك - الذي يتقاسمه المواطنون على حد سواء من مبدأ العدالة الاجتماعية ووضع الحقوق في موازاة الواجبات. وهكذا ينتقل مفهوم الوطن والمواطنة من كونه ثقافة وتنظيرا إلى ممارسة وشعور حقيقي تذوب فيه كل الرموز الأخرى كـ(الحكومة) و(الحزب الحاكم) و(رئيس الدولة). لقد عاد الفريق اليوناني في نصره في بطولة أمم أوربا ٢٠٠٤ لكرة القدم وسط حفاوة شعبية عارمة وامتدت حشود الجماهير إلى مطار أثينا لكننا لم نلحظ وسط ذلك الكرنفال الكبير صورة واحدة للرئيس اليوناني!

وهذه ليست من متابعاتي إنما هي ملاحظة لأحد المراقبين السياسيين. إن النصر يوناني والوطن يوناني وتفتخر كل العناوين بانتمائها إلى المعنى الأكبر- الوطن- بعيدا عن التفسيرات الوثنية للقائد والقيادة السياسية.

ونصل إلى (الولاء) على خلفية المداخلة السياسية التي ينقصها المنهج المحايد وموضوعية البحث والتي تحولت بفعل طول فترة الهيمنة إلى ثقافة والى مدارس وأساليب في الحكم أوجدت الدافع والمشروعية لمن قام في الجامع الأموي وقال للخطيب ضمن مراسيم صلاة الجمعة: (نسيت السُّنة) ويقصد بذلك سب أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا فان ما يعرض في مثل تلك البيئة الفاسدة ملوث وغير صالح للاستخدام البشري وعلى هذا مرت قرون وتعاقبت دولة جرى خلالها إحلال الزيف محل الحقيقة وهذا يفضي إلى صعوبة ان يتوجه الولاء إلى واحد من المفاهيم المارة الذكر مباشرة ما دامت مناط توجهات النظام السياسي ومصالحه يكيِّفها كيف يشاء كما ان هذه المفاهيم خاضعة للتغيير في ذاتها فقد ينتقل المواطن ليعيش خارج وطنه ودولته ونظامه السياسي، وهو وإن بقي اهتمامه بارتباط سابق إلا أن بيئته السياسية الجديدة لها التزاماتها وضغوطها.

إذن ينبغي أن يتوجه (الولاء) إلى صيغة منهج ثابت يخلو من التقلبات التي تطبع المسار السياسي... صيغة يمكن أن يحملها الفرد داخل وطنه وخارجه على حد سواء ويمكن أن يركن

إليها كيفما كان التنوع السياسي وكيفما تطبعت البيئة البشرية التي يستقر فيها. وهذه الصيغة موجودة في (الدين). ولا يصدر هذا الاستنتاج عن حماس ديني إنما يصدر عن مختبر التأريخ وجدليته. حيث تجد في الدين الصدق ولوضوح والثبات واختفاء الأثرة والأنانية والتسلط. وقد وضع رجال الدين من أنبياء وأئمة وصالحين وتابعيهم كل تلك المعاني السامية في واقع حياتهم وتجدها ماثلة في حركتهم داخل المجتمع فهي ليست للجذب أو للاستهلاك الدعائي حيث نجد أن إيديولوجيات الأحزاب تختلف تماما عن حياتها الداخلية. لقد أقام الدين عندما اجتمعت له عناصر القوة والتأثير مجتمعا متوازناً وعالماً واقعياً يستند إلى العدل والمساواة وتوجيه الطاقات على أساس المصلحة العامة قبل أي اعتبار آخر. وهكذا استمر الدين يتخطى الزمن غير عابئ بتدافع الحضارات، متهكما بعوامل الشيخوخة التي أصابت إمبراطوريات القوة وتركتها أثراً بعد عين. ان الإيمان الذي يعتمل في قلب المؤمن هو الركيزة الحقيقية والولاء الفعلي. فمن قلب محمد ﷺ، يتيم قريش، خرج الوطن والدولة والنظام الذي عرفته الدنيا بأسرها وموعده الأرض كلها مع المبدأ الصحيح والإمام المنتظر يَسَّرَ اللّه ظهوره ووفقنا للالتزام بنهج نُوابِهِ العلماء الأعلام ■

بعض العارفين

مرّ بعض العارفين بقوم فقيل: هؤلاء زهاد.

فقال: وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها. ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشدّ منه، وليس بعد الموت شيء إلا والموت أيسر منه.

إن بقاءك إلى داء فناء، وإن فناءك إلى دار بقاء، فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا ينفى.

اعمل عمل المرتحل، فإن حادي الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك. إذا تيسر الأنس به لم يكن مطلب المحب إلا الانفراد والخلوة، وكان ضيق الصدر من معاشرة الخلق، متبرماً منهم، فإن خالطهم كان كمنفرد في جماعة مجتمعاً بالبدن، منفرداً بالقلب، المستغرق بعذوبة الفكر وحلاوة الذكر.

نسبة التوراة للنبي موسى(ع)

• نصير الكعبي
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع يشمل مصطلح الكتاب المقدس على كتابي التوراة والإنجيل أو العهد القديم والعهد الجديد، والتوراة مقسم على تسعة وثلاثين سفراً أو سورة ضخمة، وأن أصل هذه التسمية يقتصر على الأسفار الخمسة الأولى منه، بيد أنه تجويزاً أو من باب إطلاق الجزء على الكل، أخذ تسميته هذه وعرف بها، وفي الحقيقة تعد هذه الأسفار أهم أجزاء العهد القديم، وتنسب بمجملها للنبي موسى عليه السلام بوحي من الله. ومن أجل الإحاطة والإطلاع على تلك الأسفار فيما يأتي عرض لأسمائها وأبرز محتوياتها، وبشكل

مركز:

أولاً: سفر التكوين:

ويعرض لقصة خلق السماوات والأرض، وآدم ونسله، مروراً بالأسباط الاثني عشر، ويختتم باستقرار هؤلاء بأرض مصر عشية المجاعة.

ثانياً: سفر الخروج:

يحوي هذا السفر أحداث بني إسرائيل في مصر، وقيادة موسى لهم، ومستعرضاً بعض أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات، ويغلب طابع التفصيل والتفريع عليه.

ثالثاً: سفر التثنية:

سمي بالتثنية لأنه ثنى وأعاد ذكر التعاليم المفترض أن موسى تلقاها من ربه، ويشغل معظمه أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحرب والسياسة والاقتصاد.

رابعاً: سفر اللاويين (الليفيين):

هو نسبة إلى لاوي أو ليفي أحد الأسباط أو الأبناء المنحدر عنهم موسى، واهتم هذا السفر بشؤون العبادة وطقوسها، ولاسيما المتعلق منها بطرق تقديم الأضاحي والقرابين.

خامساً: سفر العدد:

قدم هذا السفر إحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وأعدادهم، وجيوشهم وأموالهم، وعدد الكثير من أمورهم لذا سمي بـ(العدد).

وقد أضحت اليوم العديد من المسلمات أو البديهيات أو كما حاول منشؤها أن ينعتوها بهذه الصفة، موضع مراجعة ونقد، مما أدى إلى تغيير وإعادة النتائج المترتبة عليها، وحصل ذلك بفعل تطور مناهج البحث العلمي وأدواته الشرطية الحديثة، فكانت نسبة التوراة للنبي موسى من بين ما مسه البحث العلمي الحديث، وأعاد القراءة فيه، إذ أظهرت البحوث والدراسات الحديثة أن التوراة كتبها مؤلفون، تباينت خلفياتهم وانتماءاتهم فلم تعد تلك الحقائق موقع تقبل واستقبال حتى من المؤسسات الدينية المشرفة على طبعات الكتاب المقدس، فقد تصدرت الطبعة الكاثوليكية الصادرة عام ١٩٦٠هـ، ما يوحي لذلك التأثير وضغطه إذ جاء فيها:

ما من عالم كاثوليكي في عصرنا، يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة، منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف حتى على وضع النص، لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده، لذلك يجب القول: إن ازدياداً تدريجياً قد حدث، وسببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية.

وتتخذ نسبة التوراة (الأسفار الخمسة) إلى موسى بعداً عقائدياً وتاريخياً، فيلاحظ أن فيلون السكندري والمؤرخ اليهودي يوسفيوس، الذين عاصرا السيد المسيح، حاولا ترسيخ فكرة تأليف موسى للتوراة، ذلك ضمن إطار التنافس المحموم بين أتباع الديانتين.

بيد أن المدقق في نصوص التوراة، يشخص مجموعة غير قليلة منها تنافي تلك المعطيات، وتبين مدى الخلط والوهم الواقع فيها، فهناك عبارات تتعلق بموسى، يصعب من خلال طريقة عرضها وحوارها والكلام الموجه منها، أن تكون صادرة عن موسى ذاته، ففي الآية التي تقول: (وأما موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس

الذين على وجه الأرض) (عدد ١٢: ٣) يظهر من هذا النص أن كاتبه شخص آخر يصف موسى وما حوله، ومثال ذلك الآية التي تقول: (وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر، وفي عيون فرعون وعيون الشعب) (خروج ١١: ٣).

ويتمظهر بوضوح شديد التباين في خبر وفاة موسى (فمات هناك موسى عبد الله في أرض موآب حسب قول الله ودفنه في الجواء في أرض موآب) (تثنية ٣٤: ٥) فمن غير الممكن أن يكتب موسى بهذه الصيغة زمان موته ومكانه.

هناك مجموعة من القرائن التوقيتية المحددة زمانياً لوقوع الحدث التوراتي، اقترنت بالنصوص، وأوجدت نقطة ارتكاز لبيان زمانية تلك الحوادث وتشخيصها، وغالباً ما كانت القرينة عبارة (حتى اليوم)، على سبيل أن تسمية مدينة كذا بهذا الاسم وهذا اسمها (حتى اليوم)، يلحظ أن كل النصوص المقترنة بهذه العبارة، قد تمت بعد عصر موسى بقرون، فضلاً عن الفسحة الزمانية التي يضفيها هذا التعبير، مما يوسع الفجوة بين آنية الحدث التوراتي، وزمان تدوينه. (تكوين ٣٥: ٢٠/ تكوين ٤٧: ٣٦/ ٤٨: ١٥/ خروج ١٠: ٦/ عدد ٢: ٣).

إن المتابع للقصص التوراتي، يلمس مدى التكرار البين والملموس فيه، لكن الأهم من ذلك، الاختلافات الجوهرية والمفصلية في بنية ذلك القصص وهياكله، الأمر الذي يرجح تعدد منشأ هذه النصوص وكتابتها، وتباعد المدد فيما بينهم، إذ من المعلوم أن لكل عصر أسلوبه وأدواته القصصية، فضلاً عن اختلاف موضوعاته، والعناوين التي يعالجها، ففي قصة الخلق يشاهد هذا بوضوح، وفيما يلي نموذجين لهذه القصص على سبيل التمثيل لا الحصر.

النموذج الأول: فقد ورد في قصة الخلق أن الإله قام بخلق السماء والأرض دفعة واحدة (في البدء خلق الله السماوات والأرض) (تكوين ١: ١)، بينما في موطن من السفر نفسه تظهر السماء والأرض موجودة من الأزل في صورة ماء مظلم يفتقه الله عن بعضه (يراجع تكوين ٣: ١٩).

النموذج الثاني: ما جاء عن آدم في قصة الخلق، عندما وضع في الجنة، خمره يظهر أنه لم يكن ممنوعاً عليه أكل ثمرة الخلد، بينما يفهم في مكان آخر إنه كان مخلوقاً للفناء (حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب، والى التراب تعود) (تكوين ٣: ١٩).

وإلى جانب تلك المعطيات المستخرجة من داخل النص التوراتي، والتي بينت خواء الرأي القائل بنسبة التوراة للنبي موسى، فإن باحثين غربيين ويهود، أفصحوا في العديد من أبحاثهم عن تلك الحقيقة، فيشير الفيلسوف الإنكليزي توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م): (إن تدوين التوراة قد تم بعد

موسى بزمن طويل، كما قدم الفيلسوف اليهودي باروخ اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) مجموعة من الشواهد والقرائن التي تشير بأن أسفار التوراة بدءاً من التكوين وحتى الملوك الثاني، دونها عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد. كذلك الطبيب الفرنسي جاك أوستراك (١٦٨٤-١٧٦٦م) أول من نبه لاحتواء سفر التكوين على روايتين مختلفتين، بوجود اسمين غير متشابهين للإله.

ولقد تقف خلف موضوع التوراة المنسوب إلى موسى، والاضطراب الحاصل في تلك النسبة، جملة من الأمور، أهمها الفارق الزماني ما بين نزول التوراة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وإعادة جمعه وتدوينه في القرن الخامس قبل الميلاد، فإن سبعة قرون كفاصل ما بين النزول والتدوين، كفيلة بتحريف وتبدل تفاصيل من التوراة، فضلاً عن السبي الذي تعرض له اليهود لأكثر من مرة، وتدمير هيكلهم في أورشليم ■

أبو ذر وعثمان

لما قدم أبو ذر على عثمان قال: أخبرني أي البلاد أحب إليك؟ قال: مهاجري، قال: لست بمجاوري، قال: فألحق بحرم الله فأكون فيه، قال: لا، قال فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: لا، قال: فلست بمختار غيرهن فأمره بالمسير إلى الربذة، فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي: اسمع والمع وانفذ حيث قادوك ولو لعبد حبشي مجدع، فخرج إلى الربذة، وأقام مدة، ثم أتى المدينة فدخل على عثمان والناس عنده سماطين فقال: يا أمير المؤمنين إنك أخرجتني من أرضي إلى أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلا شويهات، وليس لي خادم إلا محررة، ولا ظل يظلني إلا ظل شجرة، فأعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها، فحول وجهه عنه، فتحول إلى السماط الآخر، فقال مثل ذلك. فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي يا أبا ذر ألف درهم وخادم وخمسمائة شاة، قال أبو ذر: أعط خادمك وألفك وشويهاتك من هو أحوج إلى ذلك مني، فإني إنما أسأل حقي في كتاب الله.

فجاء علي (عليه السلام): فقال له عثمان: ألا تغني عنا سفيهك هذا؟ قال أي سفيه؟ قال أبو ذر: قال علي (عليه السلام): ليس بسفيه، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر. أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم.

بحار الأنوار ج:٢٢ ص:٤٠٤

يعلن باب (في رحاب الفقه)
عن استعداده
للقراء الكرام في استقبال
أسئلتهم الفقهية، والإجابة عنها في ضوء
فتاوى سماحة المرجع الديني الكبير السيد
محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية اللّه العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (مدّ ظله).

ما رأيكم في دعاء التوسل المعروف، المذكور في الفصل السابع من الباب الأول من كتاب مفاتيح الجنان؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد آله الطيبين الطاهرين. ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد.. فالدعاء المذكور كسائر الأدعية ذات المضامين الشريفة الواردة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم) التي يحسن قراءتها، ولا يتضح لنا الوجه في التوقف فيه. إذ التوقف فيه تارة: من جهة السند. وأخرى: من جهة المضمون.

أما السند فهو وإن كان مرسلاً، لعدم ذكر سلسلة السند التي توصله للأئمة (صلوات الله عليهم)، كما يظهر بمراجعة الكتاب المذكور، إلا أن ذلك شائع في

الأدعية حتى المشهورة منها، كما هو الحال في كثير من المستحبات أيضاً.

وقد ورد في نصوص كثيرة عن أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) أن من بلغه ثواب على عمل فعمله رجاء ذلك الثواب أوتي ذلك الثواب وإن لم يكن الأمر كما بلغه[1].

ومن أجل ذلك تساهل علماؤنا (رضوان الله عليهم) في ذكر السند في كثير من المستحبات، ولم يتكلفوا إثبات أسانيدها والنظر فيها، ولا ينبغي أن يجر ذلك للإعراض عن هذا الدعاء وغيره من المستحبات بعد أن كان الغرض من الإتيان بها الثواب الذي هو يحصل على كل حال، سواء تم السند أم لم يتم.

غاية الأمر أنه لابد من سلامة المضمون وعدم بطلانه، كي لا يلزم من الإتيان به محذور شرعي.

بل حتى لو لم يكن هذا الدعاء وارداً عن المعصومين (صلوات الله عليهم) جاز قراءته بلحاظ مضمونه إذا كان سليماً، فقد ورد جواز الدعاء بما جرى على اللسان من دون تقييد بألفاظ مخصوصة[2]. ولاسيما مع شيوع مضامين هذا الدعاء في النصوص الواردة عن المعصومين (صلوات الله عليهم)، كما يظهر مما يأتي.

وأما المضمون فقد اشتمل الدعاء المذكور على أمرين:

الأمر الأول: التوسل إلى الله عز وجل بالنبيﷺ، وذلك في قوله: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله». وهو - كما ترى - دعاء لله تعالى مباشرة، مع التوسل إليه سبحانه بالنبيﷺ. ومن الظاهر أن الدعاء لله عز وجل من أفضل الأعمال.

وأما التوسل إليه تعالى بالنبيﷺ فهو جائز في نفسه: أولاً: لأنه لم يتضح لنا أي محذور فيه، وذلك كافٍ في البناء على جوازه، لأن الأصل في الأشياء الحلية، والمنع هو الذي يحتاج للدليل.

وثانياً: لأنه قد أجمع عليه الشيعة (رفع الله تعالى شأنهم) قولاً وعملاً. بل شاع حتى بين بقية المسلمين على اختلاف مذاهبهم، ولم يخرج منهم عن ذلك إلا الفرقة الحادثة من أتباع محمد بن عبد الوهاب، لشبهة واهية تعرض لردّها كثير في كتب مؤلفة في ردّ هذه الفرقة فليرجع إليها من شاء. ويكفينا ما ذكرناه من إجماع شيعة أهل البيت الذين أخذوا دينهم من الثقلين اللذين خلفهما رسول اللهﷺ لأمته، ليعصماها من الضلالة.

وثالثاً: لأن الاستشفاع المذكور قد شاع في الأدعية والزيارات والأحاديث المروية عن النبي وأهل البيت (صلوات الله عليهم). ونكتفي هنا بما ورد في أدعية الصحيفة السجادية، التي لها مكانة خاصة في التراث الإسلامي عامّة، والشيعي خاصة.

---

(١) راجع وسائل الشيعة ج:١ باب:١٨ من أبواب مقدمة العبادات.

(٢) راجع وسائل الشيعة ج:٤ باب:٩ من أبواب القنوت، وباب:٦٢ من أبواب الدعاء.

قال عليه السلام في دعاء الأضحى والجمعة: «فإني لم آتك ثقة مني بعمل صالح قدمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته، إلا شفاعة محمد وأهل بيته عليه وعليهم سلامك...».

وقال عليه السلام في دعائه في دفع كيد الأعداء: «اللهم فإني أتقرب إليك بالمحمدية الرفيعة والعلوية البيضاء، وأتوجه إليك بهما أن تعيذني...».

وقال عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «بحق من انتجبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك، بحق من اخترت من بريتك ومن اجتبيت لشأنك، بحق من وصلت طاعته بطاعتك ومن جعلت معصيته كمعصيتك، بحق من قرنت موالاته بموالاتك ومن نطت معاداته بمعاداتك، تغمدني في يومي هذا...».

وقال عليه السلام في دعاء دخول شهر رمضان: «اللهم إني أسألك بحق هذا الشهر وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه إلى وقت فنائه، من ملك قربته، أو نبي أرسلته، أو عبد صالح اختصصته، أن تصلي على محمد وآله...». هذا مضافاً إلى ما يأتي من النصوص عند التعرض للأمر الثاني.

ومما سبق يظهر عدم اختصاص شرعية الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله، بل يعمّ أهل بيته (صلوات الله عليهم) وغيرهم من ذوي المقام الرفيع والمنزلة عند الله تعالى.

الأمر الثاني: خطاب المعصومين الأربعة عشر (صلوات الله عليهم)، وطلب الشفاعة منهم إلى الله عز وجل في قضاء الحوائج.

ويجري فيه ما جرى في الأمر الأول. فهو: أولاً: مقتضى أصالة الحلّ بعد عدم ظهور محذور فيه.

وثانياً: مقتضى إجماع شيعة أهل البيت (رفع الله تعالى شأنهم) قولاً وعملاً، كما يظهر بأدنى ملاحظة لكتبهم وسيرتهم. كما أنه الشايع بين بقية المسلمين عدا من سبق التعرض له.

وثالثاً: قد شاع في الكتاب المجيد، والسنة الشريفة التي رواها الفريقان، والأدعية والزيارات الواردة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم).

قال الله عز وجل: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً﴾[1]. وهو صريح في حثّ العصاة من المسلمين على أن يأتوا النبي صلى الله عليه وآله، ويطلبوا منه أن يستغفر لهم، وهو عبارة أخرى عن طلبهم منه صلى الله عليه وآله الشفاعة لهم من الله تعالى في المغفرة.

وقد أنكر الله عز وجل على بعض المنافقين امتناعهم من ذلك. قال جلّ شأنه في ذمهم: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾[2].

قال في مجمع البيان ـ بعد أن ذكر بعض مواقف عبد الله بن أُبي ونزول بعض الآيات السابقة على هذه الآية فيه ـ: «فلما

(١) سورة النساء آية:٦٣.
(٢) سورة المنافقون آية:٥.

نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل لـه: نزلت فيك آيـات شـداد، فاذهب إلى رسول اللهﷺ يسـتغفر لك ، فلوى رأسه، ثم قـال: أمرتمونـي أن أؤمن فقـد آمنت، وأمرتمونـي أن أعطـي زكاة مالـي فقـد أعطيـت، فما بقـي إلا أن أسـجد لمحمد، فنـزل: ﴿وإذا قيل لهـم تعالوا...﴾ إلى قوله: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾».

وفيـه تنبيه على أن من تتمة الخضوع لله تعالى والتسـليم له الاستشـفاع بالنبيﷺ، وأن الامتنـاع مـن ذلك اسـتكبار ممقوت لله عـز وجل. والوجه فيـه ظاهر، لأن الله سـبحانه وتعالى إذا كان قد جعل النبيﷺ في المنزلة المذكورة، فالامتناع من إتيانه وطلب الاسـتغفار منـه ردّ لحكم إلى الله تعالى، واستكبار عليه، نظير امتناع إبليس (لعنه الله) من السجود لآدمعليه السلام.

وروى الشـيخ ﷺ بطريـق صحيح عن معاويـة بن وهـب عن الإمـام الصادقعليه السلام قولـه في زيارة النبـيﷺ: «اللهم إنك قلت: ﴿ولـو أنهـم إذ ظلمـوا أنفسـهم جـاؤوك فاسـتغفروا الله واسـتغفر لهـم الرسـول لوجـدوا الله توابـاً رحيمـاً﴾ وإنـي أتيتـك مسـتغفراً تائباً من ذنوبـي. وإني أتوجه بك إلـى الله عـز وجـل ربـي وربـك ليغفر لي ذنوبـي»[1]. وفـي رواية ابن قولويـه للزيارة المذكورة بعد ذكر الآية الشريفة: «وإني أتيت نبيك مسـتغفراً تائباً من ذنوبي. وإني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمدﷺ. يا محمـد إني أتوجه إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي»[2].

وفي صحيح أبي حمزة الثمالي عنهعليه السلام فـي زيـارة الإمـام الحسـينعليه السلام: «إليك يا ربـي صمدت مـن أرضي، وإلـى ابن نبيك قطعت البلاد، رجاءً للمغفرة. فكن يا ولي الله سـكناً وشـفيعاً، وكـن بـي رحيماً، وكـن لي منجـىً يوم لا تنفع الشـفاعة إلا لمـن ارتضـى... فكـن يومئذ فـي مقامي بين يدي ربي لـي منقذاً، فقد عظم جرمي إذا ارتعـدت فرائصـي... فكن لي شـفيعاً ومنقـذاً فقد أعددتـك ليـوم حاجتي ويوم فقري وفاقتي»[3].

وبعد بيان بعض الأعمال من تلك الزيارة قالعليه السلام: «وتقول: اللهم رب الأرباب صريخ الأخيـار، إني عذت معاذاً، ففك رقبتي من النـار. جئتـك يا بن رسـول الله وافداً إليك أتوسـل إلى الله في جميع حوائجي في أمر آخرتي ودنياي. وبك يتوسل المتوسلون إلى الله فـي جميع حوائجهـم، وبك يدرك أهل الثواب طلبتهم. اسأل وليك وولينا أن يجعل حظي من زيارتك الصـلاة على محمد وآله والمغفرة لذنوبي»[4].

وفـي صحيح أبي حمـزة الآخر عن أبي جعفـر الإمام الباقـرعليه السلام: «جـاء رجل إلى النبـيﷺ فقال: يـا رسـول اللهﷺ إني ذو عيـال، وعلـيّ ديـن، وقد اشـتدت حالي،

(١) تهذيب الأحكام ج:٦ ص:٦.
(٢) ، (٣) ، (٤) كامل الزيارات ص: ١٦، ٢٣٦، ٢٣٨.

فعلمني دعاءً إذا دعوت الله به رزقني ما أقضي به ديني واستعين به على عيالي. فقال: يا عبد الله، توضأ وأسبغ وضوءك، ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود فيهما، ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة ـ يا محمد يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى الله ربك ورب كل شيء ـ أن تصلي على محمد وعلى أهل بيته وأسألك نفحة من نفحاتك...»[1].

وفي موثق عبد الرحيم القصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إني اخترعت دعاء، فقال: دعني من اختراعك. إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وصلّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله... ثم خذ لحيتك بيدك اليسرى وابك أو تباك، وقل: يا محمد يا رسول الله، أشكو إلى الله وإليك حاجتي وإلى أهل بيتك الراشدين حاجتي، وبكم أتوجه إلى الله في حاجتي»[2].

وفي حديث لا يخلو عن اعتبار لعلي بن أبي حمزة مع الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن ذكر له عليه السلام أنه موعوك يقول: «قلت: جعلت فداك إن أذنت لي حدثتك بحديث عن أبي بصير عن جدك أنه كان إذا وعك استعان بالماء البارد، فيكون له ثوبان ثوب في الماء البارد وثوب على جسده يراوح بينهما، ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار: يا فاطمة بنت محمد. فقال: صدقت...»[3]... إلى غير ذلك مما لا يسعنا إحصاؤه، وإنما اقتصرنا على بعض الأحاديث المعتبرة الإسناد المروية من طريق أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشيعتهم.

وأما ما روي من طرق العامة فنكل الكلام فيه للكتب المؤلفة في الردّ على الوهابية، فإن فيها بحوثاً موسعة لا يسعنا التعرض لها في هذه العجالة. بل لا موجب له بعد تيسر الرجوع للكتب المذكورة.

مضافاً إلى أن ما هو المعلوم من سيرة المسلمين ـ ودلّت عليه بعض النصوص[4] ـ من التماس الدعاء من المؤمن إنما هو عبارة أخرى عن طلب الشفاعة منه إلى الله تعالى لأخيه الذي يطلب منه الدعاء.

غاية الأمر أن المخاطَب في ذلك حي، والمخاطَب فيما نحن فيه ميت غالباً. وهو غير فارق في الجانب العقائدي، لأن توهم منافاة ذلك للتوحيد لو تم فلا يفرق فيه بين الحي والميت، إذ لا فرق في محذور الشرك بينهما.

كما أن خطاب الأموات قد شاع بين المسلمين، وتظافرت به النصوص، خصوصاً عند الشيعة. وعليه تبتني

(١) وسائل الشيعة ج:٥ باب:٢٣ من أبواب بقية الصلوات المندوبة حديث:١.
(٢) وسائل الشيعة ج:٥ باب:٢٨ من أبواب بقية الصلوات المندوبة حديث:٥.
(٣) الكافي ج:٨ ص:١٠٩ حديث:٨٧.
(٤) وسائل الشيعة ج:٤ باب:٤١ من أبواب الدعاء حديث:١٢.

زيارة المعصومين (صلوات الله عليهم) وغيرهم وخطابهم بالسلام والتبجيل والتكريم، بل حتى عموم المؤمنين عند زيارة المقابر الواردة عن النبي ﷺ وعن أهل بيته، وكذا في التلقين بالعقائد الحقة عند الدفن وبعده، الذي تضمنته كثير من النصوص، وجرى عليه عمل الشيعة، بل عموم المسلمين.

وإذا شرع خطابهم بذلك كله حسن طلب الشفاعة منهم إذا كانوا أهلاً لها، كما يظهر مما سبق. ومن هنا لا ينبغي الإشكال في جواز التوسل بذوي المقام عند الله تعالى.

هذا كله مع أن من أعظم الدعاوى على الله تعالى هي دعوى النبوة أو الإمامة المجعولة من قبله عز وجل، ومن المعلوم أن من أهمّ الأدلة على صدق الدعوى المذكورة هي المعاجز التي تظهر على يد المدعي بإذن الله تعالى، من شفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأعمى والأبرص، وإحياء الموتى، وحلّ المشاكل المستعصية، وقضاء الحوائج العظام، وغير ذلك.

وقد حصل نظير ذلك بالتوسل بالمعصومين (صلوات الله عليهم)، بل حتى بغيرهم من الأولياء ممن يتصل بهم نسباً أو ولاء. وإذا أمكن التمحل وتفسير بعض تلك الحوادث بالمصادفة لحصول الأسباب الطبيعية، فكثير منها لا يقبل التفسير المذكور، بل لا ريب في كونه معجزاً خارجاً عن العادة، وخارقاً للنواميس الطبيعية المعروفة.

وقد رأينا وسمعنا من الثقات وعامة الناس كثيراً منها، كما أثبت كثير منها في كتب الحديث والسير، وبلغت من الشيوع والكثرة حداً يفوق التواتر بمراتب.

وقد فرضت هذه الحقيقة نفسها على أرض الواقع حتى على غير شيعتهم ومواليهم ممن هو على خلاف نهجهم من المسلمين، بل حتى من غير المسلمين، فأذعن بها الجميع، واعترفوا بمقامهم الرفيع، نتيجة لذلك. وقد لجأوا ولازالوا يلجأون إليهم في مهماتهم وضروراتهم إذا ضاقت بهم الأمور، وانسدت أمامهم السبل العادية، وفقدوا الوسائل المادية، ثم انقلبوا بالفلاح والنجاح، والفوز بقضاء حوائجهم، وكشف الضرّ عنهم، ببركتهم (صلوات الله عليهم)، كما نراه رأي العين ونعيشه في واقعنا.

وبعد كل ذلك فهل من المعقول والمقبول منطقياً ووجدانياً أن تكون أمثال هذه المعاجز والكرامات صالحة لإثبات نبوة الأنبياء ووصاية الأوصياء، ولا تصلح لإثبات شرعية التوسل بهم وبغيرهم من الأولياء، بل رجحان ذلك؟!.

هذا ما تيسر لنا ذكره في المقام. ونرجو أن يكون وافياً بالمطلوب. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتحقيق الحقائق، ويعصمنا من الزلل في القول والعمل، إنه أرحم الراحمين وولي المؤمنين، وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

عينية
ابن أبي الحديد المعتزلي

• د. حسن الخاقاني

ينابيع ابـن أبي الحديد: هـو عز الدين أبو حامد بـن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني. أحد جهابذة العلماء وأثبات المؤرخين ممن نجم في العصر العباسي الثاني أزهى العصور الإسلامية إنتاجاً وتأليفاً، وأحفلها بالشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين واللغويين وأصحاب المعاجم والموسوعات.

كان أصولياً، وله في ذلك معروفة، مشهورة، وكان متكلماً جريئاً نظاراً، اصطنع مذهب الاعتزال، وعلى أساسه جادل وناظر، وحاج وناقش، وفي شرح النهج، وكثير من كتبه آراء منشورة مما ذهب إليه.

وكان أديباً ناقداً ثاقب النظر، خبيراً بمحاسن الكلام ومساوئه وكتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) دليل على بعد غوره ورسوخ قدمه في نقد الشعر وفنون البيان.

ثم كان أديباً متضلعاً في فنون الأدب، متقناً لعلوم اللسان، عارفاً بأخبار العرب، مطلعاً على لغاتها، جامعاً لخطبها ومناضرتها، راوياً لأشعارها وأمثالها حافظاً لملحها وطرفها، قارئاً مستوعباً لكل ما حوته الكتب والأسفار في زمانه، وكان وراء ذلك شاعراً عذب المورد، مشرق المعنى، متصرفاً مجيداً، كما كان بديع الإنشاء، حسن الترسل، ناصع البيان.

وكان من الفضلاء الأعيان ببغداد، إماماً في علم الكلام واللغة والأدب والشعر، شاعراً فصيحاً له (السبع العلويات) المشهورة.

شرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام التي جمعها الشريف أبو الحسن الرضي بشرح بسيط في أربع مجلدات كبار جمع فيه العجائب، ودل على فضله وغزارة مادته، وكان ألفه للوزير مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمي وزير المستعصم بالله آخر خلفاء الدولة العباسية.

كان له ديوان شعر مشهور بين الناس إلا أنه لم يصل، وقد طبع له (السبع العلويات) وهي سبع قصائد طوال في مدح الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام وله (المستنصريات) خمس عشرة قصيدة طويلة أكثرها في مدح المستنصر بالله اللعباسي، منها نسخة مخطوطة في دار الآثار ببغداد.

ولد بالمدائن في غرة ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة، ونشأ بها وتلقى عن ثلاثة عشر من شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية فيها، ثم مال إلى مذهب الاعتزال، وكان الغالب على أهل المدائن التشيع، فسار في دربهم وتقبل مذهبهم ونظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم.

وحين انقضت أيام صباه وطوى رداء شبابه، خف إلى بغداد، حاضرة الخلافة وكعبة القصاد وعش العلماء، وكانت خزائنها بالكتب معمورة، ومجالسها بالعلم والأدب مأهولة، فقرأ الكتب واستزاد من العلم، وأوغل في البحث، ووعى المسائل، ومحص الحقائق، واختلط بالعلماء من أصحاب المذهب ثم جنح إلى الاعتدال، وأصبح كما يقول صاحب (نسمة السحر)، معتزلياً جاحظياً في أكثر شرحه للنهج بعد أن كان شيعياً غالباً.

وفي بغداد أيضاً نال عند الخلفاء من العباسيين، ومدحهم وأخذ جوائزهم، ونال سني المراتب، ورفيع المناصب، فكان كاتباً في دار التشريفات، ثم في الديوان، ثم ناظراً للسيمارستان، وأخيراً فوض إليه أمر خزائن الكتب في بغداد، وفي كل هذا كان مرموق الجانب، عزيز المحل، كريم المنزلة إلى أن مات.

وكان مع اشتغاله بالمناصب، ومعاناته للتأليف، شاعراً مجيداً، وكان له ديوان ذكره بن شاكر الكتبي أنه كان معروفاً مشهوراً، وقد جال بشعره في شتى المعاني، ومختلف الأغراض، فقال في المدح والرثاء والحكم، والوصف والغزل، إلا إن الغرض الذي غلب عليه واشتهر به هو المناجاة والمخاطبة على مسلك أرباب الطريقة ومنها قوله:

وحقك إن أدخلتني النار قلت
للذين بها: قد كنت ممن أحبه

وأفنيت عمري في علوم دقيقة
وما ينبغي إلا رضـــاه وقربُهُ
هبوني مسيئاً أوثغ الجهل قلبه
وأوبـــقه بين البرية ذنبه
أما يقتضي شرع التكرم عتقه
الحسن أن ينسى هواه وحبه
أم كان ينوي الحق فيما يقوله
ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه
فإن تصفحوا نعمتم وإن تجرموا
فتعذيبكم حلو المذاقة عذبه
وآية صدق الصب أن يعذب الأذى
إن كـــان من يهوى عليه يصبه

وفاته:

اضطرب المؤرخون في تاريخ وفاته، فذكر بعضهم انه توفي سنة ٦٥٥هـ ذهب إلى ذلك بن شاكر الكتبي في كتابيه: (فوات الوفيات) و(عيون التواريخ)

ونقل صاحب نسمة السحر عن الدياربكري أنه توفي قبل دخول التتار بغداد بنحو سبعة عشر يوماً، وكان دخولهم إليها في العشرين من محرم سنة ٦٥٦هـ وعلى ما ذكره المؤرخون، وقال الذهبي في سير النبلاء: إنه توفي في الخامس من جمادي الآخرة سنة ست وخمسين وستمائة.

قال صاحب نسمة السحر: وكانت حالة عز الدين المذكور عجباً، بينما هو شيعي متعصب، كما في القصائد المشار إليها، إذ صار معتزلياً جاحظياً أو أصمعياً كما في أكثر شرحه.

له من المؤلفات كثير عد منها محقق شرح النهج خمسة عشر كتاباً. كتب عنه محيي الدين النجفي دراسة مفصلة عن حياته، ودراسة أخرى كتبها الدكتور رؤوف الشمري، وتصدى الدكتور أحمد الربيعي لجمع شعره وأضاف إليه علوياته ومستنصرياته وأرجوزته التي نظم بها فصيح ثعلب.

أعد الزميل حسين فياض رسالة عنه، بعنوان: ابن أبي الحديد ناقداً وهي رسالة ماجستير نوقشت وأجيزت في كلية التربية في النجف الأشرف.

مصادر الترجمة:

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية/ عيسى البابي الحلبي القاهرة، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م. من ترجمة المحقق لابن أبي في الجزء الأول الصفحات ١٣ ـ ١٩.

٢ ـ نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر، الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعائي المتوفى سنة ١١٢١هـ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م وتقع ترجمة ابن ابي الحديد في الصفحات ٣٤٠ ت ٣٤٤ من الجزء الثاني.

القصيدة:

يا رسم لا رسمتك ريح زعزع
وسرت بليل في عراصك خروع
لم ألفَ صدري من فؤادي بلقعاً
إلا وأنت من الأحبة بلقع
جارى الغمام مدامعي بك فانثنت
جون السحاب فهي حسرى ظلع
لا يمحك الهتن الملث فقد محا
صبري دثورك مذ محتك الأدمع
ما تم يومك وهو أسعد أيمن
حتى تبدل فهو أنكد أشنع
شروى الزمان يضيء صبح مسفر
فيه فيشفعه ظلام أسفع
للّه درك والضلال يقودني
بيد الهوى وأنا الحرون فأتبع
يقتادني سكر الصبابة والصبا
ويصيح بي داعي الغرام فأسمع

دهراً تقوض راحلاً ما عيب من
عقباه إلا أنه لا يرجع
يا أيها الوادي أجلك وادياً
وأعز إلا في حماك وأخضع
وأسوف تربك صاغراً وأذل في
تلك الربى وأنا الجليد فأخنع
أسفي على مغناك إذ هو غاية
وعلى سبيلك وهو لحب مهبع
أيام أنجم قضعب دربة
في غير أوجه مطلع لا تطلع
والبيض تورد في الوريد فترتوي
والسمر تشرع في الوتين فتشرع
والسابقات اللاحقات كأنها
العقيان تردى في الشكيم وتمزع
والربع أنور بالنسيم مضمخ
والجو أزهر بالعبير مردع
ذاك الزمان هو الزمان كأنما
قيظ الخطوب به ربيع ممرع
وكأنما هو روضة ممطورة
أو مزنة في عارضٍ لا تقطع
قد قلت للبرق الذي شق الدجى
فكأن زنجياً هناك يجدع
يا برق إن جئت الغري فقل له
أتراك تعلم من بأرضك مودع
فيك ابن عمران الكليم وبعده
عيسى يقفيه وأحمد يتبع
بل فيك جبريل وميكائيل وإسر
افيل والملأ المقدس أجمع
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي
المجتبى فيك البطين الأنزع
الضارب الهام المقنع في الوغى
بالخوف للبهم الكماة يقنع
والسمهرية تستقيم وتنحني
فكأنها بين الأضالع أضلع

والمترع الحوض المدعدع حيث لا
وادٍ يفيض ولا قليب ينزع
ومبدد الأبطال حيث تألبوا
ومفرق الأحزاب حيث تجمع
والحبر يصدع بالمواعظ خاشعاً
حتى تكاد له القلوب تصدع
حتى إذا استعر الوغى متلظياً
شرب الدماء بغلبه لا تنقع
متجلبباً ثوباً من الدم قانياً
يعلوه من نقع الملاحم برقع
زهد المسيح وفتكة الدهر الذي
أودى به كسرى وفوز تبع
هذا ضمير العالم الموجود عن
عدم وسر وجوده المستودع
هذي الأمانة لا يقوم بحملها
خلقاء هابطة وأطلس أرفع
تأبى الجبال الشم عن تقليدها
وتضج تيهاء وتشفق برقع
هذا هو النور الذي عذباته
كانت بجبهة آدم تتطلع
وشهاب موسى حيث أظلم ليله
رفعت له لألاؤه تتشفع
يا من له ردت ذكاء ولم يفز
بنظيرها من قبل إلا يوشع
يا هازم الأحزاب لا يثنيه عن
خوض الحمام مدجج ومدرع
يا قالع الباب التي عن هزها
عجزت أكفُّ أربعون وأربع
لولا حدوثك قلت إنك جاعل
الأرواح في الأشباح والمنتزع
لولا مماتك قلت إنك باسط
الأرزاق تقدر في العطا وتوسع
ما العالم العلوي إلا تربة
فيها لجثتك الشريفة مضجع

ما الدهر إلا عبـدك القن الذي
ولقـد علمـت بأنـه لابـد مـن

بنفوذ أمـرك في البريـة مولع
مهديكـم وليومـه أتوقـع

أنا في مديحـك ألكن لا أهتدي
يحميـه من جنـد الإلـه كتائب

وأنا الخطيـب الهيزري المصقع
كاليـم أقبـل زاخـراً يتدفـع

أأقـول فيـك سـميدع كلا ولا
فيهـا لآل أبـي الحديـد صوارم

حاشـا لمثلك أن يقال سـميدع
مشـهورة ورمـاح خـط شـرع

بل أنـت في يـوم القيامة حاكم
ورجـال مـوت مقدمـون كأنهم

فـي العالمين وشـافع ومشـفع
أسـد العرين الربـد لا تتكعكع

ولقد جهلت وكنـت أصدق عالم
تلـك المنى إما أغـب عنها فلي

أغرار عزمك أم حسـامك أقطع
نفـس تنازعنـي وشـوق ينـزع

وفقـدت معرفتي فلسـت بعارفٍ
ولقـد بكيـت لقتـل آل محمد

هل فضل علمك أم جنابك أوسع
بالطـف حتى كل عضـو مدمع

لي فيك معتقد سأكشـف سـره
عقـرت بنات الأعوجيـة هل درت

فليضع أرباب النهى وليسـمعوا
ما يسـتباح بهـا ومـاذا يصنع

هي نفثة المصدور يطفئ بردها
وحريـم آل محمـد بيـن العدا

حر الصبابـة فاعذلوني أو دعوا
نهـب تقاسـمه اللئـام الرضع

والله لولا حيـدر ما كانت مدافع
تلك الضعائن كالإماء حتى تسق

والصبـح أبيض مسـفر لا يدفع
يعنـف بهـن وبالسـياط تقنع

مـن أجله خلـق الزمان وضوئت
من فوق أقطاب الجمال يشـلها

شـهب كنسـن وجـن ليـل أدرع
لكـع علـى حنـق وعبـد أكوع

علـم الغيـوب إليه غيـر مدافع
مثـل السـبايا بل أذل تشـق من

والصبـح أبيض مسـفر لا يدفع
هـن الخمـار ويسـتباح البرقع

وإليـه في يـوم المعاد حسـابنا
فمصفـد فـي قيـده لا يفتدى

وهـو الملاذ لنـا غـداً والمفزع
وكريمـة تسـبى وقـرط ينـزع

هذا اعتقادي قد كشـفت غطاءه
تاالله لا أنسـى الحسـين وشلوه

سـيضرم معتقـداً لـه أو ينفع
تحـت السـنابك بالعـراء موزع

يـا من له فـي ارض قلبي منزل
متلفعـاً حمـر الثيـاب وفي غدٍ

نعم المراد الرحب والمسـتربع
بالخضر من دون فردوسه يتلفع

أهواك حتى في حشاشة مهجتي
تطـأ السـنابك صـدره وجبينه

نـار تشـب علـى هـواك وتلذع
والأرض ترجف خيفة وتضعضع

وتـكاد نفسـي أن تـذوب صبابة
والشـمس ناشـرة الذوائب ثاكل

خلقـاً وطبعـاً لا كمـن يتطبع
والدهر مشـقوق الـرداء مقنع

ورأيـت ديـن الاعتـزال وإننـي
لهفـي على تلك الدماء تراق في

أهـوى لأجلـك كل من يتشـيع
أيـدي أميـة عنـوة وتضيـع

بأبـي العبـاس أحمـد إنـه
خيـر الورى مـن أن يطل ويمنع
فهو الولـي لثارها وهـو الحمو
ل لعبئهـا إذ كل عـود يضلـع
الدهـر طـوع والشـبيبة غضة
والسـيف عضب والفؤاد مشـيع

التحليل:

تقـوم هـذه القصيدة على أسـاس من بناء فني، ينمو بطريقة التوالد من بعض، إذ يهيء كل جزء لميلاد القطعة البنائية الجديدة، حتى تنتظم جميعاً في هذا الكل المتكامل الذي يسـمى نصاً. وهي منهجية فنيـة، إن لم تكن ناتجـة جميعاً من الروح الشـعري المسـيطر، فإنهـا تظهر مـدى إمـكان إفادة الشـعر في بنائه، من الخزين الفكري، المنطقي، الذي عرف به ابن أبي الحديد بكونه عالماً معتزلياً قبل أن يسلك في عداد الشعراء.

تتكـون هـذه القصيدة من محـاور ثلاثة رئيسـية، احتضنت داخلها، فقرات متلاحمة مع بعضهـا، ويظهر ذلك جليـاً في المحورين الأول والثاني والثالث.

المحور الأول: وتمثله المقدمة الطللية التي تمتـد على الأبيات مـن ١ - ١٨ بـدءاً بمخاطبة الرسـم الدارس: (يا رسم) مقروناً بالدعاء (لا رسمتك) طلباً لعدم العفاء الذي تتركه الريح الشديدة، مستدعياً نقيضها في الشطر الثاني (خروع) أي الريح الضعيفة.

ولكن الوقـوف بهذا الرسـم الدارس لا يطول إذ سـرعان ما ينتقل منه إلى بيان الحال التـي هو عليها في البيـت الثاني عندما يقترن الخطاب بياء المتكلم:

لم ألف صدري من فؤادي بلقعاً
إلا وأنت من الأحبـة بلـقع

ليكون هذا الانتقـال مفتاحاً للتمايز بين الخطاب المحـدث عن الذات. ذات الشـاعر والخطاب المتحدث عن الرسم، من خلال ما حل بهذه النفس المفجوعة ولذا يضهر التناوب بيـن ضميـري الخطـاب والمتكلـم، ليظـل مسـتمراً وبنسـبة متعادلة تقريبـاً، حتى نهاية المحور مما يعنى إن الرسم والذات قد اختلطا وتمازجا معاً ضمن شعور واحد مسيطر، ومما يعنـى من الناحيـة الفنية إن الشـاعر قد نجح في اسـتعمال هذا الرسم وسيلة تعبيرية وفنية أفصحت عما كان يشجي نفسه ويؤلمها.

إن المرجعيـة البنائية التي يقوم عليها هذا المحـور، هـي مرجعية التحول مـن الإيجابي إلى السـلبي، وهو تحول قطعي لا رجعة فيه، وقـد هيمنـت آثـاره علـى مجمـل تكوينات النـص البنائية، ولعل أوضح تصريح يمثل هذا التحول سجله البيت الخامس:

ما تم يومك وهو أسعد أيمن
حتى تبدل فهو أنكد اشنع

وهـو ما يتأكـد كذلك فـي البيت الذي يليه (السادس):

شروى الزمان يضيء صبح مسفر
فيه فيشـفعه ظـلام أسـفع

حيث التحول الثابت كتحول الزمان بين الأصباح والإظلام:

صبح مسـفر × ظلام أسـفع ويبدو الفارق واضحـاً مـن حيث القوة، بيـن الحق كل من الوحدتيـن الصبح والظلام إذ جاءت (سـفع) صفة تفضيل على وزن أفعل لتعطي للظلام قوة وشدة مما يعني غلبتها في الحكم النهائي.

يكتنـز هـذا المحـور فـي جـزء كبير منه، الإشارة الفنية المعبرة بدءاً من البيت العاشر:

يا أيهـا الوادي أجلك وادياً
وأعز إلا في حماك وأخضع

فتبـدو الإشـارة من خطـاب الـوادي: (يا

أيها...) استمراراً فنياً لما سبق من خطاب إلى الرسم المعبر عنه في الأبيات السابقة، لكنه يمثل على مستوى بنائي انتقالاً، غير مصرح به، إلى وادٍ جديد سيصرح به بعد اكتمال هذا المقطع وذلك في البيت العشرين:

يا برق إن جئت الغري فقل له
أتراك تعلم من بأرضك مودع

فالغري تقترن عرفياً بكلمة (وادي) لتكون: (وادي الغري) وهذا هو الاسم المعروف المشهور للبقعة التي تعرف الآن ومنذ القدم (بالنجف الأشرف) والذي يدل على ذلك في النص إن خطاب الوادي في البيت العاشر جاء مقترناً بالإجلال والتقديس بطريق الاستثناء:

يا أيها الوادي أجلك وادياً
وأعز إلا في حماك وأخضع

فهو الوادي المقدس ولا ريب، يتعزز هذا الفرض ليصل درجة القطع في البيت:

وأسوف تربك صاغراً وأذل في
تلك الربى وأنا الجليد فأخنع

تمثل الأبيات ١٢ - ١٦ استذكاراً فنياً لملامح هذا الوادي التي حالت فأثارت الأسف، وهي جاءت في غاية الإيجاز، المعبر فنياً بكلمة واحدة غنية، وهي كلمة: (غابة):

أسفي على مغناك إذ هو غابة
وعلى سبيلك وهو لحب مهبع

فقد استطاعت هذه الأبيات الاستعارة البارعة: استعارة لفظ الغابة - محل اجتماع، الأسد - للرجال، أن تعبر عن غياب هذا النمط من الرجال الذين كانوا من القوة والكثرة المعقدة بالاستعارة الأخرى في الشطر الثاني، وبما أن هذا المقطع قائم على اساس التحول من الإيجابي إلى السلبي فهذا يعني إن الحال السلبية قد حلت، وهذا هو الأمر الباعث على الأسف.

تمتد تفاصيل هذه الصورة لتعزز الفكرة الأولى في البيت السابق، وتأتي متعلقاتها معروضة في الأبيات ١٣ - ١٦، وهي صورة تجتمع فيها مفردات البطولة ومكوناتها: السيوف، الرماح، الخيل، الرقاب... وهي أيضاً مكونات الاستعارة الأولى: (غابة) وتساوي الرجال.

ويتصاعد البيت السادس عشر بالصورة إلى أوج ازدهارها عندما يقترن (الربع) بأرقى مباهج الحياة:

والربع أنور بالنسيم مضمخ
والجو أزهر بالعبير مردع

وهي قمة ينتكس بعدها الحلم عندما يصحو على القوة السلبية التي يجسدها الزمان الحاضر غير المرغوب في حضوره، مما يجعل الصورة الزاهية تغيب تماماً عندما يستعمل اسم الإشارة: ذاك الزمان هو الزمان، والضمير هنا يفيد القصر والتوكيد الذي يجعل التحول قطعياً بحسب ما عليه المقطع جميعاً.

يمثل البيت الثامن عشر حلقة ربط بين محورين، فهو من ناحية يمثل استمراراً لوصف الماضي (الإيجابي)، ومن ناحية أخرى يفتح الباب للانتقال إلى محور جديد عبر السحاب: (العارض) والمطر: (المزنة) إلى البرق، وهي ذو دلالة مهمة في معظم تكوين النص مثلما هو الجسر الفني الناجح في الانتقال إلى المحور الثاني من القصيدة.

المحور الثاني:

يمتد هذا المحور على مدى الأبيات ١٩ - ٤٥ وهي المخصصة لمدح الإمام علي عليه السلام، وهو مدح يقوم على التسامي، والارتقاء مع الإمام إلى مراقٍ علوية، ذات نفس روحاني، يتصاعد تدريجياً، فكأنه

يجتاز منازل معلومة في رقيه، حتى يبلغ القمة التي هي شأنه ومحله.

ومثلما سبقت الإشارة في ختام المحور الأول، فقد جاء الدخول إلى المحور الثاني عبر منطلق سماوي واضح بطريق الإشارة إلى البرق في البيت التاسع عشر:

قد قلت للبرق الذي شق الدجى
فكأن زنجياً هناك يجدع

ولا يقتصر أثر الصورة المتولدة من التشبيه في الشطر الثاني على مجرد تحقيق هدف الطباق ـ فنياً ـ وإنما يتجاوز ذلك إلى عمق الدلالة الناتجة عنه، من حيث أن البرق قد اقترن بفعل (الشق): (شق الدجى) يقابله: (زنجي يجدع) كناية عن الظلام الذي يبدده البرق، ولذلك يمكن أن تكون ألفاظ: البرق، شق الدجى، والزنجي الذي يجدع، علامات ذات مداليل تتعلق بنور الإيمان والخير مما يتجسد في شخص الإمام، ونقيضها من كفر وشر، وسواها مما يتجسد في اشخاص أعدائه، فهي ليست إشارات حسب، إنما هي علامات يتحقق لها أثر لاحق في النص حين يتعرض إلى جهاد الإمام ضد أعداء الإسلام.

ويرتبط هذا البيت ـ المدخل ـ مع البيت الذي يليه باستعمال أداة النداء مع تكرار لفظة (البرق) فينتقل المكان إلى (وادي الغري) حيث مرقد الإمام علي عليه السلام، وهي بقعة مقدسة، مطهرة، ضمت قبله أجداث عدد من الأنبياء والأوصياء والأولياء والصالحين، ولذلك يأتي التساؤل في الخطاب الموجه إلى الوادي ليراد به تفخيم أهمية الجواب:

أتراك تعلم من بأرضك مودع؟

وحين يبدأ الجواب، يبدأ بذكر الأنبياء موسى ثم عيسى ثم النبي محمد ﷺ وهو هنا إخبار مجازي، مستفاد من المضمون الحقيقي السابق، ويراد به امتداد مضمون الرسالة نفسه الذي نهض به أنبياء الله جميعاً في وحدة لا تتجزأ.

ويتعمل أداة الاضراب: (بل) للترقي من معنى إلى معنى أسمى وأعلى في البيت الذي يضع الملائكة في الموضع نفسه، وإن كان جعل الملائكة في درجة أعلى من الأنبياء فكرة معتزليه، فإنها كانت كذلك منطلقاً للترقي درجة أخرى بالأداة نفسها في البيت:

بل فيك نور الله جل جلاله
لذوي البصائر يستشف ويلمع

لينتقل إلى الغاية التي ما بعدها غاية، وذلك باستعمال طريقة البديل بالمثل إذ انطلق من قوله: (نور الله) إلى: (فيك الإمام المرتضى) ليكون ـ وهو كذلك حقاً ـ نور الله الذي تجلى بأنبيائه ورسله وملائكته وكتبه، إذ تتابع الصفات: المرتضى، الوصي، المجتبى، البطين الأنزع، وهذه الأخيرة ليست صفة مادية، جسدية بل هي صفة معنوية، وبيئية، فهو بطين علم أنزع من الشرك.

ويطرق البيت الخامس والعشرين سمة من سمات الإمام التي انفرد بها وحده، وهي سمة (الشجاعة) ونستعملها هنا استعمالاً مؤقتاً ريثما نجد البديل الذي سيكشف عنه التحليل ـ إذ تبدو الأبيات: ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١ تحاول أن تعرض جانباً من شخصية الإمام وهو جانب البطولة التي لا يجارى فيها، ولكنها في الحقيقة قد قامت بأداء هذا المطلوب فعلاً ليس بطريق التمجيد الذي يمكن أن يشترك فيه معه كل من يمكن أن تطلق عليه الصفة: شجاع، أو بطل، وإنما بطريق تنتظم في سلك التدرج الروحاني الذي عم القصيدة بارتقاء مع الأمام في مراقبه، فقد جاءت مقاربة هذه الصفة في الأمام بعمومية تستفيد من بعض قدرات الأداء اللغوي كاستعمال

اسم الفاعل العامل: الضارب الهام، والمقنع في الوغى، مبدد الأبطال السمهرية، وتنحني فكأنه يراقب حركة الرمح في استقامتها وانحنائها، فهو يبني صورة لمعركة حلمية، تطوي بعموميتها تحتها، كل معركة للخير ضد الشر، معركة فيها التسامي الروحي الذي يرتقي على كل المعارك الأرضية التي يمكن أن تقع لأهداف قد تختلف في درجاتها، وقد تجري من دون هدف أيضاً، فالنص غير مهتم بالمعارك نفسها، بقدر اهتمامه بالصورة السامية التي تولدها هذه المعارك في النفس وما في معارك الإمام من سمو روحي، وسعي خالص لله لا يشركه شيء.

من جانب آخر نلحظ إن هذه الأبيات المشار إليها قد تخللتها أبيات أخرى هي ليست من طبيعة المعارك الفعلية، وإنما هي ذات طبيعة أخروية، روحانية وهي الأبيات: ٢٧، ٢٩ مما يعني أن مقاربة الحرب والارتقاء بها روحياً قد تأكد من خلال هذا التزاوج الذي يبلغ الذروة في البيت: ٣٢،

زهد المسيح وفتكة الدهر الذي
أودى به كسرى وفوز تبع

إذ جمع بين الزهد وشدة الفتك، وهما من الصفات المتباعدة، ولاسيما حين أضاف الزهد إلى المسيح عليه السلام حيث هو في أرقى الدرجات منه ليجعل منه (أي الزهد) الطرف الأشد تناقضاً مع ما اشتهر به الإمام من شدة الفتك.

ولذلك يمكن أن نستنتج بسهولة إن محاولة عرض جانب البطولة من شخصية الإمام عليه السلام لا تتكفل بها كلمة (الشجاعة) لأنها عاجزة عن الإحاطة بصفة الإمام، وهي يمكن أن يتصف بها أناس كثيرون، وربما شاركهم الحيوان في ذلك، بل ربما فاقهم الحيوان شجاعة حتى شبهوا به مدحاً وإطراء، في في الإمام صفة روحانية وطاقة نفسية إلهية، تجعل الولوج إلى المفهوم الذي يأتي به البيت ٣٣ قمة في درجات الرقي:

هذا ضمير العالم الموجود عن
عدم وسر وجوده المستودع

وهو البيت الذي يفتح مدخلاً جديداً لتأكيد المقام الرفيع الذي سبق أن بنته الأبيات السابقة، فهو الدرجة العليا في الترقي التي تؤديها الأبيات: ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧ مستفيداً في البيتين الأولين من تناقض واضح مع الآية الكريمة (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها...).

بل هما بسطا لمجمل المعنى العظيم الذي جاءت به، متنقلاً في البيتين الآخرين بين آدم عليه السلام بدء الخليقة، وموسى عليه السلام من أولي العزم، وصولاً إلى ذكر بعض المعاجز المتحققة للإمام عليه السلام كرد الشمس التي لم ترد إلا ليوشع قبله، فهو في المنزلة نفسها من حيث الكرامة على الله، بل هو أرفع من حيث اتصاله بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله سيد الأنبياء أجمعين، وهو نفسه الذي لولا سيفه لما قامت للإسلام قائمة.

لذلك يتوجه الخطاب المباشر بياء النداء في البيتين ٣٩، ٤٩ مكتفياً بهما عن التفصيل في ذكر المشركين واليهود، وهما شر عدوين للإسلام قضى عليهما سيف علي عليه السلام بشهادة الله ورسوله وملائكته بذلك له، وهي أفعال يعجز عن أدائها من كان في مستوى البشرية، لذلك يرتقي به النص إلى مرتبة (الإلوهية) التي لا يمنعه عن بلوغها سوى أداة الامتناع (لولا) التي تتصدر البيتين ٤١، ٤٢ وهي مقاربة تستمد من وقائع تاريخية معروفة، لكن البيت ٤٣ الذي يقطع إمكان

هذه المقاربة بالتصريح بدلائل الفناء الجسدي (لجثتك) يقطع أيضاً بثبات المنزلة العليا التي بلغها بأسلوب القصر الذي يفيد التوكيد:

ما العالم العلوي إلا تربة
فيها لجثتك الشريفة مضجع

وهو أسلوب يتكرر في البيت ٤٤ ليختم هذا المحور.

المحور الثالث:

ويتكون من الأبيات ٤٥ ـ ٨٠، إن نهاية القصيدة وهو محور يتكون من عدد المفاصل الرئيسية وكما يأتي:

الأول: من البيت ٤٥ ـ ٥١، وهو ما يتعلق بالرجوع إلى الذات واندهالها لعدم الإحاطة بما أرادت، حين حلقت مع الممدوح في عالم الروحانية الذي لا يمكن أن يبلغ كنهه البشر، وإن أدركوا بطريق الترقي بعضاً من مظاهره، ولذلك يأتي الإعتراف بالعجز والقصور واضحاً في هذه الأبيات.

الثاني: من البيت ٥٢ ـ ٥٥، يتبين سبب العجز وتعطي مسوغاً له، من جهة وتؤكد ما سبق عرضه من الجهة الأخرى، ويأتي البيت ٥٦ ليمثل تصريحاً بهذا الإعتقاد الذي يتعارض مع مذهب الإعتزال الذي يدين به الرجل، وهو ما يتأكد ـ عاطفياً ـ في الأبيات ٥٧ ـ ٥٩.

المفصل الثالث: يفتتحه البيت ٦٠ افتتاحاً تمهيدياً بفكرة شيعية مركزية، هي فكرة (الإمام المهدي المنتظر) وهو الإمام الثاني عشر، المصرح به في البيت ٦١ قاطعاً بذلك، دون أدنى شك، باستعماله لام القسم مع حرف التحقيق:

ولقد علمت بأنه لابد من
مهديكم وليومه أتوقع

مع إيمان بالمشاركة الفعلية التي لا تخلو من فخر في الأيات ٦٣ ـ ٦٤، التي تكون منفذاً للمفصل الرابع والأخير.

المفصل الرابع: الأبيات ٦٦ ـ ٧٧ حيث يعرج على ذكر مأساة كربلاء، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وآل محمد صلى الله عليه وآله ذاكراً العلامات الرئيسية في هذه المأساة: قتل آل محمد، رض صدر الحسين عليه السلام بسنابك خيل بنى أمية، سبي بنات النبوة ومعدن الرسالة، أسر الإمام زين العابدين عليه السلام انتهاب رحل آل النبي وترك الأطفال في البيد للظمأ، ولا يقتصر هذا على ذكر المأساة وبعض شواهدها، بل ينتظم في سلك الرقي الروحي الذي يتحقق في الآخرة، مجسداً في البتين:

تالله لا أنسى الحسين وشلوه
تحت السنابك بالعراء موزع
متلفعاً حمر الثياب وفي غدٍ
بالخضر من دونٍ فردوسه يتلفع

أما الأبيات الختامية ٧٨ ـ ٨٠، فهي ذات توجه خارجي عن النص ■

سجن المؤمن

رأى يهودي الإمام الحسن السبط (عليه السلام) في أبهى زيّ وأحسنه، واليهودي في حال رديئة وأسمال رثّة، فقال: أليس قال نبيكم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»؟

قال: نعم.

فقال: هذا حالي وهذا حالك؟!.

فقال (عليه السلام): غلطت يا أخا اليهود، لو رأيت ما وعدني الله من الثواب وما أعدّ لك من العقاب لعلمتَ أنك في الجنة وأني في السجن.

دور وأسلوب الإمام الصادق(ع).. في نشر العلوم

• سعد حاتم مرزه

ينابيع الإمام أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد بالمدينة سنة ٨٣هـ وتوفي فيها سنة ١٤٨هـ ودفن في البقيع مع أبيه وجده وعم جده عليهم السلام.

اتخذ من مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة مكاناً للتدريس، وسافر إلى الكوفة أكثر من مرة فاتخذ من مسجدها مقراً للتدريس، وقد قال أبو الحسن بن علي الوشاء: أدركت في هذا المسجد - مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كلهم يقول حدثني جعفر بن محمد.

عاش الإمام الصادق عليه السلام خلال مراحل ضعف دولتي بني أمية وبني العباس، فقد تولى الإمامة بعد وفاة والده الإمام الباقر عليه السلام في ذي الحجة ١١٤هـ مع المراحل الأخيرة لدولة بني أمية التي أصبحت ضعيفة، وتوفي في شوال ١٤٨هـ مع بدايات نشوء دولة بني العباس التي لازالت تصفي ما بقى من بني أمية، فاستغل الإمام الصادق عليه السلام ذلك الجو الهادئ والظروف الملائمة لتدريس علوم جده رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عرف الشيعة الإثنا عشرية بالمذهب الجعفري لكثرة من نقل

عنه من علوم في مختلف الأصناف، فقد نقل الحافظ ابن عقدة في كتاب رجاله ما مجموعه (٤٠٠٠) رجل من الثقاة رووا عن جعفر بن محمد عليهما السلام، وأكد الإمام الصادق عليه السلام، كما في (أصول الكافي) بان ما ينقله من أحاديث إنما هي أحاديث آبائه وأجداده عليهم السلام وأحاديثهم هي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو قول الله عز وجل، ورد كذلك في (الإرشاد).

إن الذين قالوا إن الإمام الصادق عليه السلام تعلم أو أخذ علومه من علماء عصره، لم يقدموا الدليل على صفة زعمهم، ودليلنا على صحة حديث الإمام الصادق عليه السلام بأن علومه منقولة عبر آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تبارك وتعالى ينحصر في سببين:

١ـ لم تنقل كل كتب التراث الإسلامي أن أحداً من أئمة أهل البيت عليهم السلام بدءاً من الإمام علي عليه السلام وانتهاء بالإمام الحجة (عجل الله فرجه) قد تلقوا علومهم من أحد معاصريهم سوى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أكد كما أكد الإمام علي عليه السلام بأنه عليه السلام قد تلقى علومه حصراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وان الأئمة من ولده قد تلقوا علومهم حصراً عن الإمام الذي سبقه، ويؤكد ذلك احتياج الكل إليهم وعدم احتياجهم إلى أحد، وانهم الوحيدون الذين لم يحاججهم أحد إلا فشل.

٢ـ انفرادهم عليهم السلام بنقل حقائق عن الكون والحياة في كل أصناف العلوم لم تكن معروفة في عصورهم ولم يصرح أحد من معاصريهم ومن اللاحقين بأمثالهم حتى أكدت صحتها أبحاث العلم الحديث، بل إن هناك من كان يناقض علومهم عن حقائق الكون. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، وفي هذا البحث بعض ما وجدناه في كتب التراث منقولاً عن الإمام الصادق عليه السلام مما انفرد به عن غيره أو اشترك به مع بعض آبائه الأئمة الهداة عليهم السلام.

ظهر مما ذكر أعلاه أن أول أسلوب استعمله الإمام الصادق عليه السلام في إيصال ونشر علوم جده صلى الله عليه وآله هو التدريس بإلقاء علومه على مجموعة من تلاميذ على شكل حلقات دراسية، وهو الأسلوب الشائع الذي كان ومازال سائداً في نقل المعارف عبر الأجيال.

أما الأسلوب الثاني الذي مارسه الإمام الصادق عليه السلام في نشر علوم جده الرسول صلى الله عليه وآله فهو التوجيه والإرشاد إلى البحث والدراسة وتعليم المبادئ الأساسية ليستخرج ويستنتج التلميذ كثيراً من المعارف ومفردات العلوم وهو يشبه ما متبع حالياً في دراسات الدكتوراه، فقد نبغ جابر بن حيان في علم الكيمياء، فهو الوحيد من بين أصحاب الأئمة عليهم السلام والوحيد من بين علماء الكيمياء الذين نبغوا قبل عصر النهضة الحديث الذي استطاعوا الكشف عن مفردات كثيرة في علم الكيمياء من خلال البحوث التجريبية والاستنتاج العلمي، وقد أقيمت ندوات واحتفالات كثيرة لتمجيده من قبل علماء الغرب والإشادة بما قدمه من خدمة ومعرفة إلى علم الكيمياء، بينما كان نصيبه من قبل العرب والمسلمين الإهمال شبه التام.

إن جابر بن حيان رائد علم الكيمياء في العالم، كما تظهره آثاره العلمية ومؤلفاته التي أحصاها أحدهم فبلغت (١٢٣) كتاباً. وقد اعترف جابر بن حيان في كتبه كثيراً بان الإمام الصادق عليه السلام علمه ذلك، كما علمه دعاء خاصاً للنبوغ في العلوم، وأكد بأنه لولا الإمام الصادق عليه السلام لما وصل إلى حرف من تلك العلوم إلى الأبد أي فرد الا في كل برهة عظيمة من الزمن، حسب

قوله. وكتب الأستاذ هولميارد قائلاً: ان جابراً تلميذ الإمام الصادق وصديقه، وقد وجد في إمامه الفذ سنداً أو معيناً وراشداً أمينا وموجهاً لا يستغني عنه.

من اختراعات جابر بن حيان واكتشافاته: اكتشف أن مركبات النحاس تكسب اللهب لوناً أزرقاً، وكشف طرقاً لتحضير الفولاذ وتنقية المعادن وصبغ الجلود والشعر، وتوصل إلى صنع مداد مضئ لاستخدامه بدل الذهب في كتابة المخطوطات الثمينة، واستحضر طلاء يقي الثياب من البلل ويمنع الصدأ عن الحديد، وتمكن من صنع ورق غير قابل للاحتراق، وحضر حامضي النتريك والكلوردوريك، وعرف الأحماض العضوية، واستطاع التمييز بين الأحماض والقلويات، كما صاغ أفكاراً ونظريات علمية لا تزال موضع إعجاب وتقدير، ومنها ما انكرها الاقدمون وأكد صحتها علماء العصر الحديث مثل: إمكانية تحويل المعادن إلى معادن أخرى ومنها إمكانية تحويل المعادن إلى ذهب، وحيث تم انفلاق الذرة وتشطيرها وتغيير محتويات نواتها والكتروناتها فتحقق حلم جابر الذي أنكره السابقون. وتم ترجمة وطبع الكثير من كتبه من قبل علماء الغرب التي اعتمدت في البحوث والدراسات. كما عثر على مختبره في أنقاض دور الكوفة، قبل أكثر من (١٥٠) سنة وفيه أكثر من (٤٠) جهازاً كان يستعملها جابر في تجاربه الكيميائية.

كما استعمل الإمام الصادق عليه السلام أسلوب الإملاء على تلميذه النابغ المفضل بن عمر الجعفي، حيث أملى عليه السلام عليه ضمن (٤) مجالس من أصناف علوم الأحياء والفسلجة والطب والفلك والطقس وغيرها ما يؤكد عقيدة التوحيد وقدرته تعالى وحكمته ما يعجز غيره عن الإتيان بأمثال ذلك وأكد عدم إمكانية الخلق بالصدفة، وأن كل شيء في الكون وفي عالم الحيوان وجسم الإنسان إنما خلق لحكمة وإرادة وبإتقان.

إذا أردنا استعراض مختلف حقائق العلوم الذي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام في إملائه فان ذلك يحتاج إلى صفحات كثيرة، وقد شرح الإملاء الأستاذ محمد الخليلي في (٤) أجزاء وعلق عليه الأستاذ كاظم باقر المظفر، ولكن لا بأس من ذكر أهم ما جاء فيه.. فانعدام الشعر في باطن الكفين وغيره دليل عدم الخلق بالصدفة، وأن النجوم تبعد عنا بعداً شاسعاً وهي تتحرك بسرعة عالية ومتوهجة أشد التوهج، وأن المطر ينشأ من السحاب وهذا ينشأ بتكاثف رطوبة الهواء، وأن الصوت يتكون من احتكاك الأجسام وينتقل خلال الهواء، وان النار جعلت مخزونة في الأجسام، وأن كل صنف من الحيوانات زود بفطنة (أو غريزة) لكي يتناول طعامه ويعرف ما يفيده مما يضره، وبالتناسل يحافظ على وجوده عبر الأجيال، فكيف تعلم ذلك وكل صنف يمارس ما يحافظ على حياته منذ ولادته أو منذ خروجه من البيضة؟ انه الإلهام أو الغريزة التي أودعها تعالى في كل صنف لكي ينمو ويتكاثر.

وأكد عليه السلام ان الخفاش خلق ما بين الطير وذوات الأربع (اللبائن) إلا أنه إلى اللبائن أقرب، وهذا ما أكده علماء الأحياء، والفروق كثيرة بين الإنسان والقرد تؤكد الحكمة والقدرة في الخلق المستقل ونفي تطور الإنسان عن القرد.

أما الأسلوب الرابع الذي استعمله الإمام الصادق عليه السلام فهو المناظرة والاحتجاج، فقد احتج الإمام الصادق عليه السلام على أحد الزنادقة

في إنكاره الحياة بعد الموت ضمن مناظرة طويلة ننقل منها ما يلي:

الزنديق قال: أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟

الصادق عليه السلام: قال: يذهب فلا يعود. قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات، وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً، كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفأ؟

قال عليه السلام: لم تصب القياس، إن النار في الأجسام كامنة، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر، سقطت من بينهما نار نقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابت في أجسامنا والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً، وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت.

فقوله عليه السلام: النار ثابت في أجسامنا، النار في الأجسام كامنة، وهو معنى آخر بالنار وهو ما يطلق عليه حالياً مصطلح الطاقة، فالطاقة في الأجسام كامنة وهي ثابتة في الأجسام وتتحول إلى حرارة وضوء بطرق معروفة.

وكانت له عليه السلام مناظرة مع طبيب هندي، أكد من خلاله على عدم إمكانية إجراء التجارب العملية على استعمال العقاقير والأدوية خلال العصور القديمة لأسباب كثيرة لعل من أهمها: تعدد وكثرة وجود أنواع الأشجار والنباتات والحيوانات والمواد الأخرى المستعملة في العلاج، والبعض منها سام إذا استعمل أكثر من كمية محددة، فهل ذاق الطبيب أو المعالج أو الصيدلي كل أنواع الأشجار والنباتات بجذورها وسيقانها وأوراقها وثمارها وأزهارها أو استعملها لعلاج مرض معين فتحقق الشفاء فعرف استخدام كل مادة لعلاج مرض معين؟! وكيف تمكن من تحديد نسب معينة ثابتة من مواد مختلفة لكي يتم خلطها لكي تحقق الشفاء من مرض معين؟ كم من التجارب يلزم إجراؤها وكم من الحالات الفاشلة التي تؤدي إلى الموت قبل تحقيق الشفاء ومعرفة أن المادة الفلانية أو مجموعة المواد بنسب محددة تحقق الشفاء من مرض محدد؟ إضافة إلى تباعد وجود هذه المواد بعضها عن البعض الآخر وعدم وجود سجلات وإحصائيات لمتابعة كل حالة على حدة كما هو الحاصل حالياً خلال الأبحاث والتجارب في استعمال الأدوية.

في المناظرة التي تمت في مجلس المنصور العباسي، عجز الطبيب الهندي عن معرفة أهداف فسلجة جسم الإنسان من مواقع أعضاء الجسم وأشكالها وقرب بعضها من أعضاء أخرى فأجابه عليه السلام عن كل ذلك إجابة شافية مقنعة، ثم سأله الهندي عن مصدر ذلك فاخبره بأنه أخذه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح فاسلم الهندي وأقر بأعلميته عليه السلام على أهل زمانه.

ومما جاء في أجوبة الإمام الصادق عليه السلام: خلت الجبهة من الشعر لأنها مصب النور إلى العينين، وخلا الكفان من الشعر لأن بهما يقع اللمس فلو كان فيهما شعر ما درى الإنسان ما يقابله ويلمسه، وخلا الشعر والظفر من الحياة لان طولهما سمج وقصهما حسن فلو كان فيهما حياة لألم الإنسان بقصهما، وجعل رأس القلب دقيقاً ليدخل في الرئة فتروح عنها ببردها، وجعل في الركبة إلى الخلف لان الإنسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي.

وأكد الإمام الصادق عليه السلام ضمن مناظرته مع الزنديق على حركة الأرض وما عليها وأكد خلالها سباحة النجوم في الفلك وتدور حيث دارت، متعبة لا تفتر وسائرة لا تقف، وانه تعالى خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء وقد أوضحنا ذلك وفصلناه ضمن أكثر من كتاب.

استخدم الإمام الصادق عليه السلام الأدعية في إيصال المعلومات إلى مستمعيه ففي دعاء السمات المنقول عنه عليه السلام وعن أبيه الإمام الباقر عليه السلام، حيث أكد عليه السلام أن للكواكب والنجوم مشارق ومغارب ولها مطالع ومجاري وأفلاكاً ومسابح وفي الكواكب الليل والنهار والساعات وعدد السنين والحساب. فالمراد بالمشارق والمغارب الجهات الشرقية والغربية، والمطالع طلوعها لأهل الأرض والمجاري وللأفلاك والمسابح هو جريها وسباحتها في أفلاكها وفيها الليل والنهار كما على الأرض ولها ساعات وسنواتها الخاصة.

وكانت الإجابة عن الأسئلة وسيلة مهمة لنشر علوم جده صلى الله عليه وآله فقد سأله رجل عن الطب، فحدد عليه السلام عدد عظام جسم الإنسان، وأكد وجود العروق في الجسم لتسقي الجسم كله، وعن سؤال آخر أكد عليه السلام وجود العدوى في نقل الأمراض عندما أمر سائله: لا يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع.

وله عليه السلام وصايا كثيرة في الوقاية من الأمراض والاستشفاء والعلاج بالعقاقير والأدوية والأغذية وبالقران الكريم والأدعية ودفع الصدقات وقد ألفت بعض الكتب في طب الإمام الصادق عليه السلام وطب الأئمة عليهم السلام ولا نرى ضرورة لذكر الأمثلة.

وفي قضاياه عليه السلام قواعد علمية ما كان أحد يعرفها، فقد قضى في مسألة اتفاق لحفر بئر لعمق (١٠) وحدات مسافة، وبعد حفر وحدة عمق (مسافة) واحدة، أوقف العمل بالاتفاق فقال عليه السلام: له جزء من (٥٥) جزء من (الاجرة البالغة) العشرة دراهم، وقد أكدنا صحة ذلك استناداً إلى علمي الفيزياء والرياضيات بعد حل المسألة في أحد الكتب.

إن التراث العلمي الذي خلفه الإمام الصادق عليه السلام تراث ضخم وغني بالابتكار والعمق والتجديد، فقد شمل المعارف والعلوم بكل أصنافها، ولم يتضمن علوم الفقه والتفسير والكلام فحسب، وإنما جلا عن عدد من العلوم الطبيعية خفايا وأسرار لم تكن المعروفة في عصره ولم يقلها احد من معاصريه، ولا صرح بها بعد عصره حتى عصر النهضة الحديث أحد من العلماء فبقت خفية عنهم ولم يتم نشرها حتى أكدت صحتها أبحاث العلم الحديث لإرادة ربانية وحكمة إلهية وقضاء محتوم لكي لا يدعي أحد خلال عصر النهضة الحديث ان أحداً من العلماء قد أخبر بمثل هذه الأسرار واعلم عن مثل هذه الحقائق العلمية الناصعة، باستثناء الأئمة الهداة من آبائه وأبنائه عليهم السلام حصراً.

من خلال ما اطلعت عليه، وربما كان اطلاعي قاصراً، وجدت أن العلوم الطبيعية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام تأتي من حيث الكم بالمرتبة الثانية بعد كمية العلوم المنقولة عن جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله حصراً دون منازع. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ■

قصيدة:

حسن السبط شقّ من إحساني

• شعر: السيد مرتضى السندي
أستاذ في الحوزة العلمية الزينبية

يا لَيالي الهَناء والغُفرانِ ... أَسعِديني بِصَحوةِ الإيمانِ
نَفحةٌ مِنكِ تَملأ القَلبَ عِشقاً ... لِمزيدٍ مِنَ الهدى القُرآني
وَمضةُ الحقِّ فُرصةٌ للتَرقي ... وَتجلي حَقائقَ العِرفانِ
يا رَبيعَ القُلوبِ أنتِ وَلولا ... جلوَة الحقِّ ما وَعى وجداني
ثَورة الوَعي فِي جِناني وَربي ... هِي أحلى مَواهب الرَّحمنِ
يا ليالي العَطاء من فض ربي ... جئت أرجُو موائدَ الإحسانِ
هب طيبٌ مِن طيبةٍ فانتشَينا ... وَاقتفينا بشائِرَ الركبانِ
فوَجدنا البشير يعلن هبوا ... وَاقصدوا القطب مِن بَني عَدنانِ
واهزجُوا للنبيّ وَالآلِ بشراً ... أبهجونا بأعذب الألحانِ
وُلدَ اليوم مَعدن الحلم فاهنأ ... خيرة الله من بني الإنسانِ
فطوينا القفار طياً وسرنا ... بفؤاد يضج بالخفقانِ
نحو دار الحَبيب وَالسرب يشدو ... لوليد في النصف من رمضانِ
فَبدا نورُ أحمد وعلي ... في جبين الزكي متحدانِ
إنه اللؤلؤ الذي قال ربي ... ناتج عنهما أخو المرجانِ
ولد السبطُ منهل الجود فاهنأ ... بعطايا المصور المنانِ
قال خيرُ الأنام أسميتُموه ... يا ابن عمّي ويا عيون حناني
هتفنا كيف نسبق الوحي إنا ... لِهباتِ الكريم منتظرانِ
وإذا جبريل جاءَ يهنيءْ ... خيرةَ الخلق منحة الديانِ
يا حبيب الإله قد قال ربي ... حسن السّبط شقّ من إحساني
وَعليكم أصلّي وأهدي سلاماً ... سَرمدياً على مدى الأزمانِ ■

وقفة.. مع تاريخ
الإمام علي بن موسى الرضا(ع)

• علي سعد النجفي

ينابيع يمتاز التاريخ الإسلامي المدون في بطون الكتب والمصادر بمادة غنية جداً وشاملة للكثير من الأحداث والوقائع على مر الأيام بحيث تغني الباحث من التقصي عن مسائل كثيرة، بحيث تجد الإشارة في طياته إلى الحركات واللفتات واللمحات هذا فضلاً عن الكلمات والمواقف والأحداث المسجلة بدقة وشمولية لا نظير لها، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا نجد أن معظم المؤرخين المسلمين الأوائل الذين دونوا بأقلامهم التاريخ الإسلامي لم يعطوا بعض الوضوح لكثير من الأحداث المهمة والخطيرة وخاصة الأحداث التي كانت منعطفاً تاريخياً مهماً بحيث غيرت مجرى التاريخ الإسلامي وأثرت في نهجه، فقد قام بعض المؤرخين بكتابه الحدث منفصلاً عن جذوره وأسبابه بالإضافة إلى ذلك فإنهم انجرفوا في الكتابة بما يتوافق مع هوى الحكام وينسجم مع ميولهم مهما كان ذلك مخالفاً للواقع فأخذ بعضهم يمتدح السلاطين ويبالغ في أعماله ويمجد إنجازاته على غير تقدير صحيح ويشوه أموراً صدرت منهم أو من غيرهم. ومن هنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليحقق في تلك النصوص ويفتح عينيه وقلبه على كل كلمة يمر عليها ويحاول ـ مهما أمكن ـ أن يميز بين النصوص ويمحصها ويستخلص منها ما ينسجم مع الواقع ويرفض أو يتوقف في كل ما لعبت فيه الأهواء وأثرت عليه الميول أو حُرِّف لبعض الأسباب ويقدم الحقيقة بلا طلاء إذا أمكن تقديرها وفق النهج

العلمي الدقيق.

وقضية بيعة الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد هي واحدة من تلك الأحداث التي تجاهلها المؤرخون وواجهت بعض التحريف والتشويه والإهمال ولم تدرس بدقة كما ينبغي لها مع العلم بأنها تعتبر من الأحداث التاريخية المهمة في العصر العباسي الأول بل وأخطرها على الإطلاق لأنها تمثل إنعطافاً تاريخياً مهماً في سياسة بني العباس في التعامل مع خصومهم العلويين ورغم الصعوبة التي يواجهها الباحث في موضوع بيعة ولاية العهد بين طيات المصادر التاريخية الأساسية فقد لا يجد تفسيراً واضحاً ولا نقداً لأسبابها وجذورها وإنما جمع من الأخبار والروايات عن شخصيات لعبت دوراً مهماً فيها وسرد لبعض ما جرى فيها من أحداث خلال تلك الفترة، على أن الإمعان في قراءة بعض النصوص التاريخية يظهر لنا بعض الحقائق التي قد تكون غامضة وقد نالت منها يد التحريف والتشويه.

ونحن هنا لسنا بصدد أن نبين الأسباب والجذور لهذه البيعة لأن المجال لا يتسع لذلك هذا بالإضافة إلى أن بعض الكتاب وفقهم الله قد أسهبوا في الكتابة عن هذا الموضوع بما يغني الباحثين والقراء ولكن الذي أود أن أسلط الضوء عليه في هذا المقال المتواضع هو الإجابة عن تساؤل قد يرد في ذهن القارئ أو الباحث المتتبع لسيرة الإمام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو: هل كان بإمكان الإمام الرضا عليه السلام رفض دعوة المأمون العباسي في الذهاب من المدينة إلى خراسان وقطع أصل قضية البيعة من أساسها؟ أو نكتفي بالقول الذي يذكر بأن الإمام استجاب لرغبة المأمون وإلحاحه الشديد. أو أن هناك أمراً خطيراً قد خطط له وأجبر الإمام الرضا عليه السلام على قبول هذا العرض. وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي لنا أولاً أن نلقي نظرة سريعة على أهم الأحداث التي سبقت هذه القضية.

نظرة سريعة للأحداث:

- سنة ١٩٨هـ: المأمون العباسي يقتل أخاه الأمين، والعباسيين في العراق يسخطون على المأمون لقتله أخيه[١].

- سنة ١٩٩هـ: ثورة الشيعة في الكوفة بقيادة ابن طباطبا العلوي ضد المأمون والتي كلفته ما يقارب أكثر من مائتي ألف قتيل وسقوط أكثر المدن بيد الثوار (البصرة، الأهواز، مكة، المدينة، المدائن)[٢].

- سنة ١٩٩هـ: ثورة الشيعة في الجزيرة - وهي المنطقة الواقعة بين الموصل والشام - بقيادة نصر بن شبث العقيلي[٣].

- سنة ١٩٩هـ: المأمون يشعر بفداحة الموقف، ووزيره الحسن بن سهل يرسل جيشه لسحق ثورة الشيعة في الكوفة[٤].

- سنة ٢٠٠هـ: جيش المأمون العباسي يسحق ثورة الشيعة في الكوفة ويسترد أكثر المناطق التي سقطت في أيدي الثوار[٥].

- سنة ٢٠٠هـ: المأمون يبدأ بتنفيذ خطة مرسومة بدقة لتحجيم ثورات العلويين:

١- إطلاق شائعات كاذبة عن العلويين غايتها أن تنفر الناس منهم حيث روج بأن العلويين يدعون بأن الناس عبيد لهم[٦].

٢- قام بإحصاء بني هاشم وجمع المعلومات الدقيقة عنهم وقد بلغوا في هذا التعداد ثلاثة وثلاثين ألف نفر[٧].

٣- المأمون يحصل من خلال جهاز مخابراته على معلومات تثبت أن الإمام علي بن موسى بن جعفر عليه السلام يتمتع بشعبية واسعة بين أوساط المسلمين كافة إن كانوا شيعة

أو سنة لأسباب عديدة:

أولاً: الإمام الرضا عليه السلام هو الإمام المفترض الطاعة عند الشيعة.

ثانياً: كان الإمام الرضا عليه السلام يتمتع بصفات عالية من الكمال في الزهد والتقوى حتى أن أهل السنة كانوا يكنونه بأبي بكر تشبيهاً واعتقاداً منهم بزهد الخليفة الأول أبي بكر[٨].

ثالثاً: كان الإمام الرضا أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وكل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام رآه على صورته[٩].

كل هذه الأمور جعلت المأمون يعتقد بأن الإمام الرضا عليه السلام يمتلك شخصية قيادية قوية تؤهله لأن يكون قائداً كبيراً وفيما لو قُدر أن فكر الإمام الرضا عليه السلام بالخروج والثورة فإن الشيعة والسنة سيلتفون حوله لذلك أخذ يخطط لتسقيط شخصية الإمام الرضا عليه السلام ويقول للناس بأن الدنيا هي التي زهدت فيه ولم يزهد هو فيها.

ـ سنة ٢٠٠هـ: الثوار العلويين في الحجاز يطلبون من محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن يعلن الثورة لينقذ موقف الثوار بعد هزيمتهم في العراق ومقتل أبو السرايا. ومحمد بن جعفر يرضخ لأحرارهم ويعلن الثورة في الحجاز والعلويين يلتفون حوله[١٠].

ـ سنة ٢٠٠هـ: المأمون يكتب رسائل عديدة من خراسان إلى الإمام الرضا عليه السلام في المدينة بالقدوم إلى خراسان والإمام عليه السلام يرفض ذلك[١١].

ـ سنة ٢٠٠هـ: الحسن بن سهل وزير المأمون يرسل جيشاً إلى الحجاز بقيادة عيسى الجلودي لمحاربة الثوار العلويين واسترجاع مكة المكرمة من يد الثوار، وانسحاب محمد بن جعفر وأنصاره إلى أطراف المدينة، وعيسى الجلودي يصبح والياً على مكة[١٢].

ـ سنة ٢٠٠هـ: المأمون يرسل رجاء بن أبي الضحاك وفرناس الخادم إلى الحجاز من أجل أمرين مهمين:

الأول: إجبار الإمام الرضا عليه السلام في الحضور إلى خراسان سواء وافق على ذلك أم رفض.

الثاني: قمع ثورة العلويين في أطراف المدينة والتي قادها محمد بن جعفر[١٣].

ومن أجل تحقيق هذين الأمرين فقد وضع المأمون العباسي الخطة المتقنة في نظره لتحقيق ذلك، فبعد أن وصل رجاء بن أبي الضحاك إلى الحجاز استدعى عيسى بن يزيد الجلودي والي مكة والذي عرف ببغضه الشديد لآل البيت عليهم السلام وولائه المطلق للعباسيين، أن يلتحق به مع جيشه إلى المدينة وتوجه رجاء بن أبي الضحاك فور وصوله إلى المدينة إلى دار الإمام الرضا عليه السلام. وطلب منه الحضور معه إلى خراسان تنفيذاً لرغبة المأمون في ذلك فوجد في الإمام الرضا عليه السلام امتناعاً شديداً لعلمه بنوايا المأمون الخبيثة وبعد الإلحاح الشديد رفض الإمام الرضا عليه السلام قبول هذا العرض.

الهجوم على دار فاطمة:

بعد أن يأس رجاء بن أبي الضحاك من موقف الإمام المتصلب باشر بتنفيذ الخطة الخبيثة التي رسمها المأمون بنفسه فهجم بجيشه على دار الإمام الرضا عليه السلام وكانت فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام وأخواتها في الدار فأسرع الإمام علي الرضا عليه السلام إلى جمع أخواته ونسائه في غرفة واحدة وما هي إلا لحظات وإذا بالخيل والرجال قد أحاطت بالإمام الرضا عليه السلام شاهرين سيوفهم ويقودهم عيسى الجلودي بنفسه فلم يكن بين القوم والعلويات سوى باب

واحدة موصدة قد وقف الإمام الرضا عليه السلام أمامها حائلاً بين القوم وبين الهجوم عليها.

فقال الجلودي: لابد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين.

قال الإمام الرضا عليه السلام: أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته. فلم يزل الإمام يطلب إليه ويحلف له حتى سكن، فدخل الإمام الرضا عليه السلام ولم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرارهن إلا أخذه منهن وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير[١٤].

كانت هذه الحادثة بمثابة ورقة ضغط على الإمام الرضا عليه السلام من قبل المأمون وما أن خرج القوم حتى عاد رجاء بن أبي الضحاك مستفسراً من الإمام هل بقي مصراً على موقفه السابق أم لا.

فوافق الإمام عليه السلام مرغماً، وكان المأمون يدرك جيداً قبول الإمام الرضا عليه السلام بعد هذه الحادثة فسلم رجاء بن أبي الضحاك رسالة المأمون إلى الإمام الرضا عليه السلام والتي جاء فيها:

(لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة فالأهواز ففارس)[١٥].

ومن خلال هذه الرسالة يتضح لنا أن المأمون أراد أن يغطي على فعلته الشنيعة فجعل قيادة القافلة بإمرة الإمام الرضا عليه السلام لذلك أمره أن يتخذ طريق البصرة فالأهواز ففارس لكي يوهم الناس بأن الإمام عليه السلام خرج معززاً مكرماً. وما كان دور رجاء بن أبي الضحاك في هذه المهمة سوى حماية قافلة الإمام من الأعداء، ولكن الإمام الرضا عليه السلام أدرك جيداً بواطن هذه الأمور فاستغل الفرصة فودع أهله وعياله وأخبرهم بأنه سوف لن يعود وأن المأمون سيقتله في دار غربة. وكذلك أراد أن يثبت للناس حينما ودع قبر جده أنه خرج مكرهاً لا عن طيب نفس وذلك في جوابه لمخول السجستاني حينما هنأه بعد توديعه لقبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: (ذرني فإني أخرج من جوار جدي وأموت في غربة وأدفن في جنب هارون)[١٦].

بالإضافة إلى ذلك أراد الإمام عليه السلام أن يبين للناس بأنه لا رغبة له في الذهاب إلى المأمون فجعل الطريق الذي يمكن قطعه في شهر واحد قطعه في ستة أشهر فخرج إلى الحج أولاً ومن ثم توجه إلى خراسان حيث وصل إلى مرو في ١٠ جمادي الثاني سنة ٢٠١هـ[١٧].

كانت هذه المهمة الأولى التي حققها رجاء بن أبي الضحاك والتي كللت بالنجاح الباهر وأما المهمة الثانية وهي قمع ثورة العلويين بقيادة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام، فبعد أن أتم عيسى الجلودي المهمة الأولى توجه بجيشه إلى (ثبير) في جبلة[١٨] حيث تحصن محمد بن جعفر مع أصحابه فحاصرهم حصاراً شديداً حتى أوشك أصحابه على الهلاك، فطلب محمد بن جعفر الأمان له ولأصحابه من عيسى الجلودي ومن رجاء بن أبي الضحاك، وضمن له رجاء على المأمون وعلى الفضل بن سهل أن لا يهاج وأن يوفى له بالأمان، فقبل ذلك ورضيه[١٩].

فحملهم عيسى والتحق بقافلة الإمام الرضا عليه السلام في مكة وبذلك انتهت المهمة الثانية بنجاح باهر كما خطط له المأمون.

دراسة تحقيقية:

لتبيان ما ذكرناه سابقاً عن هذه الحادثة الخطيرة ينبغي علينا إجراء دراسة تحقيقية دقيقة لهذه المهمة التي أراد لها المأمون أن تكون في طي الكتمان.

أقول: الشخص الوحيد الذي روى لنا هذه الحادثة هو ياسر الخادم وهو ممن

شاهد وحضر بنفسه هذه الحادثة وهو من خواص الإمام الرضا عليه السلام وخادمه المقرب وقد جاء ذكرها في عيون أخبار الرضا عليه السلام وهذا نص الخبر:

(عن الشيخ الصدوق بسنده قال ياسر الخادم (... وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه وأن يغير على دور آل أبي طالب...) الخبر.

نلاحظ أن الخبر قد أشار إلى هذه الحادثة وأنها قد وقعت في زمن خلافة هارون الرشيد واستبعد ذلك لعدة أمور وإن كان غير بعيد على خلفاء بني العباس أن يرتكبوا مثل هذه الجرائم ولكن للحادثة ظروفها الخاصة.

الأمر الأول:

يشير الخبر إلى أن هذه الحادثة قد وقعت في زمان الإمام الرضا عليه السلام وفي خلافة هارون الرشيد وهذا بعيد لأن هارون العباسي لم يتعرض للإمام الرضا عليه السلام في حياته.

- (عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وتكلم الرضا عليه السلام خفنا عليه من ذلك. فقلت له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً، وإنا نخاف عليك من هذا الطاغي، فقال عليه السلام: ليجهد جهده فلا سبيل له عليّ. قال صفوان: فأخبرنا الثقة: أن يحيى بن خالد البرمكي قال للطاغي: هذا علي ابنه قد قعد وادعى الأمر لنفسه، فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه؟ تريد أن نقتلهم جميعاً؟)[٢٠].

- (وعن محمد بن سنان قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر، وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر دم؟ فقال عليه السلام: جرأني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا إني لست نبي، وأنا أقول لكم إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا إني لست إمام)[٢١].

فكيف يتوافق كلام الإمام عليه السلام ما ورد في الخبر السابق والذي كان فيه الهجوم على بيت الإمام عليه السلام وسلب ثياب النساء.

الأمر الثاني:

لابد لنا من تسليط الضوء على شخصيات الضوء على شخصيات هذه الحادثة لمعرفة تفاصيلها بدقة.

- محمد بن جعفر الصادق عليه السلام: هو أخو الإمام الكاظم عليه السلام من أمه وأبيه كان بطلاً شجاعاً كريماً زاهداً يصوم يوم ويفطر يوم وكان يروي الحديث عن أبيه، ولما ثار العلويون بالكوفة مع أبي السرايا في زمن خلافة المأمون سنة (١٩٩هـ) كان محمد بن جعفر معتزلاً تلك الأحداث لم يدخل في شيء منها، لكنه خرج بعد ذلك بسبب كتاب كتبه رجل سبّ فيه فاطمة الزهراء عليها السلام وجميع أهل البيت عليهم السلام فجاء الطالبيون وقرأوا عليه الكتاب فخرج ثائراً على المأمون واتفق المؤرخون على أنه خرج في سنة (٢٠٠هـ)، وقاتل جيش هارون بن المسيب ودارت بينهم الحرب فترة ثم رجع محمد بن جعفر عليه السلام وأصحابه ونزلوا بـ(ثبير) في جبلة حتى مجيء الرجاء بن أبي الضحاك فأعطاه الأمان له ولأصحابه.

- عيسى بن يزيد الجلودي: هو أحد قواد جيش المأمون الذي وجههم إلى مكة والمدينة في سنة (٢٠٠هـ) لقتل العلويين بمكة بعد ثورة أبي السرايا فقاتلهم وأخرجهم منها وأصبح والياً على مكة ولما حضر رجاء بن

أبي الضحاك توجه إلى المدينة لقمع ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام فحاصرهم فطلبوا من رجاء بن أبي الضحاك الأمان فأمنهم وحملهم عيسى الجلودي إلى المأمون مع رجاء بن أبي الضحاك.

يتضح مما سبق أن جميع الدلائل تشير إلى أن هذه الحادثة قد وقعت في زمن المأمون العباسي وليس في زمن أبيه هارون وأن اسم هارون الرشيد جاء هنا خطأً أو اشتباهاً من الرواة أو النساخ هذا بالإضافة إلى عدة أمور منها.

١ـ ذكر الخبر بأن الحادثة وقعت بعد وفاة الإمام الكاظم سنة (١٨٣هـ) وفي زمن الرشيد وأنه أُمر الجلودي بأنه إن ظفر بمحمد بن جعفر الصادق عليه السلام ضرب عنقه فيا ترى كيف ترك الجلودي محمد بن جعفر الصادق دون أن يضرب عنقه طوال فترة حكم الرشيد والتي استمرت عشر سنين بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام فلماذا لم يمتثل الجلودي لذلك مع العلم أن محمد بن جعفر الصادق عليه السلام بقي حياً حتى سنة (٢٠٣هـ) والرشيد قد توفي سنة (١٩٣هـ).

٢ـ اتفق جميع المؤرخون على أن محمد بن جعفر الصادق عليه السلام قد خرج في زمن المأمون سنة (٢٠٠هـ) ولم يذكر لنا مؤرخ واحد بأنه قد خرج في زمن الرشيد.

٣ـ إذا أردنا أن نراجع تاريخ المدينة المنورة والكعبة المكرمة في زمن هارون فلن نجد لعيسى الجلودي من ذكر على العكس من حكم المأمون فقد قاد حملة عسكرية على العلويين في مكة وأصبح والياً عليها.

كل هذه الدلائل تشير إلى أن الهجوم قد وقع في زمن المأمون وأثناء تواجد رجاء بن أبي الضحاك في الحجاز، مع العلم بأن المأمون ووزيره الفضل بن سهل قد أرسلا عدة رسائل إلى الإمام الرضا عليه السلام من أجل الحضور إلى خراسان بنفسه فامتنع الإمام عليه السلام امتناعاً شديداً فلا يبقى أمامنا سوى اعتبار هذه الحادثة هي ورقة ضغط على الإمام عليه السلام من أجل خطة المأمون المشؤومة ■

---

(١) أحداث سنة ١٩٨هـ في (تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ ابن كثير)، وفاة الوفيات ج٢، ص٢٩٦.

(٢)، (٣) أحداث سنة ١٩٩هـ في (تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ ابن كثير، المنتظم لابن الجوزي)، مقاتل الطالبيين ص٥٥٠.

(٤)، (٥)، (٧) تاريخ الطبري، الكامل في التاريخ، البداية والنهاية، المنتظم لابن الجوزي.

تنويه: تشير هذه المصادر إلى أن الإحصاء كان لبني العباس فقط وهناك دلائل كثيرة لا مجال لذكرها هنا تثبت أن التعداد لبني هاشم.

(٦) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي ص٣٧٣.

(٨) مقاتل الطالبيين، ص٤٥٣.

(٩) الدر النظيم، ص٦٧٨.

(١٠)، (١٢)، (١٣) أحداث سنة ٢٠٠هـ في (تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، تاريخ ابن كثير، المنتظم لابن الجوزي).

(١١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص١٦٠ حديث٢١.

(١٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق، ج٢ ص١٧٠ باب ٤٠ حديث٢٤.

(١٥) أصول الكافي للكليني ج١ ص٥٥٧، إثبات الوصية ص٢٠٤، البحار ج٤٩ ص١٣٤.

(١٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق، ج٢ ص٢١٧ حديث٢٤، البحار ج٤٩ ص١١٧ حديث٢.

(١٧) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، للقاضي المغربي ج٣ ص٣٤٠.

(١٨) مقاتل الطالبيين ص٤٤٠.

(١٩) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٢٠٠هـ.

(٢٠) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٢٦ حديث٤، البحار ج٤٩ ص١١٣ حديث٢، الإرشاد للمفيد ٣٤٦.

(٢١) الكافي ج٨ ص٢٥٧ حديث٣٧١، البحار ٤٩/ ١١٥ حديث٧.

الحلقة الأولى:

الدعاء..
في شهر الدعاء
حقيقته وفلسفته

• أ. د. الشيخ صاحب محمدحسين نصّار
عميد كلية القانون/ جامعة الكوفة

آيات وأحاديث
عن الدعاء
وآدابه وآثاره في
مسيرة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

البقرة:١٨٦

بسم الله الذي لا أرجو إلا فضله ولا أخشى إلا عدله ولا اعتمد إلا قوله والحمد لله الذي فتح لعباده أبواب الدعاء ووعدهم بالاستجابة وجعل ذلك وسيلة إلى التقرب إليه والسعادة في الحياة. وصل اللهم على الدليل في الليل الأليل أمين الله على وحيه وعزائم أمره تمام عدة المرسلين محمد الصادق الأمين وسلامه دائماً سرمداً وصلواته على آل بيته الطاهرين.

ينابيع الدعاء في اللغة: من (دَعَا) فهو لفظ عربي، ويطلق (الدَّعَّاء) كصيغة مبالغة (على الشخص كثير الدعاء)[١].

أما في الاصطلاح الشرعي: فهو حالة تعبدية للخالق مستمرة تجسد الواقع بين الإنسان وحاجاته وعواطفه، لا تتحدد بزمن أو مكان لأنه ظاهرة متجددة حاضرة في كل وقت، لذا اختلف الباحثون في وضع تعريف جامع، فما هو إلا (رجوات قلب وهمسات فؤاد ونبضات وجدان وترنيمات عابد)[٢].

الدعاء علامة الإيمان، وقمة الأخلاق، وبلورة السلوك، وجوهر العبادة وامارة العبودية لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: (الدعاء مخ العبادة)[٣]، وأما أنه أمارة العبودية وعلامة الإيمان: فلأنه بالدعاء وحده، وعن طريقه حسب يستطيع العبد أن يحقق عبوديته الخالصة لله رب العالمين امتثالاً لأمره بالدعاء والاستجابة لدعوته إليه لقوله عز من قائل: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم❖ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[٤].

والدعاء من اجل أنواع العبادة فقد ورد في الحديث (الدعاء هو العبادة)[٥] وهذا يدل على عظم منزلة الدعاء في العبادة، والدعاء وارد بطبيعة الحال في القران الكريم كقوله تعالى في دعاء نوح عليه السلام: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً)[٦]، وكذلك دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)[٧].

وهناك حشد كبير من الآيات الكريمات بصيغ وأساليب الدعاء على لسان الأنبياء لا يسع المجال لسردها.

كما هو وارد في الأحاديث الشريفة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسنة المعصومين عليهم السلام.

والدعاء يستدعي الإيمان بالله تعالى إيمانا صادقا وانه سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ولا معبود سواه وانه القادر على كل شيء، العليم بكل أمر، وأن نقر له بالعبودية، وان القوة والتدبير بيده، وأنه لا باب لنا سوى بابه الكريم.

إن الداعي يبين بدعائه، ان الذي يهيمن على العالم كله ويطلع على أخفى أموره

ويحيط بكل شيء علما هو القادر على إغاثتي وإسعاف مقاصدي وهو البصير بجميع أحوالي والسميع لندائي لذا فلا اطلب إلا منعه وحده وانه يسمع صوتي وندائي وهو الذي يدبر الأمور كلها فلا انتظر تدبير أدق أموري إلا منه وحده.

وردت مادة (دعا) وتصاريف اللفظ ودلالاته على نحو مائة وتسعين مرة[٨]، ضمن اثنين وسبعين اشتقاقا تنوعت معانيها بتنوع سياقها في الكتاب العزيز سأعرض بصورة موجزة لأبرزها:

أولاً: الدعاء بمعنى العبادة:

لقوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[٩]، وهو أول معاني (الدعاء وأكثرها استعمالاً في القران الكريم وهو بمنزلة العبادة ومن المعلوم ان للدعاء مفهوم واسع وشامل يتسع لعدة أعمال عبادية وهو في حقيقته جوهر العبادة لذا ساوى الباري جلت قدرته بين العبادة والدعاء وأكد الرسول وآل البيت عليهم السلام هذا المعنى بروايات كثيرة منها (الدعاء هو العبادة)[١٠].

ثانياً: الدعاء بمعنى الصلاة:

لقوله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم)[١١] والعكس صحيح في قوله تعالى: (... وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم...)[١٢]، والصلاة في اشهر معانيها الدعاء.

ثالثاً: الدعاء بمعنى الاستعانة والاستغاثة:

لقوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم...)[١٣] ان مفهوم الاستغاثة عموماً هو: مساعدة العبد في أمر عظيم، وفي نفس الوقت فيه أمل وثقة بالإله جلت قدرته، كذلك الاستعانة بالدعاء، والطلب في العون والإعانة نتيجة حالة صعبة شديدة مرت بالداعي.

رابعاً: الدعاء بمعنى النداء:

لقوله تعالى: (إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن لعظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا)[١٤].

ويبدو هنا ان لفظ الدعاء يفسر النداء والعكس صحيح، لذا كان معنى الدعاء ضمن وجود النداء في القران الكريم، فعليه يجوز وضع احدهما مكان الآخر.

خامساً: الدعاء بمعنى القول:

لقوله تعالى: (فما كان دعواهم إذا جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين)[١٥]، وردت آيات بهذا الصدد تشير إلى أن الاستعمال القرآني للدعاء بمعنى القول وهذا يوضح أيضاً تفسير القران بالقران. وغيرها كثير من المعاني.

توضح ان الدعاء في القران الكريم من ابرز العبادات، فهو عبادة تقرب العبد إلى ربه، وأنه من أهم الأبواب والقنوات التي وضعها الله تعالى لورود عباده عليه والارتباط به فضلا عن قنوات الارتباط الأخرى كالتوبة والاستغفار والخوف والخشية والشوق والرجاء والشكر، بينما الإعراض عن الدعاء إعراض عن الله جلت قدرته واستكبار عن عبادته، لذا على الإنسان أن يستعين على قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية بالدعاء والابتهال والتضرع إلى الله سبحانه، وان العبد يقبل على ربه بالحاجة والطلب والسؤال وان الله يقبل على عبده بالإجابة.

الدعاء في الأحاديث والروايات

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام لهم الدور الفاعل في إرساء قواعد الدعاء وتبيان أثره العميق في سلوك العبد تجاه خالقه ونفسه ومجتمعه، ولم

يتركوا باباً من أبواب حياة الإنسان إلا وضعوا له من الدعاء ما يختص به حيث إذ عملوا على ارتباط الإنسان بخالقه في جميع تصرفاته في أي وقت كان وان أدعيتهم متضمنة نصوصاً قرآنية أو تكون معانياً ودلالات وألفاظاً قرآنية فكانت ادعيتهم عليهم السلام، كلها ذات أسلوب بليغ وعبادات بيانية فائقة المعاني تهدف إلى إصلاح النفس، وتحوي على التعاليم التي تدفع بالداعي إلى التفكر في الآء الله، ونعمه، وضرورة الوقوف أمام أوامر الخالق ونواهيه، والأخذ بما فيه صلاح دينه ودنياه، وهذه الأدعية العظيمة النفيسة بجملتها مقتبسة من أنوار آي الذكر الحكيم والسنة النبوية مصوغة ببلاغة هاشمية فصيحة، فلو استعرضنا من خلال البحث بعضاً منها على سبيل المثال لا التحديد كدعاء الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الشهر المبارك وغيره وكأدعية الإمام علي عليه السلام، إمام البلاغة والبيان كدعاء كميل ودعاء الصباح وغيرهما، وأدعية الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في صحيفته السجادية وكدعاء أبي حمزة الثمالي، وأدعية الإمامين الباقرين عليهما السلام بل حتى في نكباتهم ومصائبهم وأحزانهم، لاحظ أدعية الإمام الحسين عليه السلام، في يوم عاشوراء وكذلك سيدتنا زينب عليها السلام، فهي تشمل جميع شؤون الحياة لما يحتاجه المسلم في دنياه وآخرته في أسلوب وصيغ وتعاليم للحياة فكانت أدعية روحية ضرورية لكل مسلم يدعو بها في المهمات، بما فيها من بركات وفضائل وحصول أعلى الدرجات ولهم حشد هائل من الأدعية في كل المناسبات والأحوال والساعات والأيام، لاحظ بهذا الصدد أدعية الأيام والأشهر ولاسيما في هذا الشهر العظيم شهر الخير والطاعة والبركة، شهر رمضان المبارك وهو شهر الإيمان والعمل الصالح والتقوى والإحسان والبر بالفقراء وتوثيق أواصر الإخوة والمحبة والتعاطف بين المسلمين شهر الرجوع إلى الله تعالى ومحاسبة الأنفس وتهذيبها وتربيتها على الطاعة وتعويدها الصبر والاحتمال، وهو شهر تعمر فيه بيوت الله تعالى بالذكر والصلاة وقراءة القران والدعاء والتفقه في الدين والقرب الإلهي. شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة واخره عتق من النار، ولم يذكر الله تعالى في كتابه العزيز اسم شهر من الشهور صراحة إلا هذا الشهر المبارك، ومن فضائل هذا الشهر الكريم ان الله تعالى فرض صيامه وجعل هذا الصيام ركناً من أركان الإسلام وأثاب عليه الثواب العظيم فقد ورد في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا اجزي به)[16]. ان هذا الشهر جمع من الخير ما لم يجمعه شهر آخر فهو الشهر الذي انزل الله فيه القران، هدى الناس إلى دينه وانه القانون الإلهي للبشرية جمعاء، وانه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، فيه ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، فرض الله في هذا الشهر صيام نهاره وإحياء ليله بالعبادة والدعاء وكثرة تلاوة القران وتدبر معانيه، فهو شهره الذي نزل فيه، وفي قراءته غذاء روحي وتركيز وتعميق الإيمان في نفسية المؤمن، ان الله جعل تحديد ليلة القدر مبهماً حتى تكون كل أيام رمضان خيرا ورحمة وهداية وديمومة للعمل الصالح في كل الشهر.

ولما نزلت آية الصيام في السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يخبرهم بذلك مبشراً ومنوهاً بفضل هذا الشهر قائلاً:

(أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشاكم الله فينزل فيه الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء)[١٧] ان الصيام هو العبادة الوحيدة التي لا يدخلها الدياء، إذ لا يطلع عليها إلا الله تبارك وتعالى، فان المرء قد يرائي بصلاته، ليقال انه عابد وقد برائي بصدقته أو بجهاده أو بغير ذلك من أعمال البر والطاعة ليقال انه مجاهد محسن نتصدق، لكن الصوم قد تنزه عن ذلك وتلك من صغائر النفس وعبث الشيطان، قال الله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[١٨] وفي الحديث القدسي (من أشرك بعمله العبادي فهو لشريكي)[١٩].

وقد شهد الله تبارك وتعالى لعبادة الصوم بان (نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح ودعاءه مستجاب وعمله مضاعف)[٢٠] لارتباطها بالنفس والسمو الروحي ونقاء الضمير ونظافة القلب. الصوم يربي في النفس المؤمن خلق المراقبة والإخلاص حتى يعبد العبد ربه، وكأنه يراه فليس من ماهية الصيام الأفعال الظاهرة المحسوسة التي تظهر في بقية العبادات ابتغاء حب الثناء والمدح ان بين الصوم والدعاء رباطاً وثيقاً وعلاقة مقدسة وهي التقرب إلى الله في شهره من خلال الذكر الحكيم والأدعية والمناجاة، لان في هذا الشهر أبواب السماء مفتحة للتوبة والإنابة وقبول الأعمال الصالحة والطاعات، على الرغم من ان قبول الأعمال في كل الأوقات، ولكن لهذا الشهر شهر الله خصوصية لإحياء كل لحظة فيه بجميع أنواع العبادة. بما فيها (مخ العبادة) كما ورد عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الدعاء، والدعاء هو إقبال العبد على الله والإقبال هو روح العبادة، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان لقوله تعالى: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)[٢١].

من خلال هذه المعاني الصريحة الواضحة نستطيع أن نجسد ونوضح قيمة الدعاء وقيمة العبادة بأنها تشد الإنسان إلى الله وتربطه به تعالى، لذا فان قصد التقرب إلى الله في العبادة أمر جوهري أساسي في تحقيقها، فالعبادة في حقيقتها توجه إلى الله وإقبال عليه ابتغاء لمرضاته، ولا توجد عبادة تقرب إلى الله أكثر من الدعاء لأنه إقبال إلى الله فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت عليهم السلام: (عليكم بالدعاء فإنكم لا تتقربون بمثله)[٢٢].

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين)[٢٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: (ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)[٢٤]. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (الصيام والقران يشفعان للعبد يوم القيامة)[٢٥]. ويتوضح مدى الصلة والترابط بين الدعاء وشهر العبادة كونه شهر التوبة والاستغفار والإنابة لقوله تعالى: (شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)[٢٦].

وورد عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (لو يعلم الناس ما في رمضان من الخير لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها)[٢٧]، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً الصحابة والمسلمين: (قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل الشياطين)[٢٨]. فكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام يحتفون بشهر ويفرحون بمقدمه

ويجتهدون العبادة فيه ويكثرون من الصلاة، ومن قراءة القران والأدعية كالدعاء عند رؤية هلال رمضان ودعاء الافتتاح، ودعاء السحر الموسوم (بالبهاء)، ودعاء أبي حمزة الثمالي وهو دعاء عظيم المضامين له آثار مباركة في معراج الروح والرقي الأخلاقي للسالكين، ودعاء الأيام والليالي وفي أواخره دعاء وداع رمضان وغيرها كثير. وان الزيارات الشريفة ومراسيمها للمعصومين عليهم السلام، تعد في حيز واسع منها دعاء كالوارد في زيارة أمين الله المأثورة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، بعد الزيارة مباشرة: (اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك مولعة بذكرك ودعاءك محبة لصفوة أوليائك...)[٢٩].

أو ما دعي به بعيد الزيارات كدعاء الحسين يوم عرفة اعرض مقطعاً منه لا على التعيين (اللهم انك اقرب من دعي وأسرع من أجاب...)[٣٠]، وكذلك الدعاء بعد زيارة عاشوراء.

ومن اعتبارات الإجابة الاستغفار قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (وما كان ليعذبهم وأنت فيهم...)[٣١] (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)[٣٢] وقيل في ذلك: أمانان لأهل الأرض، رفع احدهما وهو وجود النبي صلى الله عليه وآله وبقي الآخر وهو الاستغفار، وتقدم الاستغفار على الدعاء من شروط التحقق قال تعالى: (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسرفنا في امرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)[٣٣]. ومن مقدمات الدعاء المهمة الدعاء لصاحب الأمر(عجل الله فرجه الشريف) كأن يقول الداعي: اللهم عجل لوليك الفرج ثم يذكر حاجته، وقد ورد في مأثورات الامامية الوفير من الأدعية بهذا الخصوص كدعاء العهد صباحاً ودعاء الندبة عند الجمعات والأعياد، والدعاء في زمن الغيبة ■

(١) تاج العروس: الزبيدي، مادة (دَعَوَ).
(٢) الدعاء في القران الكريم: محمد بن الشريف ص٧.
(٣) الوسائل: الحر العاملي ٤/ ١١٠٦.
(٤) المؤمن/ ٦٠.
(٥) سنن أبي داود: أبو داود: باب الدعاء.
(٦) نوح/ ٢٨.
(٧) ابراهيم/ ٣٥.
(٨) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي مادة (دعو).
(٩) المؤمن/ ٦٠.
(١٠) سنن أبي ماجة: ابن ماجة ٢/ ٤٢٨، الوسائل: الحر العاملي، باب الدعاء ٤/ ١١١٠.
(١١) الكهف/ ٢٨.
(١٢) التوبة/ ١٠٣.
(١٣) الانفال/ ٩.
(١٤) مريم/ ٣- ٤.
(١٥) الاعراف/ ٥.
(١٦) الوسائل: الحر العاملي ٤/ ١١٤٦ باب الدعاء.
(١٧) الوسائل: العاملي كتاب الصوم تراجع.
(١٨) الكهف/ ١١٠.
(١٩) الوسائل: الحر العاملي: كتاب الصلاة.
(٢٠) الوسائل: الحر العاملي: كتاب الصوم.
(٢١) الذاريات/ ٥٦.
(٢٢) البحار: المجلسي ٩٣/ ٢٩٣.
(٢٣) البحار: المجلسي ٩٣/ ٢٩٣.
(٢٤) مسند احمد: احمد بن هنبل، باب الدعاء.
(٢٥) م،ن.
(٢٦) البقرة/ ١٨٥.
(٢٧) مفاتيح الجنان: ادعية رمضان.
(٢٨) م،ن.
(٢٩) الانفال/ ٣٣.
(٣٠) الانفال/ ٣٣.
(٣١) آل عمران/ ١٤٧.
(٣٢) مفاتيح الجنان: زيارة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٣٣) م،ن: زيارة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام.

التتمة في العدد القادم

الشيخ المظفّر..

وجهوده في تطوير المناهج الحوزوية

• حسين جهاد الحساني
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
في مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع لاشك أن من يقلب صفحات التاريخ لابد أن يجد العظماء، ويرى أن هؤلاء لم تمنحهم ظروف الرغد والهناء والاسترخاء بل أحاطت بهم البلايا والمحن من كل ناحية وامتحنوا بالمسؤوليات العظام، فكشف عن مواقفهم وأعمالهم وردود أفعالهم تلك المواقف والأعمال والتي جعلت منهم عظماء فخلدت أسمائهم وأفعالهم وذكرهم الذاكرون وأشاد بأعمالهم العقلاء والمفكرون...

ولقد تعرض العراق قبيل الفترة التي أعقبت نهاية الحكم الملكي سنة ١٩٥٨م وخلالها وبعدها إلى هجمات عنيفة من الغزو الفكري والى موجات عاتية من الشبهات الظالمة الخبيثة التي استهدفت الإسلام عقيدة وشريعة وسلوك...

وقد واكب هذه الهجمات انتشار واسع للأفكار الأخرى كالشيوعية والعلمانية الملحدة وخصوصاً داخل الوسط الجامعي والحوزوي، ووجهت تلك الأفكار سهامها إلى الإسلام والوسط الديني المتشدد وبالخصوص ممثلاً بالحوزة العلمية أنذاك، ووصفوا علمائها بأوصاف شديدة اللهجة. أم الإسلام فقد حاز على النصيب الأوفر من الانتقادات، فقد تعرضت مبادئه وعقائده وتشريعاته لنقد لاذع شديد، ظهرت آثاره السلبية واضحة داخل الأوساط المثقفة عموماً والجامعية والحوزوية خصوصاً. وقد يرى البعض أن انتشار مثل هذه الأفكار في الوسط الحوزوي، إلى ضعف المنهج الدراسي لها أولاً وضعف الدعاة من وسطها ثانياً من حيث تفوقهم على ما يحملونه من معلومات خاصة بعيدة عن ثقافة العصر وما يؤول إليه التطور المهني في المناهج الدراسية واللغة الوحدوية المعاصرة المخرسة لألسن هؤلاء الجمع من حاملي الفكر الهدام داخل الأوساط الدينية...

لذا انطلقت بعد ذلك الأصوات في

خضم هذه التحديات من داخل الحوزة تطالب بالتجديد والإصلاح وبالوقوف أمام هذا الغزو الفكري الهدام والرد على تلك الشبهات، غلا أن تلك الدعوات لم تكن لها تلك الآذان الصاغية ولم تلاق السرعة في التنفيذ وفي المستوى المطلوب، لأن الأوساط التقليدية المسيطرة كانت تزداد تقوقعاً على نفسها، والمتحمسون من العلماء والفقهاء يجدون صعوبة في إحداث التغيير والإصلاح المنهجي المطلوب داخل الوسط الديني في تهيئته لمواجهة تلك التحديات الخارجية والمسيطرة آناً بعد آن...

لكن المحاولات من المخلصين الذين شعروا بحجم المشكلة وخطر سيطرة الوضع لم يتوانوا ولم يرضخوا لهذا الوضع المتحجر بل حاربوا على اتجاهات عدة، لأن الوسط الذي كان يفترض أن يدعمهم يجهل خطورة ما ستؤول إليه الأوضاع...

ومن هذا الوضع التاريخي وشدة التحديات انطلق شيخنا الجليل المظفر ليقوم بواجبه تجاه الفئات المتحضرة والذين تحسسوا المشكل وعانوا من مضاعفاته ليخوضوا النقاشات الطويلة مع مؤسسوا الأفكار الأخرى ويدافعوا عن الإسلام ومبادئه بمناهجه الجديدة المتحضرة.

الشيخ المظفّر:

لابد لنا ونحن نسطر هذه الكلمات أن ننظر ولو بصورة سريعة إلى شخصية هذا الرجل العظيم، ونضع بين ظهرانينا هذه السطور المشخصة فحياته الدنيوية المادية والمعنوية: فالشيخ المظفر هو: محمد رضا

بعض أساتذة وطلاب كلية منتدى النشر في ١٣٧٧هـ
ويظهر الشيخ المظفّر في وسطهم

بن الشيخ محمد بن عبد الله، ولد الشيخ محمد رضا المظفر في الخامس من شعبان المعظم سنة (١٣٢٢هـ - ١٩٠٥م) في النجف الأشرف، ونشأ بها يتيماً، فقد توفي والده بعد ولادته بخمسة أشهر.

أسرته العلمية:

أسرة المظفر من الأسر العلمية في النجف الأشرف، عرفت فيها في أواسط القرن الثاني عشر وقطن رجالها الجزائر التابعة للواء البصرة.

وكان من الفقهاء والمجتهدين المعروفين في هذه الأسرة الفقيه المجتهد محمد بن عبد الله والد الشيخ قدس سره من علماء النجف ومراجع تقليدها، ترعرع فيها وكان في عنفوان شبابه منقطعاً إلى الجد والتحصيل.

وخرج من هذه الأسرة العلمية علماء أفذاذ كان لهم الدور البارز في إظهار هذه الأسرة بالمظهر العلمي الجليل من أمثال الشيخ محمد حسن المظفر والشيخ محمد رضا المظفر وغيرهم من الوسط العلمي الأكاديمي والذين يحملون علمية ثقافية عالية في اختصاصاتهم المتفرقة.

دراسته الأولية:

بدأ الشيخ قدس سره حياته العلمية تحت رعاية وتربية أخواه العالمان الشيخ عبد النبي والشيخ محمد حسين المظفر، وكان الأخير من مراجع التقليد آنذاك، درس الحلقة الأولى من حياته مقدمات العلوم الأدبية والفقهية والأصولية والعقائدية، ثم انتقل إلى مرحلة أعلى من مراحله الدراسية إذ تفرغ فيها إلى الدراسات الفقهية والأصولية على سبيل الاستدلال، أضف إلى ذلك استمراره في دراسة العلوم العقلية والرياضية والفلكية وغيرها من العلوم...

أساتذته:

بعد أن اجتاز الشيخ قدس سره مراحله الدراسية (المقدمات والسطوح) بجدارة فبدأ بحضور الأبحاث العالية في حقول الفقه والأصول والفلسفة، فكان أشهر أساتذته يومذاك، الشيخ آغا ضياء الدين العراقي، والشيخ الميرزا محمد حسين النائيني، وأخيه الشيخ محمد حسن المظفر، والشيخ محمد حسين الإصفهاني، وكان من الأخير جل استفاداته الأصولية الفلسفية...

آثاره:

ترك الشيخ الجليل بعد مماته آثاراً جليلة قيمة انشطرت على شطرين الأول كتبه ومقالاته وبحوثه والثاني تأسيس بعض المؤسسات التي تعنى بنشر الثقافة والوعي فضلاً عن تطوير المناهج فيها، فقد خلف الشيخ قدس سره مؤلفات نذكر منها على وجه السرعة:

(أصول الفقه، عقائد الإمامية، السقيفة، المنطق، مجموعة كبيرة من مقدماته للكتب، تعليقه على المكاسب، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، أحلام اليقظة، محاضرات في تفسير القرآن...) وغيرها الكثير.

أما أعماله الخالدة، فقد واكب الشيخ قدس سره الحركات الإسلامية لتطوير الدراسات الدينية حسبما تفرضها متطلبات الحياة الاجتماعية، فقام الشيخ بتأسيس جمعية إسلامية باسم منتدى النشر، وأسس

كلية الوعظ والإرشاد، وقام بإنشاء وتأسيس كلية الفقه في النجف. وغيرها الكثير الكثير...

وفاته:

رحل الشيخ قدس سره على أثر نوبة قلبية مفاجئة ليلة السادس عشر من شهر رمضان المبارك سنة (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م) في داره في النجف ودفن في مقبرة خاصة بعائلة المظفر...

منهج الدراسة الدينية في الحوزة العلمية:

أراد الشارع المقدس أن تكون مسيرة الحوزة وطالبها إلى الاجتهاد وحركة الفقاهة ينبوعاً متفجراً يضفي على كل خطوة يقطعها الطالب أو الدراسة ذاتها عطاءً جديداً... فيمنحها تألقاً وتجذراً وإشراقاً تحفظها من الضياع وتصون الغايات الكبرى من التلاشي والاندثار.

لذا جاءت الدراسة في الحوزة العلمية على سير خاص بالتدريس، إذ لم يكن لمدارسها صفوف مرتبة يتدرج بها الطالب بل انتشرت الدراسة على شكل حلقات في المدارس والجوامع والحسينيات وفي البيوتات الخاصة للعلماء الكبار.

ومما يذكر أن الدراسة لا تقتصر على المستويات المشهورة في الدراسة الأكاديمية من الابتدائي والمتوسط والإعدادي والكلية والدراسات العليا، بل تكون على ثلاثة أو أربعة مراحل، وتسمى بمراحل الارتقاء بالسلم الاجتهادي وهذه المراحل هي:

١- مرحلة المقدمات: وتدرس فيها مقدمات المناهج من الكتب المشهور، من أمثال: الإجرومية - معالم الدين - حاشية ملا عبد الله في المنطق - تبصرة المتعلمين، وتواكب هذه المرحلة دراسة بعضها الشروح لهذه الكتب أ ما يراه أستاذ المادة في قراءة أو دراسة كتب أخرى مكملة لهذه المناهج من الشكل والمضمون...

٢- مرحلة السطوح: وهي المرحلة الثانية من دراسة المناهج المعينة من قبل السياق الحوزوي القديم وتكون مكملة للمرحلة الأولى وبنفس الأساسيات المتبعة من النحو والمنطق وأصول الفقه، إلا أنه بكتب ومناهج أعلى...

٣- مرحلة البحث الخارج وتكون على دورين تقريباً، الدور الأول يكون مكمل لما بقي من المرحلة الثانية إلا أنه بصورة أكثر عمقاً في كتب معرفة من أمثال: الكفاية في الأصول والشمسية في المنطق والمكاسب في الفقه وغيرها. والدور الثاني وهو مرحلة الدخول إلى ابحث الخارج عند ذوي الاختصاص والمتمثلين بالمجتهدين أو المراجع في الحوزة العلمية، وهذه المرحلة هي فترة يقضيها الطالب ومن خلالها يتعلم كيفية استنباط الحكم الشرعي.

٤- مرحلة الاجتهاد: وهي المرحلة الأخيرة المؤهلة لاستنباط الحكم الشرعي ويتخرج عن طريقها الطالب ويكون مجتهداً، وفيها يكون الطالب على ضربين من الاجتهاد، الأول الاجتهاد المتجزيء والثاني الاجتهاد المطلق، ومن خلال الجد والاجتهاد والمواظبة يصل الطالب إلى مرحلة الاجتهاد المطلق...

وتتخلل الدراسة لدى الطالب أوقات معينة وخاصة عند العطلة الصيفية يستغلها الطالب لدراسة بعض الكتب المشهور من

علوم شتى كالقرآن والفلسفة والحديث والغرض منها تطوير مهارته الاجتهادية وضبط دراسته وثقافته العامة.

ظل هذا الأسلوب متوارثاً جيلاً بعد جيل ولم يستجد جديد في مناهج وأساسيات هذه الدراسة حتى أعطاها البعض أسماء ومسميات كثيرة فأصبحت تقليدية كما قال البعض وكلاسيكية كما أشار آخر.

لذا كانت الحوزة بأمس الاحتياج إلى إعادة صياغة هذه المناهج وإعدادها بصورة أخرى وتهيئة مواد أخرى تعضد هذا المنهج التقليدي المشهور...

الشيخ المظفر وصفة الإصلاح والتجديد:

أدرك جمع من أعلام الفكر في النجف، ضرورة العمل لتلافي الضعف والنقص في مناهج الدراسة في الحوزة العلمية، وبعد أن وجد المعنيون بشأنها، أن النجف تعاني بعض هذا النقص، دأب هذا الجمع إلى تطوير هذه الدراسة ومناهجها على نحو يتناسب ومكانة النجف الدينية...

ومن المعلوم أن أي مفكر وباحث بهذا الخصوص لا نستطيع فصله عن البيئة التي عاش فيها، لذا ظهرت هذه الجماعة من العلماء تفكر بالإصلاح والتجديد من البيئة التي عاشت بها محددةً بذلك النقص الذي ظهر في تلك المناهج الدراسية. فكان أبرز من حمل هموم بيئته في التحديث والتجديد هو الشيخ المظفر قدس سره وذلك ما أشار إليه بنفسه بقوله:

(إن هذه النواقص كفقدان نظم التربية والتدريس في الامتحانات والمواد العلمية والأوقات والشهادات، كانت تهدد المفكرين منا بشلل الحركة العلمية في مستقبل الجامعة القريب أو البعيد، يوم أن اصطدمت سفينة هذه الجامعة القديمة بتيار هذا العصر الجديد فهزتها في بحر متلاطم بالميول).

ولأجل ذلك ابتدأ الشيخ قدس سره بعقد اللقاءات والندوات مع تلك الجماعات من جميع طبقات المجتمع الديني بعمومياته فكان منهم صفوة معروفين بالفكر والصلاح من أمثال الشيخ محمد جواد الحجامي والشيخ محمد حسين المظفر والسيد علي بحر العلوم وغيرهم من الشخصيات الفذة...

فبدءوا توحيد الأفكار ورص الصفوف في أنجاز المهمة بأعلى مستوياتها، فتمخض من تلك اللقاءات تأسيس جمعية (منتدى النشر) الذي أخذت على عاتقها مسؤولية وضع اللبنة الأساسية بمحاولة تغيير المدرسة القديمة بمناهجها المعروفة. لذا تحول الاهتمام لديهم إلى تأسيس مدرسة دينية من طراز جديد، وقد بان العمل فيها جلياً بعد انتساب خيرة مثقفي النجف إليها...

لم يهدأ روع المحاضرات الشيخ المظفر قدس سره إلى ذلك بل كشف تلك اللقاءات والاجتماعات الأسبوعية عن طريق إلقاء المحاضرات الدينية والفكرية وتوطيد العلاقة فيما بين هذه الجماعات فوضع الشيخ برنامج فكرة تأسيس معهد خاص للخطابة هدفه تهذيب الخطباء وتنزيه المنبر الحسيني من خلال التحقيق بالروايات التاريخية وتهيئة وعاظ يدركون جيداً أن المنبر صوت إعلامي يواكب أي عصر من العصور السابقة واللاحقة فتمخض من هذا الأمر جمعية (والوعظ والإرشاد)...

ثم توجه الشيخ إلى خلق جيل جديد

بمناهج جديدة تأخذ بيدهم إلى تربيتهم تربية دينية فكرية ثقافية خالية من العصبيات والتقيد بالماضي، فأنشأ بذلك (مدارس التعليم الابتدائي والمتوسط...).

ثم بدأت خطى الشيخ تلوح على الأفق من خلال هذه الثورة الإصلاحية، خطا الشيخ قدس سره خطوة اتسمت بالهدوء إذ يدرك جيداً قوة الخطر التقليدي في داخل الحوزة فبعد سنتين من تأسيس جمعية منتدى النشر وضع الخطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية وكلية للإجتهاد سميت بـ(كلية الفقه) حيث بدأ بمنهجه العلوم المشهورة كالفقه والقرآن والأصول والفلسفة بصورة جديدة كما أشار إليها بقوله: (وقد لمس كثير من المفكرين صعوبة هذه المرحلة (وهي مرحلة السطوح في الدراسات الحوزوية) فوجدنا أن من الجدير بنا أن نسعى إلى فتح كلية منظمة لنتلافى بها كثيراً من النواقص التي يشتكي منها الطالب. وذلك بتبسيط بعض الكتب، وتنظيم المناهج والدروس والامتحانات، وهكذا تم لجمعية منتدى النشر أن تفتح (كلية الفقه) لتخريج طلاب لهم الإستعداد الكافي لحضور مجالس دروس كبار المجتهدين بالإضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الدين الإسلامي وتبليغ مبادئه...).

ولأجل ذلك فقد شخص الشيخ المظفر قدس سره بعض المفاصل الرئيسية السلبية في الدراسة الحوزوية ولذلك دعا إلى إصلاح المناهج وطرق التدريس وبلورة عمل الاتجاه الأكاديمي مع الحوزوي وكيفية التلاقح فيما بينها، مما حدى به إلى فتح خط جديد وأسلوب بنّاء.

ومما تقدم يتضح لنا أن الشيخ قدس سره أراد من إصلاحه لهذه المناهج الأمور التالية:

١ـ تنظيم الدراسة الحوزوية في جميع مراحلها وبالخصوص مرحلتي المقدمات والسطوح.

٢ـ تنظيم الدراسة في المراكز الدينية وحسب أحدث الطرق العلمية وإضافة العلوم الجديدة والحديثة الداعمة للمنهج الحوزوي.

٣ـ إعداد نخبة واعية من الدعاة مسلحين بالثقافة الإسلامية الرصينة المتكونة من الدراسة الحوزوية والعلوم الحديثة الأكاديمية.

٤ـ سعى الشيخ إلى غربلة الكتب الدراسية القديمة وإعادة كتابتها بأسلوب حديث يسهل على الطالب تلقيها واستيعابها...

وأخيراً هذه دعوة إلى دعاة الثقافة العامة الأكاديمية والدراسة الحوزوية الدينية إلى التقارب والتفاهم فيما بين مناهجهم وفتح مؤسسات وكليات تدعو إلى تقارب وجهات النظر فيما بينهم من أجل الوصول إلى ثقافة عصرية موحدة ندحض من خلالها جميع الشبهات والتشككات...■

مصادر البحث:

١ـ ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر محبوبة.
٢ـ مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، الشيخ محمد مهدي الآصفي.
٣ـ الحياة الفكرية في النجف، محمد باقر البهادلي.
٤ـ الحوزة العلمية في النجف، علي البهادلي.
٥ـ موجز تاريخ الأسرة المظفرية، عبد الأمير المظفر.
٦ـ بحوث فلسفية، محمد رضا المظفر، تحقيق: هاشم الحسيني.
٧ـ الحركة الإصلاحية في النجف، إبراهيم العاني.

السيد جواد شبر..

من أقطاب المنبر الحسيني

• فضيلة الخطيب البارع
الشيخ شاكر القرشي

ينابيع المنبر الحسيني، هو المدرسة التي ترفد المجتمع برجالات فذة، رجالات لها الأثر البليغ في النفوس، ويكون كلامها دروساً وعبر، يستفيد فيه أبناء المجتمع في إصلاح الأخلاق وزرع المحبة والتآلف بينهم، وعندما نستقرئ التاريخ نجد هؤلاء قد أدوا الأمانة وقاموا بدورهم خير قيام، بالرغم من المصاعب والمصائب التي تواجههم أثر دورهم الرسالي الذي يضطلعون به في مواجهة الظالمين، والتعريض بهم في فضح أساليبهم وأفكارهم الهدامة.

وكان من بين هؤلاء، أستاذي الجليل، السيد النبيل، الخطيب المفوّه ولسان الحق الصادع، السيد جواد شبر، الذي حاز القدح المعلى ونال مراتب الشرف فمن النسب، انتسب إلى أشرف شجرة وأعلى منزلة، فهو جواد بن السيد علي شبر بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسنين بن

السيد عبد الله شبر صاحب (تفسير شبر) بن السيد محمد رضا شبر بن محمد بن محسن بن أحمد بن علي صاحب لقب (شبر) بن الشريف محمد بن حمزة بن أحمد بن علي الشهير بـ(بُرْطُلّة) بن الحسين بن علي بن عمر بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن علي السجاد عليه السلام بن الحسين الشهيد عليه السلام بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد السيد جواد في الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة (١٣٣٢هـ)، في مدينة العلم النجف الأشرف، حيث مأوى الأفئدة وملاذ النفوس، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ونشأ في أسرة علمية فكان والده الحجة العلم السيد علي شبر الحسيني قدس سره جامعاً، ملماً بالتاريخ الإسلامي إضافة لعلوم الحديث والتفسير. فلم يدخر السيد علي وسعاً في تنشئة ولده، نشأة علمية، خصوصاً وقد لمح فيه النبوغ وتوسم في عقله الذكاء والتفاعل مع التعلم حتى زج به نحو المنبر الحسيني، خطيباً وهو بعد لم يكمل العقد الأول من حياته الشريفة، إذ ولج هذا العالم عالم الخطابة وله من العمر تسع سنين فقط.

كان أستاذه الذي تدرج عليه، الخطيب المغفور له الشيخ محمد حسين الفيخراني، المدرسة التي خرجّت العشرات من الخطباء العمالقة الذين حفروا أسماءهم في ذاكرة التاريخ بأحرف من نور، فقد تخرج عليه الشيخ مسلم الجابري والسيد عبد الحسين الحجار وغيرهم من الفطاحل. وما أن تكاملت شخصيته وعلا في سماء الخطابة نجمه حتى ذاع صيته وانتشرت في الآفاق شهرته.

لقد اختط السيد جواد شبر طريقاً جديداً، إذا أخذ من شمس الإصلاح والهداية أشعةً، ثم صاغها ببيانه العذب ومنطقه الفياض، فكانت جواهر نورانية، تتألف معها النفوس وترغب بها الأبصار، وكان طرحه على المنبر طرحاً إرشادياً، إذ كان تركيزه على الناشئة والشباب، لعلمه أنهم الأمل، أمل الأمة في حمل رسالة الحسين عليه السلام الخالدة في العيش الحر، ضمن مجتمع تسوده روح الإسلام السمحاء، وتسمو فيه النفوس فتخلع رداء الأنانية والحقد وترتدي لباس التقوى والمحبة والإيثار، فكان لمنبره سمعة ممتازة عند عموم الناس والشباب خصوصاً وكم كنت أرى جمهور الشباب ينتقل مع أستاذي الجواد من بيت إلى بيت فمنهم المشاة ومنهم أصحاب الدراجات الذين يتسابقون لكي يصلوا إلى المجلس

قبل بدء السيد بإلقاء محاضرته، فيكونوا متابعين لها منذ بدايتها.

علاقتي مع السيد جواد شبر:

منذ مرحلة الصبا، اختلفت إلى أستاذي السيد جواد. فكانت علاقتي به علاقة الولد مع والده، أطيعه فيما يملي عليّ وأمتثل لما يريد، وكان (رحمه الله) يعتز بتلاميذه أيما اعتزاز، معتبرهم أبنائه الذين يعدهم لتحمل مسؤولية المنبر الصعبة والتي توجب الإعداد الكامل للخطيب الجديد وتوجيهه وتشجيعه ومن ثم زجه مبلغاً بارعاً، ومتكلماً كاملاً، قادراً على طرح الفكرة المعينة ثم مناقشتها على ضوء الدليل المتوفر من حيث القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، إضافة لامتلاكه قابلية الحفظ والتمكن من الألفاظ والمفردات.

كنت أتنقل معه في مجالسه مع زميلي وأخي المرحوم الخطيب الشيخ صالح الدجيلي، فنراه يمتلك الجرأة، التي تميز بها والتي تُعد أبرز سمة تظهر على الخطيب الفاعل في مجتمعه، والبارز على أقرانه، كما كان يوصينا دائماً بوصية عمل بها لحد الآن وهي (لا ترقوا المنبر إلا وأنتم على طهور).

نتاجاته:

إلى جانب منبره، المدرسة الإرشادية والإصلاحية، فقد اعتنى كثيراً بالتأليف والجمع والتحقيق وقد أخرج لنا يراعه مجموعة من الكتب القيّمة مثل موسوعته الشهيرة (أدب الطف أو شعراء الحسين) والذي تطلب العمل بها البحث وبذل الجهد من أجل الإلمام بجميع ما كتب عن الحسين عليه السلام، فكان منهمكاً في مراجعة الموسوعات الكبرى وخزانات المخطوطات، على مستوى المكتبات العامة والمكتبات الشخصية، أضف لذلك كتاباته الشخصية في تقويم الأخلاق وإصلاح النفس والمجتمع مثل كتابه (إلى ولدي).

كما اهتم بتراث أسرته العلمي الثر، وخصوصاً مؤلفات عميد الأسرة السيد عبد الله شبر صاحب التفسير ولا أنسى انهماكه في إنجاز تحقيق كتاب مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، فقد كنت أساعده في المقابلة بين نسخ المخطوطة والتصحيح.

أما مؤلفاته فهي: إضافة لما ذكرناه أدب الطف والى ولدي فقد كانت نتاجاته كالتالي:

١- قبس من حياة أمير المؤمنين.
٢- أشعة من حياة الصادق (مطبوع).
٣- مقتل الحسين (عبرة المؤمنين) وقد طبع عام (١٣٨٤هـ).
٥- المطالب النفيسة يقع في ثلاثة مجلدات في التراجم والأخلاق والفلسفة وأخاله مخطوطاً لم يطبع بعد.
٥- شعراء من العصر الحاضر (مخطوط).
٦- شواهد الأديب، وهي التي كانت يستلها من الكتب خلال بحثه لإعداد مجلسه، فيها من الشعر ما يغني محبي الأدب.
٧- سوانح الأفكار في منتخب الأشعار، وهو في الشعر المنتخب لأل البيت عليهم السلام يتضمن ممادح ومراثي.

٨- المقتطفات، نوادر وحكم وأدب في جزئين.
٩- المناهج الحسينية، مجموعة مجالس قرأها في لبنان.
١٠- الإسلام دين ودولة.
١١- ديوان شعره.
١٢- الأخلاق الإسلامية.
١٣- الصلاة جامعة المسلمين.

تدريسه:

ومع هذا كله فقد كان السيد دؤباً في التدريس فيما يعرف بجمعية منتدى النشر قبل أن تكون كلية وكان لدرسه طعماً خاصاً يتذوقه الذين نهلوا من نبعه الصافي، فتنوع المعلومات عنده وخزينه الفكري الهائل، جعله يطوّع مادة الدرس مهما كانت صعبة، ويذللها أمام فكر الطلبة.

أشعاره:

والشعر عند السيد جواد، ساحة وغى تجول فيها الكلمات وتصول، وكانت شواهده الشعرية حاضرة في كل حين، الأمر الذي ولّد في داخله المَلَكة والقابلية على نظم الشعر، فحلق في أجواءه وأبدع أيما إبداع ومن شعره دالية من أروع ما قيل في الأمام الصادق عليه السلام ومنها:

يا قلم التاريخ سجل لنا
يوماً من الأيام معدودا
أذع فذا يوم له شأنه
كان على التاريخ مشهودا
حدث عن الصادق واستنطق
التاريخ يروي الدرَّ منضودا
وحدث العالم عن عالم
قد ملأ الدنيا أسانيدا
تبلى الأقاويلُ وأقواله
باقية تزدادُ تخليدا
آراؤه الغر وأفكاره
يعجز عنها الحصرُ تعديدا
ما حدّ أفق العلم في غاية
ولا يرى العالم محدودا
شتان من يفتح أبوابه
ومن يعد الباب مسدودا
سل ابن حيان وسل غيره
أئمة العلم الصناديدا
من طبّق الدنيا سوى جعفر
معارفاً تزداد ترديدا
وسل تلاميذ له إنهم
كانوا على الدنيا أسانيدا
هم فتحوا للكيميا بابه
وكان منه البابُ موصودا
وخلدوا الدهر بأقلامهم
أفنوا ربيع العمر شهيدا
وخلفوا أغلى تراث لنا
لو لم يكن في الناس مجحودا

وله في شعر الإخوانيات والمراسلات باعٌ أيضاً، فقد دخل يوماً عائداً الخطيب المعروف السيد علي الهاشمي على أثر وعكة صحية ألمت به، فخاطبه:

متى كان في الظن أراك
أليف الفراش حليف الألم
متى حوّمت حولك الواهمات
متى نهشتك نيوب السقم
متى زعزعتك سوافي الرياح
وعهدي بك طود أشم
ألست المعاني الذي يمتلي
نشاطاً يزينك لطف الشمم
وثغرك ذاك الضحوك الوقور
يعطر أجواءنا بالنسم

فأجابه السيد الهاشمي:

هــزار الـغـريـيـن أتحفتني
بـغـرّاء تـذهـب عـنـي السقم
نـظـمـت قـوافـيـهـا كالعقود
فـنـعـم الـمـنـظّـم والمنتظم
فـقـبّـلـتـهـا بـفـم الامـتـنـان
مـقـلّ لـتـقـبـيـلـهـا ألـف فم
وحـلـبـت بـبـحـر تقاطيعها
بـمـطـرفـة دمـعـهـا منسجم
ومـا ذاك إلا اشـتـيـاق إليك
لأنـك أنـت الـذي لا تُـذم
فـدم (يـا جـواداً) بـكل الصفات
ويـا عـلـمـاً رفّ فـوق العلم
وإنـي لأكـبـر هـذا الـحـنـان
فـحبك لـي مـن جـلـيـل النعم

صراعه مع قوى الشر:

غالباً ما يكون الإنسان الرسالي عرضة للقوى التي يحذر منها، وينتقدها ويوجه نحوها علامات الاستفهام، فتراها خائفة وجلة منه، ولا تقف مكتوفة الأيدي اتجاه التحدي الذي يظهره ضدها، وحينها تبدأ عملية طرح الحلول من أجل التخلص منه، مؤقتاً أو أبدياً، ويكون الموقف معتمداً على مدى سيطرتهم عليه، فبالتهديد تارة، فأن فهم الإشارة فبها وإلا الاعتقال أو الموت، وغالباً ما يكون الموت سيد الموقف.

وهكذا الحال ينطبق مع السيد جواد، فقد واجه التيارات والأنشطة التي شطّت عن مسيرة الإسلام وانحرفت عن دربه القويم، بالرغم ما كانت تملكه من مواقع حساسة في المجتمع والدولة، وكانت البدايات مع المد الأحمر فقد استدعاه المرجع الديني الكبير فقيه العصر السيد محسن الحكيم غير مرة ليمنحه الثقة التامة وليشجعه على مواقفه المناهضة، فكان اللسان المعبر عن المرجعية، وأخذ يتنقل بين مدن العراق، يبث بين عشائرها روح الإسلام ويقوي آصرة الولاء مع العترة الطاهرة، وكانت خطواته مرصودة، وكلماته محسوبة، وهو على أهبة الاستعداد في مواجهة أي طارئ قد يحدث له ولا أقول أنه وطّن نفسه على الشهادة منذ ذلك الحين.

وعندما تسلط الحزب الجائر على العراق، برجاله المعروفين بخسة معدنهم ورجاسة أصولهم، فقد توقع حينها السيد أن العراق سيواجه مرحلة قاسية دموية، أشد مما واجهه من المد الأحمر، وكان الأمر كما احتمله، فكان السيد، مراقباً في تحركاته وسكناته، ترصده عيون الأمن المنتشرة حوله وترفع إلى أسيادها تقاريراً عنه، وهو لا يأبه بهم، فمنبره هو نفس ذلك المنبر الإصلاحي واتجاهه هو نفس الاتجاه الثوري الحسيني، أتذكره وهو يركز على قول السيد حيدر الحلي في مجالسه العاشورائية:

وسامته يركب إحدى اثنتين
وقد صرّت الحرب أسنانها
فأما يُرى مذعناً أو تموت
نفس أبى العز اذعانها
فقال لها اعتصمي بالإبا
فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان
فبالموت ننزع جثمانها

وكأنه يُشعر السلطة بأن دربه هو درب جده الحسين عليه السلام، أتذكر قوله لي والذي كان دائماً يلقيه على مسامعي:

(إذا دام هذا ولم يحدِّثْ له غِيْرٌ
لم يبك ميتٌ ولم يُفرح بمولود)

مشيراً بذلك إلى ضرورة تغيير سلطة الحكم الجائرة وكان قوله في محله فالمقتول في زنزانات السلطة، لا يُبكى والمولود الجديد لا يُفرح به لأنه سيكون على موعد مع الإرهاب وسيلاقي أتون الحرب الذي يأكل الأخضر واليابس.

اعتقل السيد جواد ثلاث مرات وكانت المرة الأولى في صيف عام (١٩٧٤م)، وقد لاقى خلالها ضروباً من التعذيب الجسدي والنفسي وقد لمحت بنفسي آثار التعذيب على جسده عند زيارتي له منذ خروجه من السجن، فلم يراعوا كبر سنه وشيخوخته ومرضه.

وما لبث فترة بعد خروجه حتى تم اقتياده للسجن مرة أخرى.

يذكر لي طيب الله ثراه: (ومضت أيام شهر رمضان وأنا في زنزانة لا أشم فيها سوى رائحة الدماء والصديد، ولا أرى فيها إلا أجساداً معلقة وأجساماً متناثرة هنا وهناك)، وبعد فترة من الزمن أخرجوه من السجن.

قبل شهر رمضان عام (١٩٨٢م) قررت عدم القراءة في المجالس وذلك بناء على استخارتي التي لم تساعد في ارتقائي المنبر، وفي يوم وجدت أستاذي خارجاً من الصحن الشريف فأنبأته بأنه مراقب ومرصود، ورجوته أن يقرأ خلال شهر رمضان في الكويت ولكنه أصر على البقاء في النجف والقراءة في مجالسه على المعتاد.

وفي منتصف ليلة (١٥ رمضان)، هجم رجال الأمن على المدرسة الشبرية التي كان يقيم فيها السيد بعض لياليه وأخذوه من فراشه، ثم نقلوه إلى بغداد وقد ضاعت أخباره والظاهر أنه التحق بركب الشهداء.

اللهم إنه قد أدى الأمانة وتحمل آلاماً من أجل كلمة الحق، جاهد بلسانه وقلمه ويده فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ■

مجموعة ورّام

في كتاب ورّام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحتطب، ويستقي، ويكنس. وكانت فاطمة عليها السلام تطحن، وتعجن، وتخبز.

وفيه أيضاً: في وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «يا أبا ذر، صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره، وأفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل في بيته حيث لا يراه إلا الله عز وجل، يرجو بها وجه الله عز وجل».

الحلقة الثانية:

الدين.. وتنظيم الحياة الأسرية

• هاشم حسين ناصر المحنك
رئيس تحرير مجلة النجف

ينابيع د ـ عمق التواد والتواضع، والوصول إلى أفضل السبل الإنسانية، لتداخل الأرواح، والتحسس النفسي الواحد، والمصير الواحد، وهذا يبني التواصل الأسري عبر الحياة والأزمان، يجمعهم الحب في الله، لا من أجل الطمع والجشع والمصلحة المؤلمة والماديات الوخيمة.

والإمام علي عليه السلام يقول: (لو علم الله شيئاً في العقوق أدنى من أُف لحرمه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار)[1]، والقصد من قوله عليه السلام ذلك، ليبين ما شدة العقوق (عقوق الوالدين) التي تُمحق كل الأعمال الخيرة، وبه يريد أن يعلمنا الخالق عز وجل وأولياءه الصالحين، مدى خطورة ذلك على الذات والمجتمع بما فيه الأسرة، ويعرف الخالق عز وجل ومن سار في ركب الأخيار، أن من يبدأ ويتعلم بر الوالدين والرفق بهما، لابد أن لا يخطو إلا في قويم السبل، بل حتى لا يفكر إلا في الخير، والصدق في ذلك، وما أروع وأعظم المجتمع الذي يكون أفراده وأسره بهذا الشكل، فلا جريمة ولا بغضاء ولا ضغينة، بل وحدة القلب واللسان واليد.

وتطالعنا كتب التراث على روائع السلوك الإنساني بهذا الخصوص، حيث قيل: (...لعلي بن الحسين (رضي الله عنه) أنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صفحة فقال: أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عينها إليه فأكون قد عققتها)[2].

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول بخصوص حق الأم: (وأما حق الرحم فحق أمك أن تعلم أنها

حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرةً فرحةً محتملةً لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعري وترويك وتظمى، وتظلك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك، ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه.

وحق الأب، وأما حق أبيك: فإن تعلم أنه أصلك، وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن. فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك. ولا قوة إلا بالله.

وحق الولد، وأما حق ولدك: فإن تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره. وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه والمعونة له على طاعة فيك وفي نفسه، فمثابٌ على ذلك ومعاقب. فاعمل في أمره عمل المتزيِّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذِّر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه.

حق الأخ، وأما حق أخيك: فإن تعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوه والحؤول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن انقاد لربه وأحسن الإجابة له، وإلا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه)[٣].

وما أرفع للأسرة والمجتمع لو تفحَّص كل منهم هذا المنهج الإسلامي للأسرة ولأفرادها، فلا يتعدى بعضهم على حق البعض، إن كانوا لهم الألباب، لأن الهدف أولاً وأخيراً هو تنقية أجواء الأسرة، وجعل العلاقات الاجتماعية الإنسانية، آلية محبة لتماسك الأسرة بأعمق صورها الإنسانية، من أجل مستقبل كل فرد فيهم، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (فما طاب سقيُهُ، طاب غرسُه وحلَّت ثمرتُه، وما خَبُثَ سقيُه، خبث غرسُهُ وأمرَّت ثمرتُهُ)[٤].

١٠- أساليب تربية الأسرة لأبنائها، ومدى النجاح في ذلك، لأن خطورة بناء شخصية الأبناء، تكمن في قوة فاعلية وآلية أساليب التربية، فبلا أدنى شك حينما يصبح الخلل في التربية سيلحق بالأسرة التفكك والانحرافات وارتكاب الجرائم، وقد أشار الذكر الحكيم للجرم والمجرمين على أوجه مختلفة، وجانب منه يبينه الخالق عز وجل بقوله: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (يونس/ ١٣)، والإشارة التربوية واضحة في قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) (الجاثية/ ٣١)، فجزاء الانحراف التربوي قوله جل وعلا: (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا) (طه/ ٧٤).

وللتاريخ والآثار حضوره في مجال الأساليب التربوية، على أساس الاتعاظ والعبرة، وبمنظور التفكّر لما جرى على من هو منحرف، كقوله تعالى: (قُلْ سيرُوا في الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل/ ٦٩) وأخطر ما يواجه الفكر انحراف ذات الفكر ومن يحمله إما مخطط لها أو عقوبة اكتساب الفكر المنحرف، وهو ما تكشفه الآية الكريمة: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة/ ١٠-١٢)، وبطبيعة الحال لا يسلك السلوك المنحرف إلا من كان أساساً هو منحرف، ويقترن المنحرف بالمنحرف الآخر، وهو ما يتجلى واضحاً في السلوك الجنسي، لذا (الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (سورة النور/٣) ويقول بهذا الخصوص، الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[٥]، لأن المُسَيِّر الأساسي للمؤمن هو قويم الفكر والوعي الكامل له، ويضع الإمام علي عليه السلام فكر فلسفي وطروحات معلّلة لأسباب قائمة من خلال قوله:

(فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق، والحج تقربةً للدين، والجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الرحم منماةً للعدد، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم، وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة، وترك الزنا تحصيناً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادات استظهاراً على المجاحدات، وترك الكذب تشريفاً للصدق، والسلام أماناً من المخاوف، والأمانة نظاماً للأمة، والطاعة تعظيماً للإمامة)[٦].

وهذا المنهج التربوي يضع المجس على النبض، وفقاً للمدرسة القرآنية والنبوية، ويوضح عليه السلام من خلال النص المتقدم العمق الفلسفي الدقيق وبالتحليل والتعليل المقتضب، الشافي الوافي، لانتهاج السلوك الواعي، وفق أرقى الأبعاد الإنسانية والأخلاقية والتربوية، وعمق الكلمة لبناء الشخصية الواعدة التي تحظى بدنياها وآخرتها.

١١- إصلاح أفراد الأسرة والمجتمع، وفقاً لنظام وتنظيم إنساني أخلاقي عظيم مستمد عظمته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الأئمة الأبرار عليهم السلام، ومن استمد كلمته منهم، ويبدأ بالنهي عن كل ما هو منحرف ومنكر، وخير مستمد لها لهذا الجانب لحماية الأسرة والحياة الأسرية وتنظيمها، قوله تعالى:

(وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ

وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّه إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤولاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) (الإسراء/ ٣١-٣٥)، وهذا المنهج التربوي الناطق بحيوية الدين وحلوله الرائعة والإنسانية للحياة الأسرية وتنظيمها، من حماية أرواح البشر داخل الأسرة والمجتمع، والسلوكيات القويمة، الاجتماعية والاقتصادية، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات.

١٢- والإسلام وضع أساليب وقائية وعلاجية لمسيرة حياة الأسرة، ولكي لا تتفاقم الأمور بين الزوج والزوجة، في حالة عدم وجود التوافق وكل أوجه المواءمة بين الزوجين، ولا يتعدى ذلك إلى ظلم أحدهما الآخر، وقد يتعداه إلى ارتكاب الجرائم والمحرمات، وضع الدين الإسلامي في فقهه الاجتماعي، آخر الدواء الكي، والمتمثل بالانفصال عن طريق الطلاق وهو أبغض الحلال عند الله، إلا أنه لا مناص منه إذا عجز الإنسان من علاج المشاكل الزوجية، فهو حلال عند الله لكنه (أبغض) الحلال، وبهذا الخصوص وضع الإسلام لك معضلة حكمه فيها لتنظيم الأسرة والحياة العامة داخل المجتمع لاستقراره، حيث جاء في الذكر الحكيم: (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (سورة البقرة/ ٢٣٧)، ويرد في آية أخرى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (سورة البقرة/ ٢٣١).

وللطلاق في الشريعة الإسلامية أصولها ونظامها وتنظيمها بالإضافة إلى ما تقدم، وفقاً لقوله سبحانه وتعالى: (الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّه فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّه فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّه فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّه فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللّه وَتِلْكَ حُدُودُ اللّه يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (سورة البقرة/ ٢٢٩-٢٣٠).

وكل ما تقدم يمثل أبعاد مختصرة، وبما يسع دراستنا، للدين الإسلامي والحياة الأسرية وتنظيمها، وفق أفضل السبل الإنسانية المحمودة والمناسبة والحضارية ■

---

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الابشيهي المحلي/ المستطرف في كل فن مستظرف/ ج٢/ مطبعة المشهد الحسنين/ مصر/ ١٣٦٨هـ/ ص٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإمام علي بن الحسين زين العابدين/ رسالة الحقوق/ مؤسسة الأعلمي/ ص٢٨-٣١.

(٤) الإمام علي بين أبي طالب/ المصدر السابق/ ص٢١٦.

(٥) ابن خلدون/ تاريخ ابن خلدون/ مج٢/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ١٩٦٠م/ ص٨٢٨.

(٦) الإمام علي بن أبي طالب/ المصدر السابق/ ٥١٢.

لقاء مع:

الرادود الحسيني
الملا جليل الكربلائي

• أجرى اللقاء:
أحمد الكعبي الطويرجاوي
سمير خليل شمطو
تصوير: حيدر صبحي المعمار

ينابيع صوت يتغلغل إلى خلايا الدم تلقائياً... ونحت حروف أنشودته الحسينية في صميم الوجدان الحر... فتحس بصدى صوته... (يا حسين). التزام وعفوية... صدق وأمانة في انطلاقة النفس الحسيني الذي يلازمه في الدرب الحسيني... والمسلك الاجتماعي على حد سواء.

كان لمجلة (ينابيع) لقاء معه بعد أن شارك في عدة احتفاليات بمولود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وساهم في إثارة الأشجان الموالية في عدة مجالس بذكرى وفاة السيدة زينب بنت علي عليها السلام بطلة كربلاء في سوريا...

من أجل تحطيم البنيان الحسيني المرصوص... حاول أزلام النظام السابق استخدام الأساليب القذرة في تفريق الصفوف الشيعية... ومن تلك الأساليب الطعن في عربية نسب الملا جليل الكربلائي... ماذا تقول (أبو محسن) في ذلك؟

إني سمعت مثل هذا الاتهام الباطل والواضحة مآربه... واتهام العديد من خدام الإمام الحسين عليه السلام... وما جليل إلا فرد من هذا الوجود الكربلائي الممتد في مشارق الأرض ومغاربها... وأقول: كربلاء مسقط رأسي عام (١٩٥٧م)... في منطقة باب الخان. وقد درست الابتدائية فيها في مدرسة العلقمي، والمتوسطة في المدرسة المركزية... ثم هجرت عائلتي إلى إيران... وأكملت الدبلوم في هندسة الطرق والمواصلات... وكنت مديراً لأحد دوائرها لمدة خمسة عشر عاماً بعد أن خيرت نفسي بين منضدة الإدارة أو المنبر فرجحت كفة المنبر الحسيني على وجود الملا جليل.

لقد قضيت على ما يقارب العقدين من عمرك في كربلاء... فهل يعني أن البداية والمنبر في كربلاء المقدسة؟

يرتبط والدي المرحوم (الحاج إبراهيم الخباز) بصداقة حميمة مع الملا حمزة الزغير... وكنت أرافق والدي بحضور المجالس التي ينشد فيها المرحوم الزغير... فحفظت الكثير من القصائد الحسينية وأذكر منها (بين أمي عالتربان عفتك رمية) و(يا محلة الوداع بها لمسية)... وكنت أرددها لا إرادياً... ولما سمع المرحوم حمزة الزغير صوتي وأنا في الثالثة عشر من عمري التفت إلى والدي قائلاً: (إعتني بجليل)... وسألني إن كنت أحس عند القراءة بألم في رأسي فأجبته بالإيجاب فقال لوالدي: (هذا يصبح رادوداً)... ولا أعلم إن كان الملا حمزة الزغير مازحاً أم يقصد ما يقول.

متى كانت البداية في القراءة من على المنبر؟

في عام (١٩٧١م) بالتحديد في حسينية (حجية صفية) الكائنة في كربلاء... وهو العام الذي هجرنا فيه، واستقر المقام بنا في مدينة أصفهان.

على يد من تتلمذتم؟

لم يكن لي في إيران أستاذ يعلمني إلا الملا حمزة الزغير رحمه الله الذي تتلمذت على الأشرطة المسجلة له... إذ كنت كثير السماع له... والحفظ لقصائده. فالكاسيت كان هو المدرسة المتنقلة التي تخرجت منها.

يلاحظ في إنشادك القصائد القريض... الضعف الواضح في الحركات الإعرابية... ما سبب ذلك؟

لم أقرأ النحو بالصورة التي أستطيع الاتكال على نفسي في تقييم الحركة الإعرابية لموقع الكلمة... وأحاول جهد إمكاني التمسك في حركات الكلمة...

إضافة إلى ذلك اختلاف الشعراء والأدباء في الاهتمام بالحركات الإعرابية وأهميتها.

شكلت ثنائياً مع الملا باسم الكربلائي لمرات عدة... ما الأهداف المرجوة من ذلك؟

جذب الجمهور الحسيني... وتجديد في طريقة المنبر... وكانت سابقة في إيران والخليج.

التسجيلات الصوتية في الأستوديو... ماذا تعني لكم؟

إنها جزء مهم في جذب الشباب من التيارات الشيطانية وأصبحت البديل عن شريط الأغاني لكثير من الشباب في السيارة... في البيت... في المعمل. فهذا يعني أن الكاسيت أصبح هداية والتزام... كما أن هناك أطوار لقصائد لا يمكن أن نعطيها حقها إلا في الأستوديو الذي انتشر جمهوره في الخليج والشام وأوربا. ومن كل ذلك نريد إيصال صوت عاشوراء وقضية الإمام الحسين عليه السلام إلى العالم.

ما القصيدة التي يرددها دوماً لسان الملا جليل؟

لي علاقة خاصة مع سيدتي فاطمة الزهراء عليها السلام وكثيراً ما أردد قصيدة الشيخ هادي القصاب رحمه الله:

ماذيها ماذيها يا هظم ماذيها
بنت النبي المختار ماتت يحامي الجار

كيف ترى الإمام الحسين عليه السلام وأنت على المنبر؟

إني أرى سيدي ومولاي الحسين عليه السلام في شعوري ودمي وكياني وهو كل وجودي، ويراني ذلك الخادم الأقل المقصر أمامه روحي له الفداء.

هل تتعلق واقعة كربلاء، بالأمور السياسية؟

قضية الحسين عليه السلام دينية، سياسية، عقائدية، اجتماعية وأعتبر كل أمور الحياة تتعلق بتلك الواقعة لأنها أحيت الإسلام والشريعة المقدسة، التي من أجلها قدّم الحسين عليه السلام الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة التوحيد والعدل والحق، وصرخ بأعلى صوته (كلا) للذل والطغيان والباطل.

أين وجدتهم مأساة كربلاء والحسين(ع) من العالم؟

وجدتها في العراق وخصوصاً في كربلاء نفسها لأنني وجدت اللوعة والحزن والألم في هذه المدينة المقدسة المباركة التي جهدت وقدمت الأضاحي والشهداء والقرابين منذ استشهد فيها الحسين عليه السلام.

الملا جليل تراه الناس من على المنبر البكّاء الحزين، ما سر هذا البكاء أو التباكي؟

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام بكت عليها الملائكة والسماء والأنبياء والصالحين وحتى الحجر، أن أقل خدمة آل محمد عليهم السلام عندما أقرأ القصيدة أشاهد المصيبة وأحس بآلامها محنها، وأقول شهد الله تعالى إني عندما أقرأ أي قصيدة وأبكي ليس ذلك تصنعاً أو ما شابه ذلك، وإنما كل ضميري وإحساسي.

ماذا يتمنى الملا جليل لوطنه الجرح العراق وأبناء شعبه المظلومين؟

أتمنى من الله سبحانه وتعالى الأمن والأمان والصحة والسلامة وأتمنى للعراق الصلاح والإصلاح وأن لا يسلط عليه من لا يرحمه، وأسأله تعالى أن يتمم النعم والخيرات على وطني الجريح وكذلك أسأله تعالى بقوته وبرحمته أن يبعد عنه أيادي الإرهاب والتخريب ويدفع عنه السوء والمكروه ويأخذ بأيدي إخواني إلى الموفقية.

شكراً جزيلاً للرادود الحسيني البارع الحاج الملا جليل الكربلائي على إتاحة هذه الفرصة الثمينة للقاء به وإتمام الحوار ■

أجوبة مسابقة العدد السادس وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. الإمام الصادق عليه السلام.

السؤال الثاني: ج. المعلى بن خنيس.

السؤال الثالث: ج. فخ.

السؤال الرابع: ج. امرؤ القيس.

السؤال الخامس: ب. محمد حسن الشيرازي.

السؤال السادس: أ. مسجد السهلة.

السؤال السابع: ج. ١٤٠١ هـ.

السؤال الثامن: ب. إبراهيم الكفعمي.

السؤال التاسع: ج. ٨١ غزوة.

الفائز بالجائزة الأولى: أ. م. غ/ النجف الأشرف.

الفائز بالجائزة الثانية: مازن نزار العلي/ البصرة.

الفائز بالجائزة الثالثة: علي عامر أحمد/ البصرة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد

١ أبـو حمـزة الثمالي مـن أصحاب الإمام السجاد عليه السلام وصاحب الدعاء المعروف باسـمه. ما هو اسـم أبي حمزة؟

أ. ثابت بن دينار

ب. سليمان بن مهران

ج. عامر بن وائلة

٢ أبـو المـكارم بـن زهـرة صاحب كتـاب (**غنية النـزوع إلى علمي الأصـول والفـروع**) سـيد جليل ونسابة معروف. لأي بلدة ينسب؟

أ. الحلة

ب. الحائر

ج. حلب

٣ بـرع الشـعراء فـي نقـل بطولات الإمام علي عليه السلام المشـهورة، ومنهم شاعر مجّد مبيت الإمام على فراش النبي صلى الله عليه وآله بقوله:

ومواقف لك دون أحمد جاوزت
بمقامك التعريف والتحديدا

من الشاعر؟

أ. الشريف الرضي

ب. ابن العرندس

ج. هاشم الكعبي

٤ جلجل جبرائيل بصوته بين السـماء والأرض: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتـى إلا علي. فـي أي موقف كان ذلك؟

أ. فـي معركـة أحد حينمـا وقى الإمام علي عليه السلام النبي بنفسه.

ب. فـي معركة الأحـزاب حينما ضرب عمرو بن عبد ود.

ج. فـي معركـة خيبـر حينما قلع الإمام علي عليه السلام الباب.

كوبون المسابقة

ينابيع

العدد (٨) شهر رمضان ـ شوال ١٤٢٦هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ كتاب (**الإمام الصادق ملهم الكيمياء**) من الكتب التي تناولت علم الإمام الصادق عليه السلام. من المؤلف؟

أ. أسد حيدر

ب. محمد يحيى الهاشمي

ج. جورج جرداق

٦ كانت وقعة بدر أول وقعة خاضها المسلمون ضد الكفار، فمن أول شهيد من المسلمين؟

أ. عثمان بن مظعون

ب. عبيدة بن الحارث

ج. حمزة بن عبد المطلب

٧ الحر العاملي صاحب الموسوعة (**وسائل الشيعة**) ينحدر من الشهيد الحر الرياحي. في أي سنة توفي؟

أ. ١١٠٤ هـ

ب. ١٠٣٣ هـ

ج. ١١٠١ هـ

٨ أشخص أبو جعفر المنصور الإمام الصادق عليه السلام إلى بغداد عدة مرات. فكم مرة كانت؟

أ. ٣ مرات

ب. ٧ مرات

ج. ٩ مرات

٩ من أبطال بني هاشم وهو المشهور بـ(**حليف القرآن**) من هو؟

أ. العباس بن علي

ب. زيد بن علي

ج. زيد بن موسى الكاظم

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ محرم الحرام.**